

تاريخ متَّى الرَّهاوي

[الإفرنج (الصليبيون)، المسلمون، الأرمن]

تاريخ متّى الرّهاوي

[الإفرنج (الصليبيون)، المسلمون، الأرمن]

تأليف
متّى الرّهاوي

ترجمة وتعليق

الدكتور محمود محمد الرويضي
كلية العلوم الاجتماعية/ جامعة مؤتة

عبد الرحيم مصطفى
جمعية ادلاء السياح الأردنيين



طبع بدعم من وزارة الثقافة
2 0 0 9

رقم الايداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٩/١/١٧١)

٩٥٦,٦٦٦
الرهاوي متى
تاريخ متى الرهاوي: ترجمة وتعليق محمود محمد الرويضي، عبدالرحيم مصطفى
اربد – مؤسسة حماده للدراسات، ٢٠٠٩

ر. إ.: ٢٠٠٩/١/١٧١.
(٢٩٠) ص
الواصفات: التاريخ الإسلامي/ الحروب الصليبية/ الإسلام

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ISBN 978-9957-491-37-6

٢٠٠٩

مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع

الأردن – اربد
تلفاكس ٧٢٧٠١٠٠-٢-٠٠٩٦٢ ص. ب ١٢٨٤ الرمز البريدي ٢١١١٠
E. mail: hamada_company@hotmail.com
hamadacompany@yahoo.com

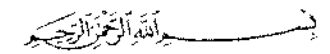
الإهداء

إلى روح المرحوم بإذن الله

الاستاذ الدكتور مصطفى الحياري

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته





المقدمة

إن الباحثين في أدبيات الحركة الصليبية لابد لهم من الاعتماد على المصادر الأجنبية والعربية مجتمعة، وذلك لمعرفة وجهة النظر الأجنبية والإسلامية. وتجدر الإشارة إلى أن معظم المصادر الأجنبية لا تزال بلغتها الأصلية كاللاتينية والفرنسية القديمة والأرمنية، عدا قليل منها ترجم إلى اللغات الحديثة ومن ضمنها اللغة العربية.

والدارس لتاريخ الحروب الصليبية يلاحظ تعدد أطراف الصراع فيها، وتداخل أحداثها، وتباين أهواء وميول مؤرخيها المعاصرين لها طبقاً لانتماءاتهم وجنسياتهم المختلفة، لذا لا بد من تظافر جهود المؤرخين لترجمة مصادر الحركة الصليبية الاجنبية الى اللغة العربية، ووضعها بين يدي القارئ العربي لمعرفة وجهة النظر الأجنبية.

والحروب الصليبية أمدتنا بوفرة من المؤرخين شاركوا في حملاتها وكانوا شاهدي عيان لأحداثها، ولا شك أن المصادر الأرمنية ذات فائدة فيما يخص أدبيات الحركة الصليبية ممثلة في دراسة العلاقات بين الإفرنج والأرمن والبيزنطيين والمسلمين، خاصة في مناطق وادي الرافدين وبلاد الشام الشمالية وأرمنية وآسيا الصغرى، وقدمت هذه المصادر معلومات لم ترد في كتب المؤرخين العرب أو البيزنطيين أو اللاتين، وبخاصة في الفترة التي كانت تخلو من وجود مؤرخ شاهد عيان للأحداث.

وتعد مواطن الأرمن مسرحاً لمجريات الصراع السلجوقي البيزنطي الصليبي، وقد أدرك الأرمن هذا الصراع وعملوا جاهدين على الاستفادة منه سواء في تكوين إمارات أرمنية لهم في المنطقة، أو من خلال تقديم المساعدات المادية والمعنوية للإفرنج. ولهذا فإن كتابات الأرمن جاءت متأثرة بواقع أحداث المنطقة، وهذا يؤكد بانها وليدة الحروب الصليبية ومعاصرة لمجريات أحداثها.

ونظراً لأهمية المصادر الأرمنية في دراسة أدبيات الحركة الصليبية اتجهت أنظار المؤرخين لترجمتها وبيان أثر الأرمن في أدبياتها، وقد جاء هذا الاهتمام منذ فترة مبكرة من القرن التاسع عشر الميلادي، حيث تم جمع وترجمة أعمال المؤرخين الأرمن وإصدارها ضمن مجموعة " مؤرخي الحروب الصليبية/ باللغة الفرنسية ".

وقد أتاحت المصادر الأرمنية للباحثين فرصة الإطلاع على وجهات النظر الأرمنية، ومقارنتها والاعتماد عليها في دراستهم وأبحاثهم في حقل أدبيات الحركة الصليبية. وباستمرار الصراع الإفرنجي الإسلامي بقيت المصادر التاريخية الأرمنية حتى نهاية الوجود الإفرنجي في بلاد الشام الشمالية، ووادي الرافدين من أهم مصادر المعلومات التاريخية عن الإفرنج بحكم علاقة الأرمن مع القوى المتصارعة في المنطقة.

يعد تاريخ **متّى الرّهاوي** من أبرز المصادر الأرمنية المعاصرة لأحداث الحروب الصليبية، ويشكل أهمية كبيرة في دراسة أدبيات الحركة الصليبية، لما يحويه من معلومات تفتقر لها المصادر المعاصرة، ولهذا يمكن الاجتهاد لاجتياز مرحلة ترجمة هذا المصدر ودراسته.

فالمنهجية التي اتبعت في دراسة وترجمة تاريخ متّى الرّهاوي إلى العربية تبدو واضحة من خلال الاجتهاد في ترجمة القضايا الواردة في نصوص المصدر، والهوامش التي وضعت عليه بالفرنسية بهدف توضيحها والتيسير على القارئ الرجوع اليها، وتعريفه بمصادرها والعمل على مقارنتها بما ورد من معلومات مشابهة لها في المصادر المعاصرة لها.

ويتضح منهج وأسلوب الترجمة من دراسة المصادر العربية التي اعتمدها المترجم الفرنسي في تحقيق ودراسة تاريخ متى الرهاوي، فقد تم التحقق من المعلومات التاريخية الواردة فيه وتوثيقها بالعربية بالاعتماد على طبعة حديثة، كما تم توثيق المعلومات التاريخية التي أوردها المترجم الفرنسي في الهامش ولم تكن في السابق قد وثقت، وذلك بالاعتماد على المصادر العربية والأجنبية.

اما المصادر التي اعتمد عليها المترجم الفرنسي في هوامش تاريخ متى الرهاوي، ولا تزال بلغتها الأم، فقد تركت على حالها، ولكن تم التحقق من معلوماتها، واتباع منهج واحد في توثيق تلك المصادر حال ورودها مرة ثانية بعكس منهج وأسلوب المترجم الفرنسي الذي لم يكن عنده ثبات في التوثيق. وعمد الى بيان الاختلافات بين الأصل والمصادر الأولية، وقد تم تثبيتها في الهامش.

وتم تحديد المواقع الجغرافية والتعريف بالشخصيات والمصطلحات التي وردت في متن وهوامش المصدر بالاعتماد على المصادر الجغرافية، وكتب تراجم الرجال بالعربية والأجنبية.

وتبين من منهجية توثيق مصادر التحقيق في اللغة الفرنسية أن المحقق والمترجم استخدم للمصادر مختصرات في التوثيق إما باسم المؤلف

فقط أو مختصر لاسم المصدر، وشكل هذا المنهج عائقا في التحقق من المصادر لتشابه المختصرات، وعدم التمييز بينها، الأمر الذي تطلب التحقق منها، ووضعها ضمن منهجية التوثيق السائدة بين أصحاب الاختصاص.

وتطلبت ترجمة تاريخ متى الرهاوي الى العربية ، شطب العديد من المصطلحات، والأسماء، والمواقع التي تكررت بعدة الفاظ، وتعطي المعنى نفسه. وكان المترجم الفرنسي قد أوردها في الهامش معتمدا فيها على المصادر الأجنبية أو العربية؛ وذلك بعد مقارنتها بما ورد لها من تشابهات في المصادر العربية والمعربة، واعتماد واحد من المصطلحات، أو الأسماء، أو المواقع السائدة بين المؤرخين في المصادر العربية، والمعربة المطبوعة حديثا.

ولتمييز الهوامش والمصادر الجديدة والتعليقات والتعقيبات التي أضيفت في هوامش الترجمة العربية، فقد وضعت بين حاصرتين، هكذا [ ].

وقد عمد إلى إعداد فهرس محتويات لتاريخ متى الرهاوي اتبع فية نظام الحوليات .فقد بيّن أحداث كل سنة على حدة وما تضمنته كل سنة من موضوعات مستقلة، وذلك لتسهيل مهمة القارىء.كما وضعت قائمة للمصادر والمراجع العربية والاجنبية التي اعتمد عليها في دراسة المصدر.

ولعل ترجمة هذا المصدر الذي استمر العمل فيه أكثر من ست سنوات أن يجد اهتماما واضحا وأن يكون حافزاً لأبناء امتنا العربية والإسلامية في الإقبال على ترجمة المصادر الأجنبية، ودراستها، ووضعها بين أيدي القارئ العربي حتى يتمكن من عقد المقارنات بين المعلومات الواردة في المصادر العربية والأجنبية لدراسة الخبر التاريخي الواحد لما لهذا

العمل من أهمية في إعطاء صورة أقرب للواقع في دراسة الحركة الصليبية، وبيان مواقف وأدوار الشعوب التي ساهمت فيها.

حياة متى الرهاوي:

تفتقر المصادر الأولية لأية معلومات عن حياة المؤرخ متى الرهاوي، باستثناء ما توفر من معلومات بين سطور كتابة هذا، وما أرخه بعض المؤرخين المحدثين، وتبقى هذه المعلومات شحيحة لا تفي بالغرض المنشود، والتي يمكن أن تعطي صورة واضحة عن حياته الاجتماعية وسيرته العلمية والعملية، وبالاعتماد على هذه المعلومات يمكن إعطاء صورة أقرب لواقع حياته.

ينحدر متى الرهاوي من أصول أرمنية، وقد أطلق على نفسه **الرهاوي**، وهو لقب اتخذه نسبة لمدينة "الرها"، ويؤكد أن أصوله أرمنية ويعتز بانتمائه لقادة الأرمن عند حديثه عن وفاة أمير الأرمن كوغ فاسيل ومدحه، حيث يذكر: "وعم الحزن في كل أمتنا "[1] وقوله: "المحارب الشهير الذي اجتمعت عنده فلول جيشنا الوطني"[2]. غير أن تاريخ ميلاده ووفاته غير معروفين، ولا يزال يكتنفهما الغموض، وكذلك الفترة التاريخية التي تناولتها حوليته: فيشار إلى أنه من مواليد مدينة الرها[3]، وقد

---

1 [يقصد متى الرهاوي الأمة الأرمنية]. تاريخ متى الرهاوي، ص١٨١.

2 تاريخ متى الرهاوي، ص ١٤٥.

3 جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية، مؤسسة الشباب الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٣م، ص٢١ ؛نعمان جبران، المصادر الأرمنية وأهميتها لدراسة تاريخ الحروب الصليبية "حولية متى الرهاوي أنموذجا" منشور في مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي، ج١، ٢٠٠٠م، ص١٠٧

عاش وترعرع وقضى أكثر حياته فيها، ويبدو هذا واضحاً أثناء سرده لأحداث حوليته. ويقال: بأنه من مواليد أرمينيا[1] .

أما تاريخ وفاته فيذكر أنها كانت عام (٥٣١هـ/ ١١٣٦)[2]، ويستبعد هذا الراي لأن هذا العام يختتم فيه متى الرهاوي أحداث تاريخه بخبرغزو الأمير محمد ابن غازي بن دانشمند مدينة كيسوم وتدميرها، ويؤكد مشاهدته للأحداث أثناء أقامته في المدينة[3] .

وهناك رأي يحدد تاريخ وفاته بعام (٥٣٩هـ/١١٤٤م)، وقت اجتياح عماد الدين زنكي للرها[4]، بينما أكد المؤرخ الأرمني ميشيل تشاميتش والمؤرخ سيربيد نقلا عن المقدمة الفرنسية، بقولهما :ان متى كان طاعناً في السن عندما استولى عماد الدين زنكي على الرها عام (٥٣٩هـ /١١٤٤) م، وأنه شاهد عيان لمذبحتهاعام (٥٤١هـ /١١٤٦م) أيام نور الدين محمود، وقد اندرج في تلك المذبحة [5]. وهذا يؤكد أن تاريخه غطى أحداث الفترة الواقعة ما بين (٥٣١- ٥٣٩هـ /١١٣٦- ١١٤٤م). وكذلك مذبحة أهلها

---

1 نعمان جبران، المصادر الأرمنية، ص١٠٧.

2 تاريخ متى الرهاوي،ص٣١ المقدمة. نعمان جبران، المصادر الأرمنية، ص١٠٧

3 تاريخ متى الرهاوي،ص ٢٤٩- ٢٥١.

4 عطية،حسين محمد،إمارة انطاكية الصليبية والمسلمون ط١،دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٨٩م، ص٦٤.

Michaud، Joseph Francois(1797-1838), Histoire des Croisades, Robert Laffont, 1970, Paris,Vol. p.107

5 انظر تاريخ متى الرهاوي،ص٣١ المقدمة الفرنسية.

أيام نور الدين محمود، وبخاصة أن هناك رأيا يؤكد أن تاريخ وفاته كانت عام (٥٤٣هـ/ ١١٥٠م)[1].

والحقيقة أن الأحداث التي يشار إليها ضمن تاريخ متى الرهاوي بعد عام (٥٣١هـ/ ١١٣٦م) حتى تاريخ وفاته_ أين كانت من الآراء السابقة_ هي من تأليف تلميذه غريغوري الراهب؛ لأن متى الرهاوي كان طاعنا في السن بعد عام(٥٣١هـ/ ١١٣٦م) مما جعله عاجزا عن استكمال تاريخه، فاستكمله تلميذه في عام (٥٥٦هـ/ ١١٦٣ م) وربما كان الإمر بإيعاز منه وتحت إشرافه، ولذلك جاءت كتابات تلميذه بنفس الأسلوب والمنهج والانتماء والولاء للأرمن والعداوة للبيزنطيين[2]، مما جعل تاريخ متى الرهاوي وتلميذه واحدا، وعليه فقد اختلط الأمر على كثير من المؤرخين في تحديد أحداث الفترة التي تناولها متى الرهاوي في تاريخه، هذا بالاضافة إلى عدم جزم المصادر على تثبيت تاريخ وفاته بشكل دقيق.

وقد باشر الرهاوي أعماله في تأليف تاريخه في مدينة الرها، وقد استغرق منه تأليف الجزء الأول والثاني منه خمسة عشر عاماً من البحث

---

1 نعمان جبران، المصادر الأرمنية، ص١٠٧. انظر أحداث المذبحة، الرويضي، محمود، إمارة الرها الصليبية، مطبعة البهجة،٢٠٠٢م، ص٦٠٤- ٦٠٥.

2 انظر: عطية،إمارة انطاكية الصليبية والمسلمون ،ص٦٤. الجنزوري، علية، إمارة الرها الصليبية، القاهرة، ١٩٨٦م، الرها، ص١١- ١٢. جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين ،ص٢١ . انظرحولية غريغوري الراهب .

Gregoir, chronique de Gregoire le prete, in Recueil des Historiens des Croisades Documents Armeniens, 1869, Paris, Vol. 1, p. 151-201

المضني، وقد ألفه وهو يشغل منصب رئاسة أحد أديرة الرها، وبعد الانتهاء من ذلك ذهب إلى مدينة كسيوم[1].

ويبدو أن متى الرهاوي زار مدينة القدس وكنيسة القيامة دون أن يحدد تاريخ الزيارة، ويتضح ذلك مما يذكره عن الآثار الشاخصة في سقف كنيسة القيامة، تعود لفترة حكم الاراتقة لمدينة القدس(٤٩٢هـ/١٠٩٧م)، حيث يذكر أنه "**لاحظ وجود ثلاثة أسهم ثبتت في السقف، ولا تزال حتى وقتنا هذا**"[2]. ويفهم أن متى الرهاوي زار مدينة القدس وشاهد الاسهم في سقف كنيسة القيامة،ولعل هذه الزيارة نابعة من دافع المكانة التي تتمتع فيها مدينة القدس وكنيسة القيامة عند رجال الدين أمثال متى الرهاوي كون زيارتها واجبة عليه.

الأسلوب والمنهج:

غلب على أسلوب متى الرهاوي حدة المشاعر القومية، والاستعارات من الآداب الأجنبية، وهذا ما امتازت به الكتابة التاريخية الأرمنية خلال القرن (٦هـ/ ١٢م)؛ لأنها وليدة الكتابة التاريخية التي تطورت تحت السيادة البيزنطية، ومن هنا جاء تأثيرها بالنماذج اليونانية[3]، فجاءت هذه الفترة بصفة عامة على شكل تواريخ، أو رسائل خاصة، ومقطوعات شعرية تكثر فيها التواريخ العامة.

---

[1] تاريخ متى الرهاوي، ص ٣١ المقدمة الفرنسية

[2] تاريخ متى الرهاوي، ص ١٤٢.

[3] عطية ،إمارة انطاكية الصليبية، ص ٦٤. تاريخ متى الرهاوي، ص٣٠.

وتظهر الروح الوطنية الأرمنية والنزعة الدينية في كتابات متى الرهاوي، وهما سمتان أثارهما الحكام الأرمن المستقلين في شمال بلاد الشام ووادي الرافدين، فكان للصراعات التي خاضوها مع المسلمين والبيزنطيين، وما استولت عليه هاتان القوتان من أملاك الأرمن، أثر في ميل مؤرخي الأرمن لسادتهم الجدد (الإفرنج) ضد المسلمين والبيزنطيين في كتاباتهم[1] .

وتاريخ متى الرهاوي عبارة عن حوليات تناول فيها أحداث الفترة الواقعة ما بين عامي (٣٥٢هـ/ ٩٦٣م) إلى (٥٣٠هـ /١١٣٦م)[2] ،قام بتأليفه في مدينة الرها[3]. ونعت هذه الحوليات بتاريخه، حيث يقول:"الجزء الثالث من تاريخنا"[4] ،ويقع في ثلاثة اجزاء يمتد الاول من عام ٩٦٢م حتى عام ١٠٥١م أما الثاني فيمتد إلى عام ١١٠١م ويمتد الثالث حتى عام ١١٣٦م .

وتناولت معلومات تاريخه فترتين: الأولى[5] الفترة التي سبقت عصر المؤلف، وقد اعتمد فيها على شهود عيان، ووثائق ومؤلفات يونانية وإسلامية ولاتينية، ولم يعط اهتماماً بتفصيل أحداثها، أما الفترة الثانية، فقد دون أحداثها بناءً على مشاهداته لها، وما اعتمد عليه من شهود عيان لبعض الأحداث[6].

---

1 تاريخ متى الرهاوي، ص٢٩.

2 انظر تاريخ متى الرهاوي، ص٢٤٩.

3 انظر تاريخ متى الرهاوي، المقدمة، ص٣١.

4 انظر تاريخ متى الرهاوي، ص١٢٧.

5 انظر تاريخ متى الرهاوي، ص٣٥- ٦٢.

6 انظر تاريخ متى الرهاوي، ص٩٧ وما بعدها.

ويفهم من بعض العبارات التي اوردها متى الرهاوي في تاريخه أنه دون بعض الاحداث التي سبقت عام ١١١٥م بعد وقوعها بفترة، وأن كان شاهد عيان لها، فقد أشار إلى أن كارثة الزلزال الذي ضرب شمال سوريا والجزيرة الفراتية عام ١١١٤م، " **لم يسبق لها مثيل في العصور السابقة ولا حتى في وقتنا الحاضر. بينما كنا غارقين في سبات عميق" وأشار إلى أنها "طمرت الأنقاض ثلاثين راهباً واثنين من العلماء، وبقيت رفاتهم مطمورة تحت الأنقاض حتى اليوم"**[1].

وتظهر ميول متى الرهاوي القومية والتزامه الديني من خلال سرده للأحداث، وكثيراً ما يندفع بحماسه السياسي والديني، فتظهر صراحته؛ فكان يتقصى الحقيقة في المصادر التي كان يصل إليها، مما جاء في تاريخه كثيراً من الأحداث المختلفة مع ما تقدمها المصادر البيزنطية، أو الإسلامية، أو اللاتينية المعاصرة له[2]، ولم يتوان عن ذكر الحقيقة إن أساء الأرمن في تصرفاتهم، فقد ذكر حقيقة تآمر الأرمن مع الكونت بلدوين البولوني على ثوروس حاكم الرها، وفصل الحديث عنها، وحمل الأرمن المسؤولية[3].

يعتمد متى الرهاوي في تدوين تاريخ الحروب الصليبية على المصادر التي سبقت عصره بالإضافة إلى كونه شاهد عيان لأحداث عصره، ويعمل على سرد الأحداث المعاصرة التي شاهدها، وهذا ما يمكن ملاحظته

---

1 انظر تاريخ متى الرهاوي، ص ١٩٣- ١٩٥.

2 انظر مقدمة الناشر تاريخ متى الرهاوي، ص٢٩.

3 تاريخ متى الرهاوي، ص٨٦- ٨٧.

بوضوح عند حديثة عن نشأة مملكة أرمينيا الصغرى، وكذلك توسعها، وعلاقاتها مع الإمارات الإفرنجية المجاورة. وحديثه عن سياسة التعسف والظلم التي انتهجها الإفرنج مع سكان الرها إثر الإشاعة حول تآمرهم مع الأمير مودود بقوله " وما من أحد شاهد تلك المصيبة إلا ورثى نفسه وقدره"[1].

وجاء تاريخه على شكل حوليات حيث يستخدم التاريخ الأرمني، ويسجل أحداث كل سنة على حده، ويذكر معلومات كل سنة على شكل فصول، حيث يذكر في كل فصل موضوعا مستقلا.

ويبدو جلياً اهتمامه في التقويم الأرمني ومقارنته مع التقويم اليوناني والسرياني والإفرنجي، وبيان أهمية فوارق الأيام والليالي بينها في التلاعب بمواعيد الأعياد والمناسبات الدينية الخاصة بالطوائف المسيحية الناتجة عن الصراعات المذهبية[2].

ويتعمد في سرده للأحداث التاريخية استخدام بعض العبارات العامية السائدة في عصره[3]. وغالباً ما يندفع وراء حماسه السياسي والديني في كثير من المواضيع، ويبدع في هذا الجانب، ويستخدم لغة فصيحة بسيطة في سرده التاريخي مما يسهل مهمة إدراك المعلومة، واستيعابها، ويستخدم عبارات بليغة، وألفاظ جزلة وتشبيهات ضمنية واستعارات لفظية، دلالة على ثقافته الواسعة وضلاعته في اللغة واللاهوت، وهذا يدل على

---

1 تاريخ متى الرهاوي، ص١٨٤.

2 تاريخ متى الرهاوي، ص١٢٥- ١٢٧.

3 تاريخ متى الرهاوي، ص٢٩- ٣٠.

خبرته في تقصي الحقائق وما يدور حوله من أحداث تاريخية واستجابته لها، ومما يجعله متمكناً من صياغته باللغة التي يراها مناسبة للخبر التاريخي، وهذا ما ميزه بصراحته بين المؤرخين المعاصرين له.

ويتضح من الأخبار التي يرويها تأكده من صحة مصادر معلوماته مقارنة مع المصادر المعاصرة له سواء أكانت سريانية أم لاتينية، أم مصادر أبناء جلدته من الأرمن، وقد ظهر ذلك جلياً فيما قدمه من معلومات تاريخية عن أدبيات الحركة الصليبية.

وقد استخدم الرهاوي مجموعة من المصطلحات المعاصرة للدلالة على بعض معاصرية من المسلمين والسلاجقة، فقد ذكر مصطلح **الداجيج**[1] ويقصد به المسلمين، وكان هذا اللفظ سائداً بين الأرمن، يطلقونه على العرب، كما أطلق أحياناً على الشعوب المعتنقة للإسلام. واستخدم مصطلح **ماكير العرب، والأفارقة**،[2] ويقصد بهما الحاكم الفاطمي وسكان مصر، وكلمة **الفرس**[3]، ويقصد بها السلاجقة الأتراك، **والكفار**[4] ويقصد بها السلاجقة، **وخليفة الفرس**[5]، ويقصد خليفة المسلمين.

---

1 تاريخ متى الرهاوي، ص٢٧.

2 تاريخ متى الرهاوي، ص ٥١، ٥٥، ٥٦، ٧٨، ٩٨.

3 تاريخ متى الرهاوي، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٨، ١٠٢، ١٤٢، ١٩٠.

4 تاريخ متى الرهاوي، ص ٧٠، ٧٨، ٧٩، ٨٦، ٩٢، ٩٥، ٩٩، ١١١، ١١٥، ١٣٣، ١٣٨، ١٦٥، ١٨٥، ٢٠٩، ٢١١، ٢٤١.

5 تاريخ متى الرهاوي، ص ٢٠٧.

ويستخدم بعض المصطلحات المتشابهة للدلالة على الأماكن، فكان يشير إلى **بابل العظمى**[1]، ويقصد بها بغداد وتارة أخرى القاهرة، ويتضح ذلك من سياق النص، ولم يقتصر على الألفاظ الخاصة بالسلاجقة (المسلمون) وإنما نجده يطلق لفظ **الرومان**[2]، ويقصد بها البيزنطيين، و**الإمبراطورية الرومانية**[3]، ويقصد بها الدولة البيزنطية، و**إمبرطور اليونان**[4]،ويقصد به الإمبرطور البيزنطي. و**اليونانيين**[5]، ويقصد بهم قوات الإمبراطورية البيزنطية و**إمبراطور الرومان**[6]، ويقصد به إمبراطور الإمبراطورية البيزنطية.

ولعل متى الرهاوي يستخدم هذه الألفاظ لرفع صفة الإمبراطورية عن الإمبراطور، وعدم شرعيته وشرعية الإمبراطورية، وتعبر الألفاظ التي يستخدمها عن عداوته المتأصلة، والصريحة، والمعلنة ضد اليونان وإمبراطوريتهم، بسبب تخاذلهم مع الإفرنج وتحالفهم مع السلاجقة، ولذلك يرفع الصفة الشرعية عن الإمبراطور الكسيس بقوله : **إمبراطور اليونان** وتارة **إمبراطور**، وتارة باسم **الكسس**[7]، وقد ذكر رواية أشار فيها إلى أن أحد قادة الحملات الصليبية الفرعية لم يعترف بشرعية الامبراطور

---

1 انظر تاريخ متى الرهاوي ص ٥٧ ، ٦٣، ٩٥.

2 تاريخ متى الرهاوي، ص ٥٤، ٦٤، ١١٣، ١١٤، ١٤٢.

3 تاريخ متى الرهاوي، ص ٣٩، ٤٣، ٦٦.

4 تاريخ متى الرهاوي، ص٦٦، ١٠٧، ١٢٢.

5 تاريخ متى الرهاوي، ص ٦٧، ١٢١، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٣.

6 تاريخ متى الرهاوي، ص ٦١، ٧٣، ١٠٢، ٢٠١، ٢١٢.

7 تاريخ متى الرهاوي، ص٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧١، ٧٣، ١٠٢، ١٠٧، ١١٥، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٤٩.

الكسس، فحط من شأنه وأعتبره بمثابة رجل دين لاتتجاوز مسؤوليته عن الاشراف وخدمة وحامي أحدى الابرشيات، فقد "**نعته فقط بلقب حامي الأبرشية، وليس لقب إمبراطور**"[1] والسائد أن الابرشية للعبادة، لايتعدى مكانها الارياف الاوروبية. ويبدو ان متى الرهاوي كان يقصد من هذه الرواية رفع الصفة الشرعية عن الامبراطور الكسس.

وحينما يتحدث عن تفوق المسلمين على الإفرنج والأرمن في المعارك، يقلل من شأنهم ويصفهم بتشبيهات تعكس وجهة نظره السيئة للمسلمين، كقوله: "**يطلقون الصيحات كالذئاب خلف النعاج**"[2]. وحينما يتحدث عن الإفرنج تختلف الأوصاف والمفاهيم، فيشير الى تعظيمهم ورفع مكانتهم، كقوله: "**وحمل...عليهم بقسوة كأسد يطارد العجول**"[3] أو "**كنسر ينقض على سرب من الحمام**"[4].

ويبدو أن متى كان يستقي معلوماته عن الأحداث الواقعة خارج أرمينيا الصغرى، ووادي الرافدين وشمال سوريا بشكل سيء[5]. وهو ليس ميالاً إلى ذكر مصادره، ويشير إلى بعض الأحداث وكأنه شاهد عيان لها مع أن الأحداث التي يذكرها حدثت في مناطق لم يسكنها[6].

---

1 تاريخ متى الرهاوي، ص١١٩.

2 تاريخ متى الرهاوي، ص٢٤٣.

3 تاريخ متى الرهاوي، ص٢٤٣.

4 تاريخ متى الرهاوي، ص٢٤٢.

5 تاريخ متى الرهاوي، ص ٦٨- ٧١.

6 تاريخ متى الرهاوي، ص١٨٥- ١٨٧.

وكثيرما نجده ينسب بعض الظواهر الطبيعية والكوارث إلى العناية الإلهيه، ويستشهد لتأييد فكرته وتعليقه عليها ببعض النصوص المقتضبه من الكتب السماوية[1]، كما يستشهد بوقائع تاريخية وردت في الكتب السماوية[2]، وتبدو اهتماماته في مجال الظواهر والكوارث الطبيعية واضحة، فيشير في أكثر من موقع الى تلك الظواهر والكوارث سواء أكانت في الأرض أم في السماء، ويبدو من حديثه أنه شاهد عيان لها، غير أن الرهاوي لا يرجع تلك الظواهر إلى تفاسير علمية، وانما ينسب أسباب حدوثها إلى تخاذل الناس، وأعمالهم السيئة، وابتعادهم عن الدين الصحيح، وينسب هذه التفاسير الى علماء وحكماء عصره[3]؛ ويعزو هزيمة أبناء ملته لأسباب تكمن وراء العقاب السماوي[4].

وتبدو اقتباساته واضحة من الكتب السماوية، وذلك لتوضيح بعض القضايا والأحداث، ووضعها كعبرة لتفسير المبهم منها، والاستفادة من إرشادات الرسل والأنبياء وتلامذتهم، وهذا إشارة واضحة إلى تعمقه وسعة معرفته باللاهوت[5].

---

1 تاريخ متى الرهاوي، ص ٨١- ١٠٥.

2 انظر تاريخ متى الرهاوي، ص ٨١- ١١٢.

3 تاريخ متى الرهاوي، ص ٩٧، ٩٨، ١٠٢- ١١٣، ١٦٩- ١٩٨.

4 تاريخ متى الرهاوي، ص ٤٢.

5 تاريخ متى الرهاوي، ص ١٢٧- ١٣١.

ويقدم الرهاوي تراجم لبعض الشخصيات المعاصرة له وبخاصة رجال الدين ممن لهم مكانه دينية في عصره، وتأثير واضح في الجوانب الفكرية الدينية والنصح، والإرشاد، والتأثير على واقع المجتمع الأرمني[1].

بينما يؤكد أن انتصارات الإفرنج كانت بسبب تسلحهم بالعلامات المقدسة، ولعله يقصد بذلك التأكيد على العامل الديني الذي يكمن وراء الدوافع والحروب الصليبية مع أن العلامات المقدسة ما هي إلا أشبه بالأسطورة والروايات الخارقة كقصة الحربة المقدسة التي عثروا عليها في إنطاكية وباكتشافها استطاعوا أن يحققوا النصر على المسلمين[2].

وينفرد في كثير من المعلومات التي تخص السلاجقة ونظام الإرث عندهم، وقد انفرد بتفاصيل دقيقة في هذا الموضوع حتى أن هذه المعلومات لا ترد عند غيره من المصادر المعاصرة حتى السلجوقية منها[3].

وكان الرهاوي يسايس الحكام من الإفرنج، ولم يتجرأ على كتابة شيء يمس جرائمهم، أو التعبير عن شيء من أفعالهم، إذ يقول " **لقد أردنا حصر جرائمهم غير اننا لم نتجرأ على فعل ذلك لأننا كنا تحت سلطتهم**"[4]. وهذا ما يشير إلى أن الكتابة التاريخية كانت تخضع لاعتبارات سياسية تتمثل بسياسة حكام الإفرنج آنذاك. ولذلك لا غرابة في ذكر الرهاوي معلومات عن تخاذل الإفرنج مع الأرمن وسفك دمائهم

---

1 تاريخ متى الرهاوي، ص ١٤٤- ١٤٩.

2 تاريخ متى الرهاوي، ص ٩٢- ٩٥.

3 تاريخ متى الرهاوي، ص ٢٠٥- ٢٠٧.

4 تاريخ متى الرهاوي، ص ٢٠٣.

وتهجير أعداد كبيرة من الأرمن، وإخراجهم من الحكم دون أن يحمل الإفرنج أية مسؤولية تذكر[1].

ولا غرابة أن الرهاوي يذكر كثيرا من الحقائق يرمي بها اللوم على أبناء جلدته من الأرمن والمتآمرين مع الإفرنج ضد قادتهم منهم، ويصف أعمالهم التي قاموا بها بالتحالف مع الإفرنج ضد قائدهم ثورس في الرها بـ "**مؤامرة دنيئة أمام الله**"[2].

وكثيراً ما يخفي الرهاوي بعض الحقائق التي تلقي اللوم على الأرمن، مع أنه يذكرها ولكن بأسلوب عام، ومبهم كقولة عن ياغي سيان أمير إنطاكية" **قتل في أثناء هروبه من قبل الفلاحين الذين قطعوا رأسه بمنجل**"[3] والمصادر الإسلامية تؤكد أن الأرمن هم الذين قطعوا رأسه وسلبوا أمواله[4].

لم يكن الرهاوي شاهد عيان على الأحداث التي وقعت مع قادة الحملة الصليبية الأولى في الساحل السوري وفلسطين، لكن يذكر

---

[1] تاريخ متى الرهاوي، ص ١٦٢- ١٦٣.

[2] تاريخ متى الرهاوي، ص٨٨ .

[3] تاريخ متى الرهاوي، ص٩٢.

[4] ابن الأثير، الكامل، علي بن ابي الكرم بن محمد (ت ٦٣٠هـ /١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ١٢ جـ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار صادر، بيروت، ج١٠،ص، ٢٧٥ ابن العديم، : كمال الدين عمر بن احمد (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ٣ جـ، تحقيق سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥١م- ١٩٥٤م/ ١٣٧١هـ - ١٣٧٤هـ ، ج١، ص٣٤٩. وليم الصوري (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)، ٢جـ، ط١، ترجمة سهيل زكار، ١٩٩٠م/ ١٤١٠هـ، دار الفكر، دمشق، ج٢، ص٢٢١.

معلومات عنها وكأنة شاهد عيان لها، ولعل مصادر معلوماته فيها كانت شهود عيان، أو رسائل كانت تتم مبادلتها بين قادة الإفرنج بالإضافة إلى المصادر التي حصل عليها ممن كانوا شهود عيان لتلك الأحداث، ومع أنه لم يصرح بمثل هذا، غير أن الإشارة في بعض الرسائل وما تضمنه سياق النص من إشارات يؤكد ذلك، وإن لم يكن تصريحاً مؤكدا[1]، في حين أشار إلى بعض الرسائل وأدرج نصها[2].

ونجد الرهاوي ميالاً إلى تمجيد قادة أبناء جلدته، ويجعلهم في رتبة الصالحين والأنبياء، ويتغنى بأعمالهم وبطولاتهم لدرجة المبالغة، وهذا ما يشير إلى ميوله الشديد والتعصب للأرمن[3].

ويبدو واضحاً ضعفه في ذكر بعض الأحداث التاريخية الخاصة بالجانب الإسلامي، كونه يعتمد العموميات في أخبار المسلمين، بينما يفصل الأحداث عن الأرمن والإفرنج في نفس الرواية ويتجاهل ذكر التفاصيل الخاصة بالمسلمين وأدوارهم في مواجهة الإفرنج، ولعل هذا يدل على التقليل من شأن المسلمين، وبخاصة أنه أحياناً يقدم معلومات تفصيلية ودقيقة عن الأحداث الإسلامية وعلاقتهم بالإفرنج في المنطقة التي يعيش فيها مما لا نجد له ذكرا في المصادر الإسلامية، ولا حتى اللاتينية، وعليه فهو ينفرد بمعلوماته[4] . بينما الأحداث التي يذكرها عن تاريخ الإفرنج

---

1 تاريخ متى الرهاوي، ص ٩٨- ١٠١.

2 تاريخ متى الرهاوي، ص ١٢٧- ١٣٢.

3 تاريخ متى الرهاوي، ص١٠١- ١٠٤.

4 تاريخ متى الرهاوي، ص ١٢٧- ١٤٣، ١٠٢- ١٦٣، ١٦٥- ١٧٥.

خارج المنطقة التي يعيش فيها غير دقيقة، وقد وقع في كثير من الأخطاء[1]، الأمر الذي تطلب التحقق من الروايات التاريخية في المصادر المعاصرة وتثبيتها وتوثيقها.

ويميل الرهاوي إلى اختصار تفاصيل الأحداث التي تخص الإفرنج خارج المنطقة، ولعل ذلك يعود إلى عدم توفر المصادر التي يثق بها أو أنه كان يهادن الإفرنج، وبخاصة أن الكتابة التاريخية كانت تخضع لاعتبارات سياسية، لذلك جاءت اختصاراته في الأحداث التي تمس قضايا الواقع السياسي للإفرنج التي قد تثير كثيراً من الفتن والاضطرابات، كمشكلة تولي بلدوين البولوني عرش مملكة بيت المقدس، ولذلك نجده لا يذكر عنها ما لا يزيد عن سطر[2]، مع أن المصادر الأخرى فصلت في هذا الموضوع.

والمتصفح لتاريخه يلاحظ أنه يقدم معلومات جديدة، وأصيلة لم يستطع أحد من المؤرخين المسلمين أو اليونان أو اللاتيين في عصره أن يقوم مقامه أو يقدم ما أفاد به الحركة الصليبية. فقد استعرض حملة الدولة البيزنطية على بلاد الشام ونشوء مملكة أرمينيا الصغرى، وعلاقاتها مع الإمارات الإفرنجية المجاورة لها، ويعرج على الأحداث التي كانت إمارة الرها الإفرنجية مسرحاً لها.

ويعد تاريخ متى الرهاوي مصدراً أساسياً لدراسة الحروب الصليبية من وجهة النظر الأرمنية، فقد غطى جوانب عديدة من موضوعاتها،

---

1 تاريخ متى الرهاوي، ص ١١٥- ١٢١.

2 تاريخ متى الرهاوي، ص١٠٥- ١٠٦.

والقارئ له يشعر بتركيز تاريخه على الأحداث التي تتناول كونتيه الرها الإفرنجية بشكل خاص وبلاد الشام بشكل عام، ونادراً ما يتطرق لأحداث خارج هذه المناطق[1]، وقد شارك مصادر أولية عدة في معلوماته[2]، بينما انفرد ببعضها، الأمر الذي مكن من تغطية الفجوات الناقصة من تاريخ الإفرنج في بلاد الشام الشمالية والجزيرة الفراتية، فقد وضح وضع الأرمن في أرمنية الصغرى وبلاد الرافدين و شمال بلاد الشام، وحالتهم السياسية قبيل قدوم الإفرنج إلى المنطقة وفي ظل حكمهم، والدور البارز الذي أدوه في مساعدة الإفرنج لتأسيس كونتية الرها الإفرنجية وتثبيت أركان حكمها.

وانفرد بمعلومات عن العناصر الإفرنجية وقادتهم الذين شاركوا في الحملة الصليبية الأولى، فيذكر أنهم " **تقدموا بجيوش لاتعد ولا تحصى كنجوم السماء، وكان يسير على أثرهم حشد من الأساقفة والخوارنة والشمامسة**"، وبين المعاناة التي شاهدوها في أثناء سيرهم في دول البلقان، اراضي الإمبراطورية البيزنطية، كما أشار إلى سياسة الإمبراطور البيزنطي التي انتهجها مع قادة الإفرنج[3].

كما انفرد بمعلومات عن المصادر الأخرى أوضح فيها السياسة التوسعية لحكام الإفرنج، وموقف الأرمن منها، وما انعكس على وضع الرها والمناطق التابعة لها جراء تلك السياسات، وفصل في ردة فعل الأرمن

---

1 تاريخ متى الرهاوي، ص ٨٥- ٨٨، ١١١- ١٦٣.

2 تاريخ متى الرهاوي، ص ١٣٧- ١٥٦.

3 تاريخ متى الرهاوي، ص٦٦- ٦٧.

خارج المنطقة التي يعيش فيها غير دقيقة، وقد وقع في كثير من الأخطاء[1]، الأمر الذي تطلب التحقق من الروايات التاريخية في المصادر المعاصرة وتثبيتها وتوثيقها.

ويميل الرهاوي إلى اختصار تفاصيل الأحداث التي تخص الإفرنج خارج المنطقة، ولعل ذلك يعود إلى عدم توفر المصادر التي يثق بها أو أنه كان يهادن الإفرنج، وبخاصة أن الكتابة التاريخية كانت تخضع لاعتبارات سياسية، لذلك جاءت اختصاراته في الأحداث التي تمس قضايا الواقع السياسي للإفرنج التي قد تثير كثيراً من الفتن والاضطرابات، كمشكلة تولي بلدوين البولوني عرش مملكة بيت المقدس، ولذلك نجده لا يذكر عنها ما لا يزيد عن سطر[2]، مع أن المصادر الأخرى فصلت في هذا الموضوع.

والمتصفح لتاريخه يلاحظ أنه يقدم معلومات جديدة، وأصيلة لم يستطع أحد من المؤرخين المسلمين أو اليونان أو اللاتيين في عصره أن يقوم مقامه أو يقدم ما أفاد به الحركة الصليبية. فقد استعرض حملة الدولة البيزنطية على بلاد الشام ونشوء مملكة أرمينيا الصغرى، وعلاقاتها مع الإمارات الإفرنجية المجاورة لها، ويعرج على الأحداث التي كانت إمارة الرها الإفرنجية مسرحاً لها.

ويعد تاريخ متى الرهاوي مصدراً أساسياً لدراسة الحروب الصليبية من وجهة النظر الأرمنية، فقد غطى جوانب عديدة من موضوعاتها،

---

1 تاريخ متى الرهاوي، ص ١١٥- ١٢١.

2 تاريخ متى الرهاوي، ص١٠٥- ١٠٦.

والقارئ له يشعر بتركيز تاريخه على الأحداث التي تتناول كونتيه الرها الإفرنجية بشكل خاص وبلاد الشام بشكل عام، ونادراً ما يتطرق لأحداث خارج هذه المناطق[1]، وقد شارك مصادر أولية عدة في معلوماته[2]، بينما انفرد ببعضها، الأمر الذي مكن من تغطية الفجوات الناقصة من تاريخ الإفرنج في بلاد الشام الشمالية والجزيرة الفراتية، فقد وضح وضع الأرمن في أرمنية الصغرى وبلاد الرافدين و شمال بلاد الشام، وحالتهم السياسية قبيل قدوم الإفرنج إلى المنطقة وفي ظل حكمهم، والدور البارز الذي أدوه في مساعدة الإفرنج لتأسيس كونتية الرها الإفرنجية وتثبيت أركان حكمها.

وانفرد بمعلومات عن العناصر الإفرنجية وقادتهم الذين شاركوا في الحملة الصليبية الأولى، فيذكر أنهم " **تقدموا بجيوش لاتعد ولا تحصى كنجوم السماء، وكان يسير على أثرهم حشد من الأساقفة والخوارنة والشمامسة**"، وبين المعاناة التي شاهدوها في أثناء سيرهم في دول البلقان، اراضي الإمبراطورية البيزنطية، كما أشار إلى سياسة الإمبراطور البيزنطي التي انتهجها مع قادة الإفرنج[3].

كما انفرد بمعلومات عن المصادر الأخرى أوضح فيها السياسة التوسعية لحكام الإفرنج، وموقف الأرمن منها، وما انعكس على وضع الرها والمناطق التابعة لها جراء تلك السياسات، وفصل في ردة فعل الأرمن

---

[1] تاريخ متى الرهاوي، ص ٨٥- ٨٨، ١١١- ١٦٣.

[2] تاريخ متى الرهاوي، ص ١٣٧- ١٥٦.

[3] تاريخ متى الرهاوي، ص٦٦- ٦٧.

على تلك السياسات بتدبير المؤامرات لإسقاط الحكم الإفرنجي، والسعي إلى زيادة نفوذهم في المنطقة[1].

والكشف عن الخلاف السياسي بين إمارتي الرها وانطاكية الصليبيتين عام ٥٠١هـ/١١٠٨م ودور الأرمن والمسلمين في هذا الخلاف، كما أبرز دور الأرمن في إطلاق سراح قادة الافرنج من أسر المسلمين وأوضح موضوع المؤامرة الأرمنية التي هدفت للإطاحة بالحكم الإفرنجي أثر خلاف أمراء الإفرنج[2]، وقد اتفق ببعض المعلومات التي أوردها مع بعض المصادر الإسلامية[3]، وانفرد بأغلبيتها.

اما المعلومات التي قدمها عن حركة الجهاد الإسلامي ضد الإفرنج، فقد غطى بها جوانب النقص الوارد في المصادر الإسلامية، واللاتينية في دراسة تاريخ الإفرنج في منطقة بلاد الشام الشمالية، والجزيرة الفراتية، مما جعل تلك المعلومات على جانب كبير من الأهمية لما أبرزته من الويلات والدمار الذي عاد على المنطقة وانعكاسه على الوضع الاقتصادي فيها[4].

وشارك الرهاوي المصادر العربية في تقديم معلومات عن علاقة الإفرنج في الرها الصليبية مع أمراء الموصل والأراتقة، وفصل ببعض الهجمات التي قام بها هولاء الأمراء على الرها ووادي الرافدين وبلاد الشام الشمالية، وبيّن نتائجها السلبية التي عادت على الإفرنج بأسر قادتهم

---

1 تاريخ متى الرهاوي، ص ١٣٦- ١٥٣، ١٦٤- ١٦٧، ١٨١- ١٨٧، ٢٠١- ٢٠٦.

2 تاريخ متى الرهاوي، ص ١٣٧- ١٤٨.

3 تاريخ متى الرهاوي، ص ١٥٥- ١٨٤، ٢١٦- ٢١٧.

4 تاريخ متى الرهاوي، ص ١٥٥- ١٦٥.

وأمرائهم جراء تلك الهجمات وبخاصة هجمات الأمير بلك[1] في الوقت الذي افتقرت المصادر اللاتينية والإسلامية لهذه المعلومات.

رسم الرهاوي صورة واضحة في نهاية تاريخه لسياسة عماد الدين زنكي التي انتهجها مع الإفرنج في الرها وانطاكية، وتدخل القوى البيزنطية وسلاجقة الروم في محاولات عدة لانتزاع ممتلكات الإفرنج في شمال بلاد الشام إثرالضعف الذي حل بهم[2]، وقد استكمل غريغوري الراهب[3] تاريخ أستاذه متى الرهاوي، وضمنها الأحداث التاريخية بعد عام (١١٣٦م/٥٣٠هـ) بنفس أسلوب الرهاوي وطريقة عرضه ووصفه للأحداث التاريخية والشخصيات البارزة، وبنفس العداوة العميقة للإغريق، ولذلك فلم يكن غريغوري إلا تابعاً ومكملاً لسيرة متى الرهاوي[4] في كتابه المعروف باسم"وقائع غريغوري الراهب" "chronique de Gregoire le prete".[5]

---

1 تاريخ متى الرهاوي، ص ١٩٠- ٢٠٠، ٢٠٦- ٢٤٩.

2 تاريخ متى الرهاوي، ص ٢٠٦- ٢٥١.

3 لم تكن حياة غريغوري الراهب معروفة أكثر من حياة متى الرهاوي، وكل ما عرف عنه من إشارات جمعت من بين طيات كتابه، فقد عرف أنه من مدينة كيسوم، وكان يعرف بالكاهن العلماني، لأنه كان بعيداً عن حالة الرهبنة، فهو متزوج، وكان يتمتع بثقة مواطنيه واحترامهم، فعندما هزم شعب مدينة كيسوم أمام قوات السلطان محمد بن غازي بن الدانشمند عام (١١٣٧م/٥٣١هـ) قام في إرشاد الناس وإحياء روحهم الحماسية للدفاع عن مدينتهم انظر:
Gregoire,chronique de Gregoire le prete, in Recueil des Historiens des Croisades- Documents Armeniens, 1869, Paris, Vol. 1P, 155.

4 أنظر: chronique de Gregoire le prete, in R.H.C-D.Arm vol.I,P.15

5 الكتاب منشور في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية في الجزء الأول من مجموعة الوثائق الأرمنية Recueil des Historiens des Croisades- Documents Armeniens

المقدمة الفرنسية

قبل نشر حولية متى الرهاوي التي يروى فيها تاريخ الصليبيين الأوائل، اعتقد بوجوب استعراض الفصول التي تتبع حملات الإمبراطور نيقفور فوقاس وجون زيميسكس في وادي الرافدين، سوريا وفلسطين، حيث تذكرنا بالمحاولات الأولى للمسيحيين لاحتلال الأراضي المقدسة تحت شعار خلاص البشرية على يد المسيح، وهي محاولات يمكن اعتبارها تمهيداً لغزو يضمن تأسيس إمبراطورية اللاتين في الشرق .

إن رواية أخبار هذه الحملات يرتبط بشكل أساسي بتاريخ حروبنا المقدسة في ما وراء البحر . وحقيقة هذه الحقبة التاريخية لن تكون مفهومة، ما لم توضح بدراسة العوامل والأحداث التي هيأت الأرضية لأسلافنا للقدوم ولعب دور بطولي، وقد تمثلت هذه العوامل في السيطرة العربية، والاحتياجات المتعددة للسلاجقة الأتراك، والتي بسببها نلاحظ أصول الإمارات التي أسست على يد أحفاد السلاجقة في فارس، وشمال سوريا وآسيا الصغرى ؛ وصراع الأباطرة اليونان ضد أمراء القبيلة المتنفذة من الحمدانيين التي كانت تسيطر على شمال سوريا ووادي الرافدين، وصراعهم – أي الأباطرة اليونان – ضد الخلفاء الفاطميين أيضاً، وأخيراً الحج الذي قاد أعداداً من الزوار الأتقياء من جميع أنحاء العالم المسيحي لزيارة قبر المسيح منذ القرن الخامس الميلادي .

ويعد وليم الصوري أشهر مؤرخ للوقائع التي حدثت على ارض فلسطين ؛ بوصفه لمسيرة الإفرنج ؛ إذ كان حريصاً على إلقاء نظرة تاريخية حول الأماكن التي نصبوا فيها أعلام النصر .

أما في وقتنا الحاضر فهناك م.م ميشارد (M.M.Michar)[1] ، وويلكن (Wilken)[2] حيث اعتقدا بوجوب الرجوع إلى عصر الإمبراطور قسطنطين عندما رفع راية الصليب في كنيسة الضريح المقدس في القدس.

إن الوثيقة التي نقلها لنا متى الرهاوي واحدة من أثمن الوثائق التي بقيت من الفترة السابقة لقدوم الإفرنج إلى الأراضي المقدسة، وهي الوثيقة التي تتناول الحملة المشهورة التي قادها زيميسكس في سوريا وفلسطين، ويرويها في رسالة مبعوثة إلى آسشود الثالث (Aschod III) الملقب بالرحيم ملك أرمينيا العظمى، وبفضل هذه الرسالة نستطيع أن نتتبع مسيرة الأمير خطوة فخطوة بالتفصيل، إذ لم نكن نعرفه من قبل لا من ليون الشماس (Leon Le Diacre)، ولا من أي كاتب حوليات بيزنطي.

إن مصداقية هذه الوثيقة الموجودة في أرشيف ملوك البجراتيد (Bagratides) في مدينة آني (Ani) يصعب أن تكون موضعاً للشك؛ لأن الأخطاء الواردة فيها تثبت أنها ترجمت إلى الأرمنية من الأصل اليوناني، ففي بعض فقرات الترجمة نجد بعض الأسماء التي تحتفظ بالأخطاء القواعدية الموجودة في النص الأولي، حيث نقرأ فيردون (Virdoun) وهو اسم مدينة بيرت (Berute) في حالة المفعول به فيرتون (Bnputor) باليوناني، وأفولون (Ovoulon) وهي المنسوخة عن المضاف إليه الجمعي باليوناني أُفولون (Oboles) .

---

[1] Michaud, Joseph Francois(1797-1838)Histoire des Croisades, 8 Edition Paris, 1853, 4Vol., in 8^0

[2] wilken,Geschichte der kreu 33 uge, 7 Vol, in 8^0 , 1807-1932

يعتمد متى الرهاوي في تدوين تاريخ الحروب الصليبية على المعلومات التي سبقت عصره بالإضافة إلى كونه شاهد عيان لعصره، حيث يهتم بسرد الأحداث المعاصرة التي شاهدها . وعندما نتصفح حوليته، نرى بوضوح كيف نشأت وترعرعت مملكة أرمينيا الصغرى، وكذلك قيام وتوسع علاقاتها مع الدول اللاتينية المجاورة .

أما الأحداث التي كانت كونتية الرها مسرحاً لها بعد أن سيطر عليها الأمراء الفرنسيون (١٠٩٨- ١١٤٤)، وما تم إنجازه في كوماجن (Comagene) وفي الأقسام الشمالية من سوريا، وإمارة إنطاكية وفي سيليسيا، يعتبر جديداً وأصيلاً، إذ لا يوجد أحد من المؤرخين لهذه الحقبة، سواء من المؤرخين العرب السوريين أم اليونان أم اللاتين، استطاع إكمال أحداثها أو تلافي النقص الوارد فيها.

وفي مقدمة حولية متى الرهاوي التي نشرتها سابقاً[1] ، بحثت عن مدى أهليته كمؤرخ، فتأثره واضح بقوميته، ويتمتع بمكانة دينية، فرضتها ظروف العصر الذي كان يعيش فيه، ففي روايته للأحداث يضع معلوماته دون هوادة أو تهاون ومن غير زركشات، مع استخدام صيغ عبارات غير صحيحة من اللغة العامية التي كانت مألوفة في عصره، ويندفع غالباً وراء حماسه السياسي والديني في بعض المواضيع، فيستخدم فيها الفصاحة والبلاغة مع نوع البساطة . ويتمتع دائماً بالحقيقة وبصراحته

---

[1] Dulaurier (Ed) , Bibliotheque historique arme'nienne, ou choix des principaux historiens arme'nienns traduits en francais, t. I, contenant la chronique complète de matthieu d'Édesse et la continuation par Grégoire le Prêtre (952-1163). In-8°. paris, 1858.

المعهودة، مثابراً في تقصيه للأخبار، عالماً بما يدور من حوله من أحداث، متأكداً من مصادر معلوماته بشكل عام.

وقد بحثت في المصادر التي استطاع متى الرهاوي النفاذ إليها، وأظهرت بعض الخلافات التي وقعت ما بين ما قدمه مقارنة مع المؤرخين البيزنطيين والشرقيين المعاصرين له ومع أولئك المؤرخين من أبناء جنسه.

وبالرجوع إلى ما ذكرته في نشرتي السابقة أعتقد بوجوب الاقتصار على تلك التفاصيل الصغيرة التي تمكنت من جمعها عن سيرة متى الرهاوي. وللأسف فإن سيرته الذاتية شبه معدومة كغيره من المؤرخين من أبناء جنسه. فالأدب الصادر عنه غني بأعلام التاريخ الديني أو السياسي، وليس له نظير من قبل، فقد استطاع أن يقدم لنا تاريخاً أدبياً. ولن نستطيع رسم سيرته إلاّ بتجميعها من الخطوط والملامح المتبعثرة هنا وهناك مع أنها لا تفي بالغرض المنشود. وكل ما نعرفه بخصوص سيرته هو كل ما يُعلمنا به هو نفسه في مقدمة جزئيه الثاني والثالث من كتابه هذا؛ فيطلق على نفسه اللقب العرقي الرهاوي (أورهيتسي/ Ourhaietsi) أو بالأحرى المولود في الرها (أورها / Ourha) ويضيف مباشرة بأن هذه المدينة أعطته الفرصة، وبعدها بعدة أسطر يصف نفسه برئيس الدير (Vonerets) ولكن تاريخ ميلاده ووفاته غير معروفين، ومما لا شك فيه أن حياته امتدت إلى ما بعد عام (١١٣٦م) وهي السنة التي ينتهي فيها كتابه.

ويزعم المؤرخ الأرمني المعاصر الأب ميشيل تشاميتش[1] (Le.P Michel Tchamitch) والمؤرخ سيربيد[2] (Cirbied) دون الاعتماد على أي أساس أن متى الرهاوي كان متقدماً بالسن في أثناء سقوط مدينة الرها في عام (١١٤٤م)، بيد عماد الدين زنكي وابنه نور الدين ذائعي الصيت أميري الدولة الأتابكية في سوريا، وأنه شاهد مذبحة سكانها، واندرج فيها.

والواضح أنه أمضى معظم حياته في مدينة الرها، إذ يؤكد إنه جمع وكتب حوليته في هذه المدينة، واستغرق تأليفه للجزأين الأول، والثاني منها خمسة عشر عاماً من البحث المضني. ويتضح مما يذكره في الفصل (١٠٣) أنه ذهب بعد ذلك إلى مدينة كيسوم (Kecpum) شمال كوماجن، التي كانت تتبع كونتية مرعش تحت سيادة أمير لاتيني يدعى بلدوين (Bauldouin) ويطلق عليه وليم الصوري بلدوين صاحب مرعش (Balduinus de Mares)[3]، بينما يسميه متى الرهاوي كونتينا، كما لو أراد أن نفهم أنه من أتباع هذا الأمير. ويحدد مكان إقامته كيسوم من خلال حديثه عن حملة أمير كبادوكيا (كبادوس / Cappadoce) الأمير محمد بن غازي بن الدانشمند لكونتية مرعش ومحاصرته لمدينة كيسوم عام (١١٣٦م).

---

1 Tchanitch, Histoire d' Armenie Tchamitch ou Tchamtchian (Michel), religieux de la congregation des mĕkhitharistes de Histoire d'Arménie, 3 vol. In-4°. Venise1784-1786, t, vol, III, P.67.

2 Notices et extraits des manuscrits dans le tome IX, Extrait de la chronique de Matthieu d'Édesse, par Chahan de Girbied; et, dans le tome XI, les chartes provenant des Archives de la Banque de Saint-Georges, à Gênes, publiées par Silvestre de Sacy et Saint-Martin m t. Ix, I er partie, p. 279

3 وليم الصوري، ج٢، ص ٧٥٣.

لقد استخدمت ثلاث مخطوطات في عملي لهذه الترجمة من المكتبة الإمبراطورية في باريس باللغة الأرمنية القديمة، مصنفة الأولى تحت رقم (٩٥)، والثانية تحت رقم (٩٩)، والثالثة مبوبة في التذييل، فالمخطوطة الأولى أشرت إليها بالحرف (A) وهي مكتوبة بأناقة على نوع من الورق القطني يعرف بالورق التركي، وتعد كتابتها من أشكال الكتابة السريعة، وتعرف بكتابة نودراكير (Nodrakir) أي كتابة كُتّاب الدواوين، أو كاتب العدل، ويعود استخدامها إلى القرن السابع عشر الميلادي، ويتضمن نص هذه المخطوطة مائة وعشرين فصلاً من حولية متى الرهاوي حتى أحداث عام ٥٣٠ من التاريخ الأرمني (١ آذار / ١٠٨١م — ٢٨ شباط / ١٠٨٢م) . والمخطوطة الثانية التي تحمل رقم (٩٩) أشرت إليها بالحرف (B)، نسخت على ورق أوروبي بحروف نودراكير (Nodrakir) على شكل عمودين بخط يد ناسخ غير ماهر وجاهل، مما أوقعه في العديد من الأخطاء. والحذف منها نتيجة لإهماله وسخافته ؛ الأمر الذي جعل المخطوطة مبهمة، ولكنها أكثر اكتمالاً من سابقتها؛ لأنها تحتوي على معلومات حتى عام (٦٥٠) من التاريخ الأرمني (٢٢ شباط/١١١١- ٢١ شباط/ ١١١٢) ضمن فصل رقم (٢٠٧) . أما المخطوطة الثالثة ؛ فقد أشرت إليها بالحرف (C)، وهي نسخة مكونة من (١٣٢) فصلاً، تتضمن الفصول الأخيرة من حولية متى الرهاوي، بالإضافة إلى الفصول التي وضعها الأب غريغوري الراهب (Gregoire Le Pretre) تكملة حولية متى الرهاوي حتى سنة (٦١١) من التاريخ الأرمني (٩ شباط /١١٦٢- ٨ شباط / ١١٦٣) . وقد أنجزت هذه النسخة في عام ١٨٤٩م، بناءً على طلبي بواسطة شاب عالم وراهب، وهو الأب كورن كولفا (Le R.P. Khoren Calfa) ويوجد من

هـذه المخطوطـة خمـسة نسـخ تعـود ملكيتهـا للآبـاء مخيتاريـستس (RR.PP.Mekhitharistes) في مكتبتهم في دير القديس لازار Saint Kazare في البندقية، وقد قام الشاب آنف الذكر بتدوين الاختلاف بين النسخ علـى الهـامش، وسـوف أميـز النـسخ الخمـس بـالحروف التاليـة (Ce، Cd، Cc، Cb، Ca)، وقد اعتمدت في ترجمة الجـزء الأول من حوليـة متى الرهـاوي المخطوطة (A) و (B) أما الجـزء الثاني فقد اعتمـدت علـى المخطوطات التالية (Ce، Cd، Cb، Ca، B) حتى الفصل (57) (LvII). وبناءً عليه لم أعد أحتاج إلا المخطوطة (Ca) لإرشادي في الترجمة.

الفصل الاول

حملات نيقفور فوقاس، وجون زيميسكس في وادي الرافدين وسوريا وفلسطين

I/ ١ في عام ٤١٢ (٣١ آذار ٩٦٣م — ٢٩ آذار ٩٦٤م) تولى نيقفور[١] حكم اليونان وكان رجلاً صالحاً تقياً محباً لله، يمتاز بفضله وعدله، وفي الوقت نفسه يمتاز بشجاعته وحبه للقتال، رحيم لكل المؤمنين بالمسيح، وكان يزور الأرامل والأسرى، ويطعم الأيتام والفقراء[٢].

---

1 نيقفور: هو الابن الأكبر لخادم الشرق باردا فوقاس (Barda Phocas) وقد توج في كنيسة القديسة صوفيا من قبل البطريرك (Polyecte) يوم الأحد ٩٦٣/٨/١٦، بعد أن نودي به إمبراطوراً عن طريق جيش الشرق في أثناء تخيمه قبالة كبادوكيا (كبادوس) يوم الخميس ٩٦٣/٧/٢.

Cedrenus, Compendium historiarum , dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ m p. 507 et 508. CF.Leon Le Diacre , ed . Hase in-Folio Paris, 1819, p. 204 , et Muralt , (Édouard de), Essai de chronograohie byzantine saint- Peteshourg, 1855 , in 8^0, P. 539 .

2 هذا المديح يتناقض مع ما يذكره سيدرنيوس وزوناراس وجليكاس عن نيقفور من بخل وفظاظة.

Cedernuns, Compendium historiarum, p. 507 et 508.

Zonaras, Annales, dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ, vol. II, p.158. Glycas (Michel), Annales, dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ .

وتعد شهادة متى الرهاوي ذات أهمية لأنه كاتب حوليات له وزنه، بالمقارنة مع ما يذكره سيدرنيوس المعادي لليونان.

وفي ذلك العام جهز جيشاً عظيماً، وعبر البحر الرحب[1] (Lamer Dceane) بحملة ضد المسلمين، يزأر كالأسد، ويتقدم بعنف إلى سليسيا، وبعد أن حقق النصر المبين، أصبح حاكماً لمدينة طرسوس[2] العظيمة. ثم تقدم واستولى على مدينة أذنه (Adana) والمصيصة (Mecis) (موبسوست/

---

1 الرحب يقصد بها البحر المتوسط، وقد وردت هذه التسمية عند موسى الخوريني من القرن الرابع ميلادي الذي ألف كتاب:

Moise de Khoren, auteur Arménien du V siècle, Histoire d'Arménie, et Géographie, réimprimées plusieurs fois et en dernier lieu dans ses OEuvres complètes, in-8°.Venise ,1842., I, 14, et II, 12, Cf. Mĕkhithar-Abbé, fondateur de l'ordre des Mĕkhitharistes de Venise ,XVII siècles,,auteur de plusieurs ouvrages, et entre autres d'un Dictionnaire arménien, in-8°, venise, 1749.

2 في السنة الثانية من حكم نيقفور سار في شهر تموز من عام ٩٦٤م، إلى سليسيا على رأس جيش مُهيب يتكون من أتباع الإمبراطورية وفرق مساعدة من ايبيريا وأرمينيا، وقد استطاع إخضاع مدينة عين زارب (Anazarbe) وروسوس (Rhossus) واذنه (Adana)، وغيرها من المواقع. ولكن دخول فصل الشتاء حال دون مهاجمة نيقفور مدينة طرسوس (Tarse) وموبسوست / المصيصة (Mopsueste) وذهب إلى كبادوكيا لقضاء فصل الشتاء. وبحلول فصل الربيع عاد إلى سليسيا، وقسم جيشه إلى قسمين وأوكل قيادة أحدهما إلى شقيقه ليون (Leon)، وأرسله لمهاجمة طرسوس، وهاجم نيقفور بالقسم الآخر مدينة موبسوست [المصيصة]. وبعد حصار قاس وانتشار المجاعة فيها، سقطت المدينة بقوة السلاح، لكن شقيقه ليون لم يكن سعيداً، إذ عمل على فك الحصار عن طرسوس وأرسل موناستريوت (Monasteriotes) في مهمة البحث عن المؤن، لكن سكان طرسوس الذين عانوا من المجاعة، وسطوة الجيش اليوناني، ذهب وفد منهم إلى ليون من أجل التماس الرحمة من الإمبراطور، فاستجاب لهم. أما نيقفور فقد أحرق عدداً من المدن في سليسيا ثم توجه بعدها إلى القسطنطينية في شهر تشرين أول عام ٩٦٥م.

Cf, Zonaras, historiæ Byzantinæ, Cedrenus, t.II, p.158. Compendium historiarum , p.512-513.

Mopuseste) وعلـى مدينـة عـين زارب (Anazarbe) العظيمـة . وأنـزل بالسكان من المسلمين (الدادجيج Dadjigs) [1] مذبحة كبيرة، ولاحق من فرَّ منهم إلى أبواب إنطاكية [2] وقفل راجعاً بعد النجاح الباهر الذي حققه

---

1 الدادجيج : كلمة استخدمها الأرمن مثل كلمة سيث (Seyth) التي استخدمها اليونان والرومان للإشارة إلى الشعوب البدوية، والدادجيج في حولية متى الرهاوي تعني المسلمين بشكل عام، وبعض الأحيان في مواضع خاصة تعني العرب، بينما يطلق الأرمن هذه التسمية في الوقت الحاضر على الشعوب المعتنقة للإسلام، وبخاصة الأتراك العثمانيين .

2 سعي نيقفور إلى احتلال سليسيا وسوريا من خلال حملتين، غير أن متى الرهاوي يذكر حملة واحدة، أما الحملة الثانية حسب ما ورد عند سيدرينوس Cedrenus, Compendium historiarum ,p 513-514 فحدثت في ربيع السنة الثالثة من حكم نيقفور أي في عام ٩٦٦؛ إذ يذكر : أن الإمبراطور قد مرّ قبالة إنطاكية لكنه لم يهاجمها واتجه لاحتلال عدد من المواقع في لبنان، ابتداءً من السواحل الفنيقية [لبنان] حتى مدينة الرها، وما وراء نهر الفرات، فمدينتي لوديسي (Laodices) ومنبج (Menbedj) المعروفة سابقا بجرابوليس (Hierapolis) أظهرتا بعض المقاومة . أما مدينة حلب فقد فرضت عليها ضريبة سنوية، وكذلك طرابلس ودمشق، بينما مدينة عرقه (Arka) سقطت بعد تسعة أيام . ولكن مدينة حمص أحرقت، وتركها نيقفور صحراء جرداء . وفي شهر كانون الأول رجع نيقفور إلى إنطاكية، ولكن نقص الطعام وسط بلادٍ مدمرة والطرق الوعرة أجبرته على التقهقر إلى الوراء، والعودة إلى القسطنطينية . وبعد مغادرته نجح البطريرك ميشيل بورتزي (Michel Bourtzes) و (Leunuque) بير فوقاس Pierre Phocas في احتلال إنطاكية وإخضاعها بواسطة هجوم عسكري مباغت وأصبحت في قبضة اليونان بعد أن كانت هذه المدينة تحت السيطرة العربية لمدة ثلاثة قرون، وقد ذهب م. مورالت Muralt, Essai de chronographie byzantine, إلى ما ذكره سيدرنيوس في تثبيت عام ٩٦٦م، لحملة نيقفور على سوريا، لكن م. هسي (M.Hase) في كتابه . Leonis Diaconi historian, note p.218 يعتقد بوجوب تأخير هذا التاريخ إلى عام ٩٦٨م ويوافقه ليون الشماس (Leon Le Diacre) وحسابات باجي: Pagi, Critica in Annales Baronii, 4 vol. in-fol. Anvers, 1705, Iv,p.19 [انظر تفاصيل حملة نيقفور فوقاس على الساحل الشامي، ابن الأثير، الكامل، ج٧، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢١٨-٢١٩. ابن العديم، زبدة الحلب ج١، ص١٤٨- ١٥٧].

إلى عاصمته القسطنطينية، جاراً وراءه حشداً كبيراً من الأسرى والغنائم، وأبقى إلى جانبه باسيليوس (Basile) وقسطنطين (Constantin) ابني الروماني [1] [رومانوس] وأعطاهما قصره، وعوملا باحترام بالغ وتقدير رائع.

٣/II في سنة ٤١٢ زج برجل يدعى زيميسكس (/ Tchemeschguig Zimisces) [2] سجيناً في جزيرة لأنه كان يستحق العقاب. فأرسلت الإمبراطورة ثيوفانو (Theophano) زوجة نيقفور السافلة سراً إلى زيميسكس بعد أن حصلت على أمر من الإمبراطور بإخراجه من منفاه في الجزيرة، وجيء به إلى القسطنطينية دون علم نيقفور، وتآمرت ثيوفانو معه على قتل الإمبراطور بناءً على وعدٍ منها له أن تتزوج منه، وأن تقوم بتتويجه إمبراطوراً، فوافق زيميسكس على هذا العرض. وفي المساء وبينما كان الإمبراطور التقيّ جالساً على عرشه يقرأ الكتاب المقدس على ضوء

---

1 الروماني II الملقب بالفتى (١٠/١١/٩٥٩- ١٥/٣/٩٦٣).

2 عاش زيميسكس منفياً في جزيرة كما يدعي متى الرهاوي، لكن الرواية تذكر انه عزل عن منصبه وبقي في آسيا، حيث أن الإمبراطور نيقفور سمع لاقتراحات شقيقه ليون حول تجريد زيميسكس من سلطات الدمستق (Domestique) وأمر بإخراجه من منزله، لكن الإمبراطورة ثيوفانو التي كرهت نيقفور، وعشقت زيميسكس، استطاعت أن تأخذ من زوجها نيقفور أمرا باستدعاء زيميسكس الى القسطنطينية لكن الرسول حامل رسالتها هب الى خلقدونيا حيث طلب منه نيقفور الإقامة فيها بعض الوقت، وفي أثناء ذلك قام زيميسكس بعبور مضيق البسفور سراً تحت ستار الليل وكان اللقاء في القصر لاستكمال علاقاته الإجرامية مع ثيافانو، وبتتبع المؤرخين الأرمن تبين أن زيميسكس من أصول أرمنية من مدينة جرابوليس / منبج في مقاطعة خوزان (Khozan) التي تشكل جزءا من الولاية الأرمنية الرابعة؛ هذه المقاطعة كانت تسمى تشميسي شحذراك (Tchemeschgadzak) مسقط رأس زيميسكس التي تعطي فكرة من أصل اسم هذه الإمبراطور [انظر تفاصيل مقتل نيقفور فوقاس، ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٢٠. ابو الفدا، المختصر، ج١، ص٣٥٩.

الشموع، دخلت الإمبراطورة عليه وأوثقت السيف الموجود على جانبه بإحكام ثم عادت لرؤية شريكها في السوء، وقلدته بيدها السيف الذي أعدته لقتل الإمبراطور البار، ولما دخل زيميسكس غرفة الإمبراطور، بان الذعر عليه، فلما رآه الإمبراطور، قال له : أيها الكلب المسعور، ماذا أتيت تفعل هنا ؟ ثم نهض بقوة باحثاً عن سيفه، فتبين له أنه موثوق بإحكام في حزامه، فأسرع زيميسكس ووثب عليه كوحش ضار، وقتل هذا الإمبراطور الرائع، وقطع جسده ثلاث قطع، فأسلم نيقفور روحه للمسيح، وهو يسبح في دمه ضحية مؤامرة بشعة . وكان يلبس على جسده العاري مسحاً [ثوب يلبسه النساك] اكتسب اللون الأرجواني عندما تلطخ في دم هذا الرجل القديس الذي تدفق على وجه القتلة [١] . وقد دفن بجوار الذين سبقوه من القديسين في قبر عظيم [٢] . بينما تقلد زيميسكس اللعين العرش، واستولى على سيادة القسطنطينية، وأخضع الإمبراطورية تحت

---

1 وبتتبع كتاب سيدرنيوس Cedrenus, Compendium historiarum, p.518-519 وكتاب جليكا Glycas, Annales, dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ, p.238 وكتاب ليون الشماس (Leon Le Diacre) (فصل ٥ و ٩) كان مقتل نيقفور في ليلة ١٠ على ١١ كانون الأول من السنة الأرمنية ٦٤٧٨ – ٩٦٩م، أما متى الرهاوي فيتقدم عن هؤلاء بهذا التاريخ ٦ سنوات تقريباً .
كما أضافوا أن زيميسكس قد أدخل إلى القصر في سلة بواسطة الإمبراطورة ثيوفانو، وكان برفقته الأب ميشال بورتزي(Michel Bourtzes) وقائد فرقة المشاة ليون فلانتيوس واتزيبو ثيودور (Atzypotheodore) وهؤلاء الأربعة قاموا بمفاجئة الإمبراطور خلال نومه وقتلوه وقطعوا رأسه، ثم عرضوه على النافذة على ضوء القناديل ليشاهده الحراس والشعب، وبعدها نودي بزيميسكس إمبراطوراً .

2 حسب ما أورده ليون الشماس، فإن نيقفور قد دفن بجوار الإمبراطور قسطنطين الأكبر، في كنيسة الرسل، حيث توجد أضرحة الأباطرة في القسطنطينية .

سلطته، وقام على وجه السرعة بإبعاد (بازيل) وقسطنطين ابني الرومي [رومانوس] عن والدتهم الإمبراطورة اللعينة، وأرسلهما إلى فاساج افان (Vacag-avan) (بلدة فاساج) قصبة ولاية هانتزيت (Hantzith)[1] بالقرب من سيراميج (Sbramig) والدة ميكيثار العظيم (Mekhithat)، وذلك لتخليصهما من خطر التسمم المحدق بهما. هذا وإن الجريمة التي اقترفها وكان بالإمكان تجنبها، زجته في حزن عميق، وجعلت حياته مليئة بالأحزان، ولم يعد يذق طعم الراحة بسبب عذاب الضمير.

III /٣ ماحصل في عام ٤٢١(٩٧٢/٢/٢٨- ٩٧٣/٣/٢٧م) أن قائد الرومان[2] الدمستق مليح الكبير

---

[1] أنزيتية، الولاية الأرمنية الرابعة عند بطليموس (v,Xiii,18) وخنزيت عند.
Constantini Porphyrogeniti de Thematibus libri dou; de Administrando imperio, avec les remarques de Banduri, et de Cerimoniis aulæ Byzantinæ; avec les commentaires de Reiske, dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ, éd. de Bonn. 3 vol. In-8°. 1840. Cap.1.

[2] إن المؤرخين الأرمن، كذلك البيزنطيون، يقصدون بالرومان كل من يتبع للإمبراطورية اليونانية، كما نعلم فإن اسم روما الجديد أطلق على بيزنطة من قبل الإمبراطور قسطنطين الكبير، ويبدو أن اللغة المستخدمة من قبل الأرمن هي هرومك (Horomk) أو (Hromk) وتعني الرومان الشرقيون، وبصورة عامة يطلق عليهم اسم اللاتين، حيث تشتمل كل شعوب أوروبا، وسوف نرى أمثلة لاحقة في نص متى الرهاوي تشير إليهم.
[اعتاد مؤرخو الإمبراطورية البيزنطية على استعمال لقب الإمبراطور الروماني ويقصد به من يجلس على عرش بيزنطة، أما المؤرخون الغربيون والبابوات، فيذكرون لقب الإمبراطور ويقرنونه بالحاكم كأن يذكر الإمبراطور هرقل الذي يجلس على عرش

(Domestique Mleh) [1] سار بجيش كبير لمحاربة المسلمين، وبعد لقاءات عدة، انتصر فيها بمساعدة المسيح، تابع تقدمه إلى مدينة ملطية (Melitene) وفرض حصاراً شديداً على سكانها، ومنع وصول القوت والماء إليهم حتى استنفد ما لديهم، مما أجبرهم على الاستسلام، وأدى فخره واعتزازه بهذا الانتصار إلى التقدم وفرض الحصار على مدينة تيكرانوسيرت (Dikranaguerd/Tigranocerte) وتسمى أيضاً آمد (Amith/Amid) التي تقع على نهر دجلة . وقد استطاع المسلمون أن يفتحوا ثغرة في الحصار ويلتحموا مع الرومان في معركة طاحنة على أبواب المدينة، ولكن بعضاً من غير المخلصين ولّوا هاربين، فتكبدوا خسائر

بيزنطة، وذلك قبل عام ٨٠٠ م وهو العام الذي توج به شارلمان إمبراطوراً، وهذا ما ذهب إليه المؤرخ غريغوري النوري (ت ٥٩٤م)، حيث أطلق لقب إمبراطور الرومان على أباطرة بيزنطة، وكذلك المؤرخ الإنجليزي بيده (ت ٧٣٥م) أطلق لقب الإمبراطور الروماني أثناء حديثه عن قسطنطين الخامس، أما البابا هدريان الأول فيضفي لقب الإمبراطور الروماني في معرض حديثه عن الحكام في بيزنطه . وبعد تتويج شارلمان إمبراطوراً عام ٨٠٠م نجد المؤرخ اينهارت يذكر في معرض حديثه عن الإمبراطورة البيزنطية ايرين (٧٩٧- ٨٠٢م)؛ المزعومة إمبراطورة الرومان أو التي تدعى إمبراطورة الرومان . ويستعمل اينهارت أيضاً لقب إمبراطور القسطنطينية. أما المؤرخون اللاتين، أمثال فوشيه الشارتري فيكتفي بذكر لقب الإمبراطور عند حديثه عن الإمبراطور البيزنطي، والمؤرخ الفرنسي أدو أف دويل، يذكر لقب إمبراطور اليونان أو إمبراطور القسطنطينية . أما المصادر العربية والاسلامية، فقد درجت على إطلاق كلمة الروم على الإمبراطورية البيزنطية، ولقب إمبراطور الروم على حاكم هذه الإمبراطورية، انظر: محمود سعيد عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص ١٠- ١٢].

[1] إن الدمستق مخضع الشرق أصبح محط أنظار المؤرخين البيزنطيين، ويعتبره الأرمن أرمنيا بسبب اسم مليح (Mleh) . وفي الواقع إن الإمبراطورية البيزنطية كانت في عهدها الأولى تعتمد على الأرمن للعمل في بلاطها، إذ استطاع بعضهم أن يتولى مراكز هامة .

جسيمة . ثم بنى الجيش الروماني معسكره على ضفاف النهر، في مكان يدعى أوكال (Aucal) بعيداً عن مدى سهام مدينة آمد . وبعد عدة أيام سقط العقاب من السماء على القوات المسيحية، علامة على الغضب الإلهي عليها، فهبت ريح عاتية، اهتزت الأرض من الأصوات التي أصدرتها، وثار الغبار بسبب الرياح العاصفة، فتكاثف على شكل غيوم غطت المعسكر بأكمله، ورمت الرياح أمتعة الجيش في النهر، وانغمس الناس والحيوانات في الظلمات، ولم يكن بوسعهم أن يفتحوا عيونهم حيث أصيبوا بالعمى جراء هذه الزوبعة الهائلة من الغبار . وعندما شاهد غير المؤمنين الجيش الروماني محاصراً من جميع النواحي دون أن يجد مخرجاً للتخلص من ذلك الوضع المريع . أدركوا أنه عقاب سماوي، وأن الله يقاتل إلى جانبهم، فانقضّوا جميعاً على الجيش الروماني، ونفذوا به مجزرة رهيبة، فأبادوا منه جمعاً غفيراً، وأسروا قائد الرومان وأبرز ضباطه، وجيء بهم إلى آمد وكان عدد الضباط البارزين والمقربين ما يقارب الأربعين، ولما رأى قادة المسلمين ما حل بالمسيحيين، خشوا الأمر وقالوا : " إن الدم الروماني الذي أرقناه لا يجدينا نفعاً، فهذه الأمة ستنقض علينا وتبيد جنس المسلمين، ولذلك علينا أن نتصافح ونبني جسور صداقة ونتحالف مع القائد الروماني، والضباط الذين وقعوا في قبضتنا، فبعد أن يؤدوا اليمين نتركهم يرجعون بسلام الى ديارهم"، وبينما كانوا يتداولون فيما بينهم حول الموضوع، بلغهم خبر مقتل نيقفور[1]، حينئذ أرسلوا أربعين ضابطاً إلى الخليفة[2] في بغداد فماتوا جميعهم فيها . وقد أرسل الدمستق الكبير رسالة إلى القسطنطينية يبين فيها اللعنة التي حلت بهم : " إننا لا نستحق هذا الحكم وأن ندفن موتانا بموجب العادات المسيحية في أرض مقدسة، ولم ننل مثوى آخر لعظام

---

[1] إن مقتل نيقفور كان قبل ثلاث سنوات من حملة الدمستق مليح إلى وادي الرافدين

[2] المطيع لله (٩٤٦- ٩٤٧م) .

موتانا سوى أرض ملعونة يُدفن فيها الأشرار، كلا ! نحن لا نعترف بسيد شرعي للإمبراطورية الرومانية المقدسة، إن الموت التعيس للجم الغفير من المسيحيين ودمهم المراق تحت أسوار آمد، وموتنا على أرض غريبة، أحملكم مسؤوليته وأشكوكم إلى الرب السيد المسيح يوم الحساب، إذا لم تنتقموا من هذه المدينة انتقاماً مبيناً". وعندما تسلم الإمبراطور زيميسكس هذه الرسالة استشاط غيظاً كالنار التي تأكل كل شيء في وجهها، فجنّد جيشاً في السنة ذاتها من كافة أنحاء الغرب، وسار به إلى المسلمين، وتهيأ لدخول أرمينيا.

٤/IV في هذه الفترة كان الأمراء الأرمن والنبلاء والأغنياء وأسياد الأمة في الشرق[1]، يجتمعون مع الملك آسشود البجراتيد (Aschod Le Bagratide)[2]، وكان من ضمن هؤلاء والملوك، فيليب (Philibe) ملك

---

[1] هذا التعبير (Sուն արևելից) (بيت) يعني في اللغة الأرمنية، الأمة الشرقية أو الشرق، ويحدد الأراضي الممتدة من شرق الفرات حتى بحر قزوين، وتشكل هذه الحدود أرمينيا الكبرى، ومن المحتمل أن موقعها الجغرافي وجد معارضة من الإمبراطورية اليونانية، وهذا الموقع لا يعود إلى أكثر من القرن الثاني عشر ميلادي، وهي سيطرة الأمراء الروبينيين (Roupeniens) على سليسيا.

Dulaurier (Ed.) , Bibliotheque historique arme'nienne, ou choix des principaux historiens arme'nienns traduits en francais, t. I, contenant la chronique complète de matthieu d'Édesse et la continuation par Grégoire le Prêtre (952-1163) . In-8°. paris , 1858. et Encyclique et letters Familieres de Saint Nerses Schnorhali, texte del'edition de saint, petersbourg, 1788, in-4^0, et trad . latine de M. labbe cappelletti, Venise, typogr. Des RR.PP.Mekhitharistes de saint lazare 1833, 2 vol. In-8^0, passim).

[2] آسشود الثالث، هو الملك الثالث في السلالة البجراتيدية لمدينة آني (Ani) وكان يلقب بالرحيم بسبب عطفه على الفقراء، ويذكر كاتب الحوليات الأرمني صموئيل الآني (Samuel d'Ani) في كتابه

Une traduction de l'ouvrage entire de Samuel d'Ani, moins la continuation a ete donnee a la suite de la chronique d'Eusebe, par Angelo Milan et Zohrab, 1818, in-4, p.68-69.

إن حكم آشسودII امتد من عام ٤٠٢ من التقويم الأرمني (٩٥٣/٤/٢ - ٩٥٤/٤/١م) وحتى ٤١٩ (٩٧٠/٣/٢٩ - ٩٧١/٣/٢٨) . ويبدو أنه عاش حتى نهاية عام ٩٧٥م، كما تؤكد الرسالة التي بعثها إليه الإمبراطور زيميسكس، ليعلمه بالانتصارات التي حققها على العرب خلال ربيع تلك السنة (انظرص ٤٨- ٤٩)، بينما يرى تشانيتش أن حكمه امتد إلى عام ٩٧٧م . Tchanitch, Histoire d'Armenie, t. 11.p.850

1 ينتمي فيليب إلى سلالة ملوك جابان أو فاريسوس (Pharicos) وهي دولة صغيرة في مقاطعة يونيك (siounik) في أرمينيا الشرقية، وكان فيليب ابن وولي عهد تاجوين سيفاتا (Taguin-sevata) ويعد سينكاريم والد غريغوري المعاصر لمتى الرهاوي من هذه السلالة . إن المؤرخين الأرمن مثل اتين اكوغيا

Acogh'ig, Étienne , de Daron, auteur armenien des X et XI siècles, Abrégé d'histoire universelle, publié, mais sur un manuscrit tronqué , par L'archimandrite Garabed Schahnazarian, dans sa Galerie historique arménienne , in- 12 , paris , 1859; traduit en russe par M. Nikita Ossypitch Emin, in – 8°; Moscou,1864

وفارتان في كتابه Vartan, auteur arménien du XIII siècle, Abrégé d'histoire universelle, depuis l'origin edu monde jusqu'en 1267, publie par M. Emin, in-8°, Moseou, 1861, et par les religieux mĕkhitharistes de Saint-Lazare, in-8° , Venise, 1862; traduit en russe par M.Emin, in-8°, Moscou, 1861

واتين اوربلين في كتابه Orbêlian (Étienne), de la famille des princes Orbêlians, archevêque de siounik', auteur arménien du XIII siècle, Histoire de la province de Siounik', publiée par M.Emin, in-8°,Moscou, 1861, et par l'archimandrite Garabed Schahnazarian. 2 vol. In-12, Paris, 1859

يعبرون بطريقة مبهمة ومتناقضة حول استمرار ونهاية أمراء جابان، ولذلك يصعب الأخذ برواياتهم، وحسب رواية اكوغيا (Acogh'ig, historique arménienne, (Liv, III, ch. XL VIII إن كاكيج الأخرى (Kakig) ملك أرمينيا وفادلون

(Kourken) [١] وأبــاس (Apas) ســيد قــارس (Gars)[٢]، وســينكريم (Senekerim)، سـيد فاسـبوراغان (Vasbourgan) [٣]، وكـوركين سـيد

(Phadloun) الكردي أمير تيفين (Tevin) قد تنازعا، ثم تقاسما دول أمراء جابان بعد موت سيناكريم (Sinakerem) وغريغوري (Gregoire) ومن جهة ثانية فإن متى الرهاوي:, ch.CXXVI Dulaurier,Bibliotheque historique arme'nienne يخبرنا بأن غريغوري كان ما يزال حياً في عصره مع أن متى كان متقدماً قرناً عن اكوغيا (Acogh'ig, historique arménienne) ولشرح هذا التناقض يشير تشاميتش . Tchanitch, Histoire d'Armenie, II,p.1042-1046 إلى عودة هذه السلالة إلى الحكم عن طريق قادة عسكريين جدد، وهناك اثنان من هؤلاء القادة حملوا اسم سيناكريم وغريغوري.

1 كوركين أو غوريغي (Gurigue) الأول، هو الابن الثالث للملك أسشود الرحيم، وكان قد حصل على إقطاعية من شقيقه الأكبر، الملك سمباد الثاني (Sempad II) وهي إقطاعية أجواني (Aghouanie) أو الباني (Albanie) الأرمينية، مات عام ٩٨٩م، وينحدر من سلالة البجراتيد الملقبين بالجورجيين (Goriguians) الذين يقيمون في لور (Lore) المدينة الرئيسة في ولاية داشير (Daschir) من مقاطعة كوكارك (Koukark)، وقد تلاشت هذه السلالة في أواسط القرن الثالث عشر ميلادي .

2 أباس هو ابن موسشيغ (Mouschegh) شقيق آسشود الرحيم الذي منح موسشيغ مدينة قارس وولايتها، فانانت الصغيرة (Vanant) وتكملة للإلتباس الذي ذكره مؤرخنا في سلسلة تاريخ البجراتيد، إذ يقدم حكم أباس مع أنه تولى العرش عام ٩٨٤م بعد موت أبيه موسشيغ، وكان وجود هذه المملكة عابراً، فقد انتهت عام ١٠٦٤م بعد أن تخلى عنها كاكيج (Kakig) ابن أياس لصالح الإمبراطور قسطنطين دوكاس (Constantin Ducas) .

3 سينكريم جون (Senekerim Heon) ملك فاسبورغان من عائلة اردزوني (Ardzrouni) القوية، وقد سيطرت هذه العائلة على مقاطعة فاسبورغان، وتعود أصولها إلى ادراميليش (Adramelech) ابن سنحاريب ملك أشور، ومتى الرهاوي استبق قدوم سينكريم ملكاً على فاسبورغان، مع أنه لم يصبح ملكاً إلا في عام ١٠٠٣م. وفي فترة لاحقة من عام ١٠٢١م، تنازل عن ولايته إلى الإمبراطور بازيل الثاني (Basile II) .

انتزيفاتسيك (Antzevatsik) [1]، بالإضافة إلى بيت ساسون (Sacoun) [2].
وقد قاموا ببناء معسكراتهم في ولاية حارك (Hark) [3]، وكان عددهم

---

1 كاتشيج كوركين (Khatching Kourken) الأخ الأكبر للملك سينكريم جون، وكان الأخير قد استولى على سيادة فاسبورغان على حساب أولاد أخيه كاتشيج كوركين، بعد وفاته، وهم تيرنيغ (Terening) كاكيج (Kakig) وآسشود (Aschod). أما مقاطعتا انتزيفاتزيك (Antzevatsik) وريشدونيك (Rechdounik) من ولاية فاسبورغان، فقد انتقلتا كإقطاعية إلى عائلة اردزروني. ويبدو أن متى الرهاوي نصب سينكريم جون ملكاً على فاسبورغان قبل أخيه كاتشيج كوركين، إذ إن سينكريم لم يكن إلا أميراً على ريشدونيك (Reschdounik).

Ardzrouni (thomas), auteur arménien du x siécle, Histoire de la famille (satrapale puis royale) des Ardzrounis, jusqu'en 996, continue'e par un anonyme jusqu'en 1226, grand in 8°. Constantinople, 1852.Dulaurier (Ed.) Recherches sur la chronologie arménienne technique et historique , t. I ,In-4° . paris, 1859 .e, t. I. , 2 partie, Anthologie chronologique, n es xxxIII, xxxlv er xlv.)

2 إن تعبير بيت ساسون (Maison de Secoun) صيغة أنيقة في اللغة الأرمنية / ويفهم من متى الرهاوي أنهم سادة هذه المقاطعة التي تعتبر من أعظم المقاطعات في ولاية اقتزنيك (Aghetznik) وتعرف عند الكتاب البيزنطيين ارزنان (Arzanen / ارزان) الواقعة غرب وادي الرافدين الأرمنية.

CF,Saint-Martin.Mémoires historiques et géographiques sur l'Arménie, 2 vol. In-8°. Paris,1818 et 1819. t.I,P. 156

3 قطر يدعى (Xapxa) وقد سماه قسطنطين خاركا Constantini Porphyrogeniti de Administrando imperio , cap.xllv وهي مقاطعة من ستة عشر مقاطعة في ولاية دوروبيرن (Dourouperan)، وهي العاصمة، وكانت تعرف قديماً: مانافازاكرد أو مانازكرد أو ماندزكرد (Manavazguerd) أو (Manazaguerd) أو (Mandzguerd) منزكرت باليوناني، واليوم تعرف ملازكرد (Melazguerd)، تقع في ولاية ارضروم (Erzeroum).

(٨٠,٠٠٠) رجل . وقد جاء مبعوثو الإمبراطورية لمعاينة الأمة الأرمنية، فوجدوها مجتمعة تحت قيادة جيش واحد في نفس المكان . فرجع المبعوثون لإخبار زيميسكس وبرفقتهم ليون الفيلسوف (Leon Philsosphe) [١]، والأمير سمباد ثورنيتسي [٢] (Sempad Thornetsi) وشخصيات أخرى من الأساقفة والأطباء ممن ينوبون عن قادة الأرمن، وقد استطاع هؤلاء المبعوثون تأسيس دعائم السلام والتحالف بين الإمبراطور وآسشود .

Cf, Indjidji (Le P. Luc) , Description de l'Arménie ancienne, In-4°.Ibid. 1822 , p. 115-116.et Alischan (le R. P. Léonce), religieux mêkhitbariste de Venise, Géographie politique, et Topographie de la Grande Arménie (en arménien), in 4°. Venise,1853.in -4⁰, s 82) .

1 بانتاليون (Pantaleon)، فقد ورد هذا الاسم في إحدى الرسائل التي أرسلها زيميسكس انظر ص ٦٢ .

2 سمباد ثورنيتسي (Sempad Thornetsi) ملك ولاية داشاهان (Dchahan) الواقعة في أرمينيا الثالثة . وكان سمباد وليون نائبي الأرمن المتحالفين مع الإمبراطور زيميسكس، وقد زارا القسطنطينية، فأحسن الإمبراطور استقبالهما، ومنح ليون لقب رئيس الأطباء والفلاسفة، وسمباد لقب الرجل الأول في الحرب والرماية .

(CF. Sur ces deux Mots Du Cange , In Anne Comnene Alexiadem note, P.30, Constantini, Porphyrogeniti de Administrando imperio, P.66-68 et 129-130) .

بينما منح سمباد رتبة قاضي، كأول أرمني يحصل على هذه الرتبة، وقد أكد ذلك المؤرخ فارتان (Vartan) والمؤرخ اكوجيج غيراغوس

Acogh'ig , historique arméniенn. Cf. Indjidji (Le P. Luc), Archéologie arménienne, 3 vol. In-4. Ibid. 1835, t. II, P.229-230, et Tchanitch, Histoire d'Armenie, II,p. t.II,p.839.

سار زيميسكس على رأس جيش كبير وتقدم إلى مقاطعة دارون (Daron) من أراضي أرمينيا، وعند وصوله إلى موسيك (Mousch) [1] توقف قبالة قلعة ايدزياتس (Aidzats) [2] . وفي الليلة الأولى كان الجيش الروماني قلقاً من مشاة ساسون، إلا أن الأساقفة والأطباء الأرمن ذهبوا إلى زيميسكس يحملون إليه رسالة من فاهان (Vahan) ممثل الكاثوليك في أرمينيا . وقد أظهرت هذه الرسالة النوايا الحسنة والتقدير للإمبراطور، وتؤكد معاهدة الصداقة بين الطرفين، وأن تنضم قوات آسشود إلى قواته، فانضم إليه عشرة آلاف أرميني من خيرة الشجعان المدججين بالسلاح، وأرسل إليه آسشود ما وعد به من ذخيرة ومؤن، وبعد ذلك عاد الدكتور ليونس (Leonce) والأساقفة وقادة الأرمن إلى الملك الأرمني بعد أن أغدق عليهم الأوسمة ومن كرم جوده .

V/٥ أعلن زيميسكس الذي كان يعرف أيضاً باسم كيرجون (Kyr Jean) الحرب ضد المسلمين، وانتصر عليهم في مواقع عدة، وكان يجتاح الأماكن ويدمرها ويسفك الدماء فيها حتى شارف حدود بغداد، وقد دمر

---

1 موسك (Mousch) قصبة مقاطعة دارون (Daron) في ولاية دوربيران (Dourouperan) وتحمل اليوم نفس الأسم الموجود في مقاطعة فان (Van) .

2 قلعة ايدزيات (Aodzoats)، أو ايدزيت (Aidzits)وتعني (قلعة العنزات) وهي قلعة حصينة من القرن السابع ميلادي، حسب ما يذكر المؤرخ جيان ماميغونين .

Mamigonien (Jean), auteur arménien du VII siècle, continuateur de L'Histoire du district de Daron de Zénob Klag, imprimé avec cedernier, au couvent de Saint-Lazare;in-8°. Venise,1832, P.36.

ثلاثمائة من المدن والقلاع والحصون حتى أساسها . غير أنه لم يتعرض لمدينة الرها ، احتراماً وتقديراً للرهبان القاطنين في الجبال والأراضي المحيطة فيها ، ويقدر عددهم بعشرة آلاف راهب، لكنه تقدم إلى آمد (Amid) بمشاعر يملؤها الحقد والكراهية . وتعود ملكية هذه المدينة إلى امرأة ، وهي أخت الأمير المسلم حمدان (حمدون) [1] . وكان لزيميسكس مع تلك المرأة تجارة إجرامية في السابق، وقد دعمت هذه الحادثة الجهود الموجهة لإخضاع مدينة آمد ، غير أن المرأة تقدمت إلى سور المدينة ووقفت بجواره وأسمعت الإمبراطور هذه الكلمات : " لماذا أتيت؟ لتشن حرباً على امرأة ، دون أن تفكر أنه سيجلب لك العار " . فأجابها زيميسكس : " لقد أقسمت أن أدمر أسوار مدينتك ، ولكن سأبقي على سكانها أحياء. " فأجابته : " ما دام الأمر كذلك ، اذهب ودمّر الجسر الذي يعلو دجلة ، وبذلك تكون قد أوفيت بقسمك " اتبع الإمبراطور النصيحة . وعاد من آمد محملاً بالذهب والفضة دون أن يشن أي هجوم بسبب تلك المرأة ، ولأن أصله من ولاية خوزان (Khozan) من مكان يدعى حالياً تشيمس شقادزاك (Tchemeschgadzak) وكانت تلك المرأة من هذه البلد ، وكان المسلمون قد سيطروا آنذاك على عدد من المناطق ، فقام الإمبراطور

---

[1] هذه الأميرة ربما تكون شقيقة سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله أبو الهجياء حفيد حمدان بن حمدون أمير قبيلة تغلب بن وائل الذي حكم حلب ، وقد امتد حكم من خلفه حتى عام ١٠١٤م . وحكم فرع آخر من هذه القبيلة الموصل حتى عام ٩٧٩م .

بعبورها مخلفاً وراءه أنهاراً من الدماء حتى وصل مشارف بغداد . وبعد أن قام بصولاته في كل الاتجاهات، بدأ بالتسلل إلى الداخل، فاتجه نحو مدينة القدس [1] . وكتب إلى آسشود ملك أرمينيا رسالة تتضمن الآتي [2] :

VI/1- "آسشود شاهنشاه [3] أرمينيا الكبرى، ابني الروحي، إسمع وتعلم من الآيات التي أبدعها الرب من أجلنا، وانتصاراتنا التي تنم عن إعجاز، وتظهر أنه من المستحيل التكهن بالرأفة الإلهية، المتمثلة بالأوسمة الرفيعة من الآيات المستمدة من إرثه في هذه السنة، وبواسطة الرب أردنا بهذه الأوسمة أن تزين مجدك، آهٍ يا آسشود، يا بني، تعلم كمسيحي ومؤمن وصديق وفيّ لجلالتنا أنك ستبتهج لما حققناه وستمجد عظمة السيد المسيح وستعرف أن الرب هو الحامي الدائم للمسيحيين، وأنه يسمح لأبانا

---

1 لم يصل زيميسكس القدس، وما يؤكد ذلك أن مسلك رسالة الأمير كان بعيداً عن القدس.

2 ويبدو أن هذه الرسالة كتبها زيميسكس بعد رجوعه من حملته على سوريا في خريف عام ٩٧٥م، وكان قد توغل في السنة السابقة في بلاد آشور حتى ما وراء دجلة وفي شمال سوريا .

(CF Pagi , Critica in annales Baronii, . p. 974, et Léon le Diacre, éd. Hase, in-fol. . nota, P.250.

وقام ما بين هاتين الحملتين بالرجوع إلى القسطنطينية لقضاء الشتاء فيها.

3 شاهنشاه، تعني بالفارسية ملك الملوك، وقد أطلق خلفاء بغداد هذا اللقب على حكام البجراتيد مثل : آسشود II وكاكيج I ، بينما كان يدعى آسشود الثالث شاه أرمينيا (ملك أرمينيا)، ونرى في رسالة زيميسكس أنه يستخدم لقب شاهنشاه . وقد أطلق لقب شاهنشاه على سمباد II ، بينما أطلق لقب شاهنشاه أو شاه على أمراء البجراتيد .

(CF. Dulaurier , Bibliotheque historique arme'nienne, ,ch Ixxx VIII) .

في السماء أن يقطع دابر العبودية في الشرق الفارسي [1]، وستعلم كيف جلبنا من نصيبين (Nisibe) [2] مدينة المسلمين ذخائر البطريرك القديس جاك (Jacques)، وكيف جعلناهم يدفعوا لنا الجزية التي فرضوها علينا في السابق، وكيف حررنا الأسرى منهم، وكان من أهداف حملتنا، معاقبة غطرسة وكبرياء أمير المؤمنين حاكم الأفارقة المسمى ماكير العرب[3] (Maker Arabes). والذي تقدم نحونا بجيش كبير، وقد شكل

---

1 لم يتقدم زيميسكس في هذه الحملة أبعد من دارون (Daron) الواقعة في الشمال الشرقي من وادي الرافدين حيث الحدود مع أرمينيا الكبرى والبلاد التي تمثل نقطة عبور إلى بلاد الفرس، وهي أقصى حدود شرقية للإمبراطورية اليونانية.

2 إن القديس جاك النصيبي (Jacques de Nisibe) من عائلة الارساسيد (Arsacides) المالكية من فخذ سورين بهلف (Souren Bahlav) من أبناء خوسروفوي (Khosrovouhi) شقيقة اناج (Anag)، وأب للقديس غريغوري المستانير (Illuminateur) البطريرك الأول لأرمينيا، وقد تأكد ذلك في مجمع نيقيا (Nicee) عام ٣٢٥م.

Cf. Aucher (le R.P. Jean-Baptiste), religieux měkhithariste de Venise: Vies des saints (en arménien). 12 vol. in-12.Venise, 1810-1815., t.x.p.4. et saiv.

ويعتبر هذا المرجع، بمثابة تتمة لما تم نشره عن هذه الأسرة بالأرمنية مع ترجمة بالاتينية من قبل الكردينال انتونيلي (Antonelli) في روما عام ١٧٥٦م.

3 هذه الكلمة والتي استنبط منها الأرمن الصفة موخراغان (Mokhragan)، استخدمها القديس نيرسز (Nerses) في مرثيته لسقوط مدينة الرها.

(Nersès (saint) schnorhali (le Gracieux), patriarche d'Arménie,XII siècle, Élegie sur la prise d'Édesse par l'atabek Emâd-Eddin Zangui; in-12, paris, 1828, in-8°, P.27.

وموغري (Mough'ri) هي تحريف للكلمة العربية (مغربي)، وتطلق على وجه الخصوص من كان أصله من المغرب. لكن متى الرهاوي استخدم تعبير الأفارقة أيضاً، وبهذه التسمية المزدوجة التي استخدمها يعني بها المصريين. وأمير المؤمنين

في البداية خطر على جيشنا، لكن نجحنا في هزيمتهم بفضل قوتنا الحذرة، ولنصرة الله لنا، فاضطرت قواتهم إلى الانسحاب مهزومة شأن كل أعدائنا، وسيطرنا بعد ذلك على مناطق بلادهم الداخلية، بعد أن سفكنا دماء سكانها، وبحلول فصل الشتاء انسحبنا بسرعة إلى أراضينا لقضاء الشتاء فيها.

وفي بداية نيسان عززنا سلاح الفرسان وجهزنا حملة، دخلنا بها أراضي فنيقيا (Phenicie) [لبنان] وفلسطين (Palestine)، في أثر الأفارقة الملاعين الذين هرعوا لنجدة الشام (سوريا)، وتركنا إنطاكية بكامل جيشنا، وتقدمنا مباشرة عبر البلاد التي كانت خاضعة لنا، وأعدنا سيطرتنا عليها، وطبقنا فيها قوانيننا، وفرضنا على أهلها جزية كبيرة بعد أن أخذنا الأسرى منهم. وعندما وصلنا إلى مدينة حمص (Emese) [1] قام سكانها الذين كانوا في السابق يدفعون الجزية لنا باستقبالنا خير استقبال. ثم قصدنا مدينة بعلبك التي تحمل اسم هيليوبوليس (Heliopolis) أي مدينة الشمس، وهي مدينة جميلة، ضخمة، غنية ومليئة بالمؤن، وقد خرج لنا سكانها بشكل عدواني متأهبين للقتال فأجبرتهم قواتنا على الفرار، ونكلت سيوفنا في رقابهم، ثم حاصرنا المدينة، وقبضنا على عدد من الأسرى، واستحوذنا على كميات كبيرة من الذهب والفضة، وعدد من الماشية. وتابعنا سيرنا متجهين نحو مدينة دمشق الكبيرة وبنيتنا الحصار، لكن حاكمها الذي كان شيخاً فطناً، أرسل

الذي اختلط الأمر به على زيميسكس هو الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي الذي تولى الحكم في مصر عام (٩٧٢م / ٣٥٢هـ).

[1] كانت مدينة حمص تحت سيطرة الأمراء الحمدانيين في حلب، وكان حاكمها سعد الدولة ابن سيف الدولة.

إلينا وفداً محملاً بالهدايا النفسية، ملتمسين أن لا نأخذهم أسرى أو عبيداً، كسكان بعلبك، وأن لا ندمر مدينتهم كما حل بسابقيهم، فقدموا لنا الهدايا الفاخرة، وعدداً من الخيول الأصيلة، وبغالاً جميلة وأسرجة مرصعة بالذهب والفضة. والجزية التي دفعها العرب زادت على أربعين ألف تايغان[1] (Tahegans) من الذهب وزعت عن طريقنا على جنودنا. وكتب السكان المحليين رسالة لنا، يعدنا فيها بالبقاء تحت طاعتنا جيلاً بعد جيل وإلى الأبد، وأقمنا على حكم دمشق رجلاً قدم من بغداد يدعى التركي (Le Turk) وبرفقته خمسمائة فارس، فقدم ولاءه لنا باعتناقه المسيحية، وكان على علم بسطوتنا فأقسم هو وفرسانه بالالتزام على دفع الجزية بشكل مستمر، وهتفوا بالمجد لجلالتنا، وتعهدوا على محاربة أعدائنا، وبمقتضى هذه الشروط تركناهم وشأنهم. ومن هناك توجهنا نحو بحيرة طبريا، حيث قام سيدنا المسيح بمعجزته مع سمكتين وخمس خبزات من الشعير، فعزمنا على حصار المدينة غير أن سكانها أعلنوا خضوعهم لنا. وترتب عليهم مثلما فرض على سكان دمشق،

---

[1] يبدو أن عملة التايغان كانت مساوية للدينار عند العرب، وفي بعض الأحيان كان مرتبطاً بالدينار البيزنطي، وتعني في الفارسية (دهقاني) وكان يوجد نوعين من التايغان أحدهما ذهب والآخر فضة.

(CF. Dulaurier (Ed.) , Bibliotheque historique arme'nienne, ch. IX,note 2, et Aucher (Le p. Pascal), Traité des monnaies, poids et mesures des anciens (en arme'nien) , in-4°. Venise, 1821., P.71-74et 199.

ويتكلم متى الرهاوي عن التايغان في (ص ٢٤٨) من كتابه، وكذلك وليم الصوري، يخبرنا بنفس الطريقة عن عملة سميت باسم الإمبراطور ميشال دوكاس (Michel Ducas) (Michaelita).

الهدايا الفاخرة، ومبلغ ثلاثين ألف تايغان، ناهيك عن الأمور الأخرى، وطالبونا أن ننصّب قائداً منا عليهم، وكتبوا تعهداً يلتزمون فيه بالبقاء مخلصين لنا مع دفع الجزية إلى الأبد، وعليه، تركناهم أحرارا، وأعتقناهم من الأسر، والعبودية، وامتنعنا عن تدمير مدينتهم، وتخريب أراضيهم، وأعفيناهم من دفع ضريبة استخدام الطرقات؛ لأن مدنهم كانت موطن رسل السيد المسيح، ثم توجهنا بعد ذلك إلى الناصرة المدينة التي تلقت فيها مريم العذراء أم الرّب البشرى الطيبة من الملاك. وقصدنا بعدها إلى جبل طابور (Thabor)، حيث المكان الذي تجلى فيه سيدنا يسوع المسيح، وخلال صعودنا، جاءنا أناس من الرملة والقدس، يتوسلون إلينا ويلتمسون الرحمة، وطالبوا بتنصيب شخص ليحصل الجزية، ويفرض سيطرتنا، فكان لهم كل ما رغبوا به. وكانت رغبتنا تحرير قبر المسيح من دنس المسلمين. وقد عينا عدداً من الحكام العسكريين في كل الثيمات [المقاطعات] لتحصيل الجزية في بيسان التي كانت تسمى الديكابوليس [1] (Decapolis) / جنزاريت (Genesareth)، وعكا التي كانت تسمى بتوليماي [بطلمية] (Ptolemis)، وتعهد السكان خطياً بدفع جزية سنوية ثابتة، والعيش تحت كنف سلطتنا. ثم انطلقنا نحو قيصرية [قيسارية] التي تقع على ساحل المتوسط، وكان قد تقلص حجمها، ولو أن هؤلاء الملعونين الأفارقة الذين بنوا فيها مساكنهم، لم يلجأوا إلى القلاع الساحلية، لكنا ذهبنا مسلحين بنصرة الرب إلى المدينة المقدسة القدس،

---

[1] إن كلمة (Պէնիադպոլ) بينيات محرفة، والحقيقة أنه عندما تتبعنا مسير زيميسكس باتجاه الجنوب من الناصرة إلى جبل الطابور وصولاً إلى مدينة بيسان أو سكيثوبوليس (Scythopolis) الواقعة غرب نهر الأردن وجنوب بحيرة طبريا، حيث كانت تعد المدينة الرئيسة للمدن العشرة (الديكابوليس) ومن هذا يتبين أصل الاسم الذي ذكره زيميسكس.

ولاستطعنا الصلاة في تلك الأماكن المقدسة . ولما انهزمت شعوب الساحل، قمنا بإخضاع القسم الأعلى من البلاد للهيمنة الرومانية، واستبدلنا حاكم المنطقة، وكسبنا ود السكان، لكن الذين أظهروا العصيان أجبرناهم على الاستسلام . ثم تتبعنا الطريق الساحلي الذي يفضي بخط مستقيم إلى بيرت (Beryte) وهي مدينة مشهورة، محصنة بأسوار منيعة، وتحمل هذه الأيام اسم بيروت (Berouth)، وقد فرضنا سيطرتنا عليها بعد قتال شديد، وأسرنا ألفاً من الأفارقة، بالإضافة إلى نوصيري (Nouceiry) قائد أمير المؤمنين، وعدد آخر من الضباط ذوي الرتب العالية، وعهدنا هذه المدينة إلى حاكم من اختيارنا، وبعد ذلك تابعنا السير إلى صيدا، وعندما علم السكان بنيتنا، أرسلوا مبعوثيهم إلى جلالتنا، يناشدونه أن يدفعوا الجزية ويصبحوا عبيداً لنا للأبد . ووفقاً لهذه التعهدات استمعنا لتضرعاتهم، وحققنا إرادتهم، ففرضنا الجزية، وعين عليهم الحكام، وتابعنا السير متجهين نحو [جبيل] بيبلوس (Byblos) وهي مدينة عريقة ومنيعة، استولينا عليها عنوة، وأسرنا حاميتها، وبعدها تابعنا احتلال كل المدن الساحلية، وأخذنا سكانها عبيداً، ثم سلكنا طريقاً ضيقة لم يسلكها فرسان من قبل، فكانت شاقة ومتعبة، وصادفنا مدناً آهلة بالسكان، وحصوناً تحميها أسوار قوية، وحاميات من العرب، فحاصرناها، ودمرناها جميعها وأخذنا سكانها أسرى. وقبل الوصول قبالة طرابلس أرسلنا خيالة [الثيمات] ثيماتسيس (Thimatsis)[1]

[1] إن كلمة ثيماتسي (Thimatsi) (Թիմացի) إذا لم أكن مخطئاً فهي صفة عرقية من أصل يوناني، وثيما تعني تقسيمات أراضي الإمبراطورية اليونانية، ويقصد بها أيضاً الفيالق، بينما يقصد بها هنا الخيالة من الجيش ثيماتسيس، ومن المحتمل أن يكون الجيش المتمركز في مقاطعات فينقيا (Phenicie) أو الميليشيا (Milices) هم الفرسان الذين يشكلون جزءاً من جيش زيميسكس .

وداشكاماداتسيس (Daschkhamadatsis)[1] إلى ممر كاريرس[2] (Kareres)، لأننا علمنا أن الأفارقة الملاعين كانوا قد تمركزوا في هذا الممر، فأمرنا قواتنا بالتربص وتجهيز كمين قاتل لهم، فنفذت أوامرنا غير أن الفين من الأفارقة اكتشفوا ذلك فانقضوا على قواتنا، ولكن تمكنا من قتل عددٍ كبير منهم وأسر عدد آخر اقتيدوا على مرأى منا، واحتجزنا عدداً من الأسرى من كل حدب وصوب، ونهبنا كل مقاطعة طرابلس، وخربنا جميع مزارع الكرمة، والزيتون والبساتين، ونشرنا الدمار والخراب في كل مكان، ولكن الأفارقة الذين تمركزوا، تجاسروا بالتقدم نحونا فانقضضنا عليهم فجأة، وتمكنا من إبادتهم جميعاً، وتمكنا من فرض سيادتنا على المدينة الكبيرة دجول (Djouel) وتسمى أيضاً جابون (Gabaon)[3] وعلى بلاني (Balanee) وصيهون

---

1 مما لا شك فيه أنها كلمة يونانية محرفة، ويمكن التعرف عليها من خلال التعبير تكسايتون أو نكسيفيو والمقصود بها حامية : إن داشكاماداتسيس من الممكن أن تكون تكساتي العائدة على ثيوفان (Theophane) في كتابه :

Théophane, Chronographie, dans le Corpus sciptorum historiæ Byzantinæ. Cf. Cedrenus , Compendium historiarum.

2 هذا الممر موجود في وديان لبنان، بالقرب من طرابلس، وتعني في الأرمنية مقابل الحجر أو مقابل الصخرة.

3 إن كلمة دجول أو جويل هي نسخ لإسم عربي لمدينة جَبلة، جبيلة أو جبالة، تقع على الساحل الفنيقي بين اللاذقية في الشمال وبلاني في الجنوب، إن زيميسكس والناسخ الأرمني يؤكدان أن هذه المدينة تحمل اسم جابون وربما هذا سبب الترادف الشبه بعيد بين اسم جبالة وجابون، لكن جابون، هي مدينة لسبط بنيامين، تقع شمال القدس، لكن لا تقع ضمن مسار جيوش زيميسكس التي كانت تسير على طول السواحل السورية .

(Sehoun) [1]، بالإضافة إلى مدينة بورزو (Bourzo) [2] المشهورة، ولم يعد حتى الرملة وقيصيرية لا بحر ولا أرض إلا وخضع لنا بقوة الرب الذي لا مخلوق سواه.

---

1 صيهون في العربية تعني صهيون، وهي مدينة صغيرة، وقلعة حصينة من ضمن أراضي إنطاكية، وهذه القلعة تقع على قمة جبل، محصنة بالأودية السحيقة والعريضة، عوضاً عن الخنادق. يحدد أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٥٧. وكان صهيون في الشرق من اللاذقية حيث الجنوب. ويقرأ في القاموس الجغرافي العربي المسمى البغدادي: عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ١٣٢٨م/ ٧٣٩هـ)، مراصد الإطلاع، ٣جـ، دار الجليل، بيروت، (د. ت)، ج٢، ص ١٧٢. " إنها قلعة حصينة جداً، تقع في إحدى ولايات الساحل وتتبع لمدينة حمص، لا تشرف على البحر لكنها تقع على قمة جبل، خنادقها عبارة عن أودية سحيقة وعريضة، وحفر لها من إحدى الجهات خندقاً في الصخر بعرض ستين ذراعاً تقريباً. والقلعة محصنة بثلاثة أسوار منها اثنان أمام الضيعة والثالث أمام القلعة".

Ansbert, Historia de expeditione Friderici imperatoris, éd. Jos. Dobrowsky , in-8° .Prague,1827.

2 مدينة حصينة تربض على إحدى القمم الأكثر ارتفاعاً في سلسلة جبال لبنان، (Léon le Diacre, P.103) والعرب يسمونها بَرزوية (Berzouia) أو بُرزية (Borzia) ويحددون مكانها إلى الشمال الغربي من مدينة أفاميا (Apamee) على مسيرة يوم، وبنفس المسافة إلى الشرق من صهيون. أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٦١، البغدادي مراصد الإطلاع، ج١، ص ١٤٣.

إن فتوحاتنا وصلت إلى بابل العظمى [1]، وقد أملينا قوانيننا على السكان، وجعلنا منهم عبيداً لنا، وذلك لأنه خلال خمسة أشهر جبنا البلاد بقوات كثيرة، ندمر المدن، ونخرب المقاطعات، دون أن يتجرأ أمير المؤمنين الخروج من بابل لمواجهتنا، أو حتى إرسال فرق الخيالة لنجدة قواته، ويجب أن تعرف يا صاحب المجد أنه لولا الحرارة الشديدة، والطرق الخالية من المياه في الأماكن المجاورة لتلك المدينة، لاستطعنا الوصول إليها؛ لأننا طاردنا هذا الأمير حتى مصر، وانتصرنا عليه بفضل الله الذي وهبنا تاجنا.

إن فينيقيا وفلسطين وسوريا أُعتقت من طغيان المسلمين، وأخضعت للرومان، وكذلك الجبل الكبير في لبنان خضع لحكمنا، وكل العرب الذين احتللنا أراضيهم وقعوا أسرى بين أيدينا بأعداد هائلة، ووزعناهم على فرساننا. وقد حكمنا أشور[2] بلطف وإنسانية، ورفق وجلبنا منها

---

1 يقصد الكاتب بكلمة بابل تارة بغداد وأخرى القاهرة، ويستخدم كتاب الحوليات في العصور الوسطى عادة نفس التعبير بمعنى مزدوج ونرى في نهاية الرواية أن المُعضلة تكون ما بين القاهرة أو بابل مصر. فيقول جاك دوفيتري Jacques de Vitry, Jacobi de Vitriaco, episcopi Acconensis, historia Hierosolimitana, dans la collection de Bongars, t. I, p. 1047 sqq. إن بابل هي نفسها القاهرة. وهذا ما ورد أيضاً في الرسالة الثانية للبابا هنوريوس الثالث (Honorious III) في المجلد الثالث من كتاب: Martène Dom Edm, Thesaurus novus anecdotorum, 5 vol.in-fol, Paris, 171

2 ليقصد بكلمة أشور مدينة الموصل، ويؤكد بنيامين في رحلته أن الموصل هي مدينة أشور التي ورد ذكرها في التوراة، وكانت تعرف باسم نوأردشير أو بودأرشير. ومدينة أشور الواردة في التوراة يقصد بها الدولة الأشورية، وقد اصطلح اليهود على تسمية الموصل باسم أشور. التطيلي، بنيامين بن يونيه النباري الأندلسي، رحلة بنيامين التطيلي(٥٦١هـ- ٥٦٩هـ/١١٦٥م- ١١٧٣م) ترجمة عزرا حداد، المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٢م، ص٢٨٧، وهامش(١) نفس الصفحة.]

عشرين ألف شخص من أجل بناء جابون، ستعرف أن الله منح المسيحيين نجاحاً لم يمنحه أحدٌ من قبل، وقد وجدنا في جابون نعل المسيح المقدس الذي مشى به عندما نزل على الأرض، وكذلك صورة المخلص التي طعنت من قبل اليهود، حيث سال على أثرها بعض من الدم والماء، لكننا لم نجد فيها موضعا للطعن، كما وجدنا في هذه المدينة جديلة شعر المبشر يوحنا المعمدان[1]، وجمعنا بقايا القديسين وحملناها للاحتفاظ بها في مدينتنا حماها الله. وفي شهر أيلول قدنا جيشنا الذي حماه الرب بمقدرته إلى إنطاكية. لقد أردنا يا صاحب المجد أن تعرف هذه الأعمال كي ندخل عليك المسرة بعد قراءتك هذه الرسالة، ولكي تمجد من جانبك الرب، وحتى تعرف مقدار الأعمال الحسنة التي أنجزت في هذا الزمن، وكم نحن عظيمون، وأن سيطرة الصليب المقدس امتدت إلى جميع الأصقاع من هذه الأقطار، وأن اسم الرب العظيم مُجد بروعة وجلال في جميع أنحاء إمبراطوريتي. وهكذا فإن أفواهنا لن تتوقف عن ذكر الأعمال المبجلة،

---

[1] حسب ما يذكر ليون الشماس (Léon Le Diacre, P.102) أن زيميسكس وجد نعل المسيح، وجديلة يوحنا المعمدان في مدينة منبج فوضع الأولى في كنيسة أم الرب الموجودة في القصر الكبير، والثانية في كنيسة المخلص التي بناها في مدخل القصر نفسه.

(Cf. Codinus , De officiis Constantinopolitanis et de Originibus Constantinopolitanis , dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ,p. 50. Ducange , Familiæ Augustae Byzantinæ et Constantinopolis christiana , publiés à la suite du Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ .IV, I, 5. et II, 27) .

ويؤكد ليون الشماس أن زيميسكس حصل في بيروت على صورة المخلص، وهي لوحة تمثل صلب المسيح، وقد أرسلها إلى القسطنطينية لوضعها في كنيسة المخلص، ونفس الكاتب يخبرنا عن أصل المعجزة التي جاءت بهذه اللوحة والتي تذكرنا بحديث زيميسكس.

والانتصارات العظيمة التي حدثت بفضل الرب، فليتبارك رب إسرائيل إلى الأبد "

" وإلى انفوردن ليون (Anphourden Leon) حاكم تردشان (Terdchan) [1] الحاكم العسكري لدارون (Daron) سلام وسعادة للرب!

لقد علمنا أنك لم تسلم قلعة ايدزياتس (Aidzats) كما وعدتنا، فكتبنا إلى قائدنا أن لا يحتل القلعة، وعدم أخذ البغال التي كنت تنوي تسليمها لنا؛ لأننا لم نعد نحتاج إليها، لكن الأربعين ألف أوبول (Oboles) التي أرسلناها، فاعمل على حملها إلى قائدنا الذي بدوره سيرسلها إلينا، وقدر الإمكان، ستحصل على مكافأة نظير أعمالك، ومحصول يتناسب مع ما ستبذره أولاً بأول لما تستحقه " .

وكتب زيميسكس أيضاً للدكتور الأرمني ليونس (Leonce) بهذه الكلمات : " إلى صديقنا العزيز الفيلسوف المشهور : بانتاليون (Pantaleon) [2] سلام: لقد دعوتك إلى مدينتنا المباركة في أثناء عودتنا من حملتنا ضد المسلمين . عندما قدمت إلينا من طرف ابني الروحي الشاهنشاه آسشود . إذ استطعت تخفيف الأحقاد التي تأثرنا منها، وقد جلبت معك باب البجراتيدي (Bab Le Bagratide) من ولاية انتزيفاتسيك (Antzevatsik)، بالإضافة إلى سمباد تورينتسي (Sempad Thornetsi) . حاول بذل كل جهدك للقدوم إلى مدينتنا حماها الرب، من أجل أن نحتفل معاً بأعيادنا الرسمية، على شرف نعل المسيح ربنا، وجديلة القديس يوحنا

---

1 ولاية في أرمينيا العليا إلى الغرب من جارين (Garin) أو ثيودوسيوبوليس (Theodosiopolis) أرضروم (Erzeroum) .

2 هذا الاختلاف نجده في جميع مخطوطاتنا ومن المستحيل معرفة ما أن كان هذا الاختلاف ناتج عن كاتب رسالة زيميسكس إلى مؤرخنا متى الرهاوي أو من خلال ناسخ قديم وقع في هذا الاختلاف .

المعمدان . وسأكون سعيداً برؤيتك تحاور علماءنا وفلاسفتنا ، ونسعد فيكم، ليكن الله معنا ومعكم والمسيح مع عباده ! "

عندما علم الدكتور ليونس برغبة الإمبرطور، ذهب إلى القسطنطينية، فأقيمت الأعياد على شرف نعل الرب وجديلة القديس المبشر، فكانت الفرحة عارمة في مدينة الإمبراطورية، وشارك دكتورنا الأرمني في مناظرة بحضور الإمبراطور، وعلماء المدينة، وكان مقنعاً في براهينه، لأنه كان يرد على الأسئلة بطريقة مرضية للجميع، وقد أثنى عليه الجميع بالمديح، وكذلك على سيد المذهب الذي استقى منه تعاليمه . فكافأه الإمبراطور بأن أغدق عليه الهدايا الثمينة، فكان الدكتور سعيداً بهذا الاستقبال، وبعد ذلك قفل راجعاً إلى أرمينيا، نحو بيت شيراج (Shirag) [1] المشهور .

٧/VII بعد عددٍ كبير من الانتصارات والمعارك الطاحنة، انتاب زيميسكس بغتة الخوف من الموت، والرعب من حكم الرب، وبدأ يتذكر الموت الظالم الذي ألحقه بنيقفور الفاضل، ودمه الذي سفكه، فبكى وتنهد، وهو منغمس في ألم عميق، حينئذ عزم على اتباع حياة مقدسة، ليصل إذا كان ذلك ممكناً إلى التوبة بواسطة الندامة على قتل الإنسان بعد خمس سنوات فقط من جلوسه على العرش .

وبينما كان غارقاً في أفكاره اهتدى إلى إلهام صالح موافق لإرادة الله، فأرسل إلى فاكاغافان (Vacagavan) في ولاية هانتزيت (Hantzith)

---

[1] يقصد نحو الملك آشود الرحيم في آني (Ani) . أن التعبير (بيت شيراج) أُخذ عن اسم الولاية الموجودة فيها أي شيراج، الموجودة في مقاطعة أراد حيث توجد مدينة آني عاصمة قادة الفرع الرئيسي من البجراتيد الأرمن، مدينة آني دمرت بالتوالي عن طريق السلاجقة الأتراك والمغول، وعن طريق زلزال عام ١٣١٧م، وهجرت بشكل نهائي من قبل سكانها عام ١٣١٩م، ولم يبق فيها إلا آثارها الرائعة .

لجلب، بازيل (Basile) وقسطنطين (Constantin) أولاد الإمبراطور الروماني، هذين الأميرين اللذين كان قد أرسلهما بسرعة إلى مكان بالقرب من سبراميج (Sbramig)، بسبب خوفه عليهما من قساوة الإمبراطورة ثيوفانو (Theophano)، وعندما وصل بازيل إلى القسطنطينية دعا زيميسكس كبار رجال الإمبراطورية للاجتماع في قصره، وأمام هذا الجمع نزع بيديه التاج الذي كان على رأسه ووضعه على رأس بازيل، وأجلسه على العرش. وسجد زيميسكس على الأرض أمام بازيل، وبعد أن استلم هذا الإمبراطور مقاليد الحكم واستعاد عرش آبائه، خرج زيميسكس إلى الصحراء، وعاش حياة النساك في دير بالقرب من قصر له. ذلك الذي كان في الأمس يعيش في نعيم يرتدي الحلل والأرجوان، نجده الآن نديم الفقراء، ورضي بظروف معيشية متواضعة يخجل أن يستحق حتى السعادة الموعودة في الإنجيل، ويسدد الدين الذي فرضته عليه جريمته بقتل البريء نيقفور[1].

---

[1] هذه الرواية التي تشير لنهاية زيميسكس تختلف تماماً عما يرويه سيدرينوس (Cedrenus, Compendium historiarum, P.535) وزوناراس Zonaras, Annales, dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ t.II,p.169 وليون الشماس (Léon Le Diacre, P.109). وبتتبع رواية الأخير، تشير إلى أن زيميسكس في أثناء عودته من سوريا لاحظ خلال عبور جبال طوروس في سليسيا أن قصور لونجياس (Longias) ودريزي (Drizes) في وسط بلد خصيب تعرضت لغزو من فترة وجيزة من قبل جيشه، وقد احتلت من قبل بازيل، وكان زيميسكس قد اقترب كثيراً، ولكن كظم غيظه، ووصل الإمبراطور بعدها إلى سهل اتروا (Atroa) بالقرب من جبل الأولمب عند بطريرك الروم حفيد ليكابن (Lecapene)، وكان له شخص مخصي يعمل ساقي للخمر، وكان قد غنمه عن طريق الغزو فسكب لزيميسكس شراب مسموم، فرجع زيميسكس محتضراً إلى القسطنطينية، ومات في ١٠ كانون الثاني ٩٧٦م / الموافق ٤٨٥ هـ.

الجزء الثاني

أحداث الحرب الصليبية الأولى

I/1 في عام ٥٤٥ من التقويم الأرمني (١٠٩٥/٢/٢٦-١٠٩٧/٢/٢٤م) تحققت نبوءة البطريرك القديس نيرسز (Nerses)[1] المتعلقة بالحملة التي قادها الرومان (الفرنجة)، حيث كشف للأغنياء وقادة أرمينيا، وأعلمهم بها منذ سنوات سابقة، إن الذي تنبأ به هذا القديس العظيم، صانع المعجزات، الرجل الفاضل، ساعة موته، رأيناه يتحقق بأم أعيننا في عصرنا هذا . إن الرؤيا التي ظهرت لدانيال (Daniel) عندما شاهد بابل، كانت صورة حيوان متوحش، وقد تجلت الرؤيا بوضوح لنيرسز، ففسرها بقوله إن هذا الحيوان " أكل وسحق وداس الباقي برجليه، وكان مُخالفاً لكل الحيوانات التي قَبْلَهُ"[2] .

---

[1] القديس نيرسز العظيم، سادس بطاركة أرمينيا كان مرتبطاً بوالد جده القديس غريغوري (Gregoire) المستنير من فرع الأرساسيدس (Arsacides) الفرس الملقب سورين بهلاف (Souren Bahlav) الذي كان أسقفاً حسب الفترة الأكثر احتمالية ما بين ٣٦٤م- ٣٨٤م . CF.Tchamitch Histoire d'Arménie, t. III.p.109

[2] سفر دانيال ٨/٧ .

وفي السنة آنفة الذكر كان الهجوم للرومان، وانفتح باب اللاتين، وعلى أيديهم أراد الرب مقاتلة الفرس،[1] فأسكن غضبه آخذاً بما ورد على لسان النبي داؤود: "استيقظ، لماذا تتغافى أيها الرب انتبه لا لا ترفض إلى الأبد"[2]، "السيد نهض من غفوته كرجل قوي لإنزال عقابه، ودحر أعدائه، وإلحاق العار بهم إلى الأبد".

في هذه السنة، تحركت شعوب إيطاليا وإسبانيا حتى حدود أفريقيا، وكذلك الأمم الإفرنجية الأكثر بعداً بدأت بالتحرك على شكل جموع غفيرة وعظيمة، كسراب الجراد الذي لا يعد ولا يحصى أو كحبات رمل البحر التي لا يمكن عدها، وسار كبار قادة بلاد الإفرنج بكل قوة وعظمة، كل منهم على رأس جيشه؛ قدموا لكسر قيود المسيحيين، وتخليص القدس المدينة المقدسة من نير الكفرة، وتحرير القبر المقدس من أيدي المسلمين، كانوا قادة ذائعي الصيت، ينحدرون من أسر رفيعة، متسامين بإيمانهم وورعهم، تربوا على ممارسة الأعمال الصالحة. وهذه أسماؤهم: جودفري (Godefroy) الباسل، المنحدر من سلالة ملوك الروم[3]، والذي كان قد تقلد تاج وسيف الإمبراطور فاسباسيان

---

1 متى الرهاوي يستخدم اسم الفرس بأشكال مختلفة فمثلاً يستخدم اسم اللفظ (Elymeens) أو الأتراك (Turcs) من أجل تمييز السلاجقة الأتراك، الذين كانوا في ذلك الوقت سادة بلاد فارس.

2 سفر المزامير ٤٤/٢٤.

3 ينحدر جودفري من جدة شارلمان (Charlemagne) وهي مآوت دي لوفان Mahout de Louvain

(CF Ducange Histoire des principautez et des royaumes de Hierusalem , de Cypre et d'Arménie , ms . de la Bibliothèque impériale , supplément francais , n° 1224 . Fol. 1 r^{0}; Histoire littéraire de la france, par les religieux Bénédictins de Saint-Maur,

(Vaspasien) ومن ضمن تلك الأسماء بلدوين [1] (Baudoin) شقيق

1733-1763 ; continuée par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, In-4° . Paris, 1814-1867. t. Vlll, p.599.

et Art (l') de vérifier les dates , par les Bénédictins de la congrégation de Saint-Maur, éd. de 1783-1787. t. II,p.460 ,et t.III,p.9.

ومن المحتمل أن هذا السبب الذي جعل رواية الرهاوي تنسب جودفري إلى سلالة أباطرة الغرب . نظراً لامتلاكه تاج وسيف فاسباسيان، ومن الممكن الاعتقاد بأن المؤرخ الأرمني هنا كان متأثراً بالتروفيريين (Troivere) المصاحبين لجيش الصليبيين لأننا نجد في موضوع آخر مماثل نفس التقليد المتبع، وذلك في أنشودة إنطاكية، التي ألفت في بداية القرن الثاني عشر من قبل ريتشارد الحاج (Richard Le pelerine) وجددت في عهد فيليب أوجيست Philippe-Auguste عن طريق غرايندور دويGraindor de Douai الأغنية (٥) المقطع (٤) (Paris,Paulin,Paris,La chanson d'Antioche, compos2e au commencement du XII siècle, par le pèlerin Richard, enouvelée sous le règne de Philippe-Auguste par Graindor de Douay, publiée pour la première fois par P.P. 2 vol. In-8°. Paris, 1848. t.II,p.12-13)

1 بلدوين البولوني تحالف مع الأمراء الروبينين (Roupeniens) بمصاهرته لإحدى علائلاتهم، كما يخبرنا وليم الصوري، ج١، ص ٤٧٧ - ٤٧٨ . والبرت دكس (Albert d'Aix , Historia Hierosolimitane expeditionis edita ab Alberto canonico ac custode Aquensis ecclesie , super passagio Godefridi de Bullione et aliorum principum , dans la collection de Bongars , p. 184 sqq. III, XXXI)

وذلك بزواج بلدوين من اردا (Arda) بنت ثوروس (Thoros) أو تافروك (Tafroc) حسب ما ورد عند وليم الصوري، أو تاتوس (Tatos) حسب الترجمة الفرنسية، أو تافنوز (Taphnuz) حسب ما ورد عند البرت دكس . وتوروس هو شقيق قسطنطين ابن روبين . ويضيف البرت دكس أن زواج الأمير الفرنسي بلدوين من أردا، جعله يحصل على مهر لها من والدها قدره ستون ألف دينار بيزنطي، كما حصل على وعد من والدها بأن ورّث ابنته أملاكه بعد وفاته . لكنه لم يدفع من المبلغ إلا سبعة آلاف

جودفري، والكونت الكبير بوهيمند (Boemond) وابن اخته تنكريد (Tancrede)،والكونت سانت جيل (Saint-Giles) وهو رجل من المشاهير الكبار، وذو منزلة رفيعة، وروبيرت (Robert) كونت نورماندي (Normandie)، بالإضافة إلى بلدوين آخر[1]. وبعدها قدم الكونت جوسلين (Josselin) المتميز بشجاعته وقوته . هؤلاء المحاربون البواسل تقدموا بجيوش لا تعد ولا تحصى كنجوم السماء، وكان يسيرُ على أثرهم حشد من الأساقفة والخوارنة والشمامسة . وكان طريق الإفرنج شاقاً في المقاطعات النائية للإمبراطورية الرومانية، فبعد جهد كبير استطاعوا عبور بلاد هنغاريا من خلال مضائق وشعاب غير سالكة، وبعدها وصلوا إلى بلغاريا التي كانت تحت سيطرة الكسس (Alexis) إمبراطور اليونان[٢] . وهكذا بنفس المشقة واصلوا سيرهم إلى المدينة الكبيرة القسطنطينية .

وذلك عام ١١٠٤م . وعندما تولى بلدوين عرش القدس، طلقها وأجبرها أن تصبح راهبة في دير القديسة حنة (Anne) في القدس . وليم الصوري، ج١، ص ٥١٨ .

1 بلدوين دو بورغ (Boudoin Du Bourg) هو ابن عم ثلاثة أخوة وهم جودفري البولوني (Godefroy de Bouillon)، وبلدوين (Boudoin) ويوستاس (Eustache) . وكان ينحدر من أسقفية الرايمز (Remis) وهو ابنا لهيو (Hugues) كونت ريتيست (Retest) وميليسندا , (Guibert de Nogent, Historia Melissende) quæ dicitur Gesta Dei per Francos, edita a venerabili domino Guiberto, abbate monasterii S. Mariee Novigenti,dans la collection de Bongars, t. I, p. 467 sqq . VII,XXXV). وليم الصوري، ج١، ص٥٦٩-٥٧٠ .

2 إن متى الرهاوي والمؤرخين الأرمن ينعتون أباطرة الشرق بالملك، وهو ترجمة لصيغة فاسليفس التي يستخدمها المؤرخون البيزنطيون أحياناً ونادراً ما يسمونهم قيصر، إذ استبدلت تلك التسمية بتسمية أكثر شيوعاً وهي الإمبراطور .

ولما علم الكسس بمسيرتهم، أرسل إليهم قطاعات من قواته، التحمت معهم، فتكبد الجانبان خسائر جسيمة، لكن الإفرنج أرغموا اليونانيين على الهروب . كان هذا اليوم من أكثر الأيام دموية [1]، وقد أظهرت شعوب البلاد التي مر بها الصليبيون عداءً ومضايقات كثيرة لهم . وبعد هذه الهزيمة أرجع الكسس حسامه إلى غمده، وتوقف عن

---

1 يقصد المؤرخ من حديثه المواجهة التي جرت بين اليونان وقوات ريموند سان جيل(Raymond Saint-Gilles) الذي كان قد عسكر عند مدينة رودستوم (Rodostum) التي تقع على ساحل بروبونتيد (Propontide) الواقعة على بعد أربعة أيام إلى الجنوب الغربي من القسطنطينية . أرسل الكسس وقادة الإفرنج وفداً إلى ريموند من أجل القدوم والاتفاق على الأسس التي تكفل تسريع مسير الجيش المسيحي نحو سوريا. إثر ذلك وصل الكونت ريموند مع بعض حاشيته ودخل القسطنطينية يتقدمه رُسل الإمبراطور، وقد عومل بتقدير واحترام، وسعى الإمبراطور لأخذ يمين الولاء منه كما فعل مع غيره من قادة اللاتين الذين سبقوه . لكن ريموند رفض بحزم أداء اليمين، مما أثار غضب الكسس، فأصدر أمر لجنوده بمضايقة أتباع ريموند وإيقاع الأذى بهم . وقد هجم اليونانيون في أثناء الليل فجأة على البروفينسيين وقتلوا الكثير منهم غير أن البروفنسيين استطاعوا ردهم على أعقابهم خاسئين، وعلى إثر ذلك أرسل الكونت عدداً من أصدقائه المقربين من الكسس، لتأنيبه واعتبار ما حصل إهانة وعملاً ماكراً، غير أن الكسس شعر بالخطأ الذي ارتكبه، فتراجع عما فعله، وقام باستدعاء جودفري وبوهيمند وكونت فلاندر (Flander) ليتوسطوا له لدى ريموند، فقد أقنعوه بأن ينسى أو على الأقل أن يكظم غيظه . (Roberti Monachi. Historia hierosolimitana, dans la Collection des historiens des croisades, de L'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, in fol.Paris, 1866.,liv,II,p.37 وليم الصوري ،ج١، ص٢٢٠- ٢٢٣ . ريموند اجيل، (شاهد عيان)، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ط١، ترجمة حسين محمد عطية، ١٩٨٩م/ ١٤١٠هـ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ص ٧٠- ٧١ .

مواجهتهم، وعندما وصلوا إلى أبواب القسطنطينية، توقفوا، وطالبوا بعبور المحيط، فسالمهم الكسس وتحالف مع قادتهم، وقادهم إلى كنيسة آياصوفيا، وأعطاهم هدايا من الذهب والفضة، واتفقوا على أن المقاطعات التي كانت بحوزة اليونان والتي سيستولي عليها الإفرنج من الفرس، يتم إرجاعها إلى الكسس، أما الفتوحات التي تجرى في البلاد الفارسية أو العربية تبقى بأيدي الإفرنج، وتم المصادقة على هذه المعاهدة بالقسم على الإنجيل والصليب، حتى لا يمكن نقضه إلى الأبد، وذلك بعد أن تعهد الإمبراطور بتقديم تعزيزات للقوات وقادتها وقاموا بعبور المحيط بأسطول كبير وحطوا قبالة مدينة نيقية (Nicee) غير بعيدين عن البحر.

قام الفرس حينئذ بالتجمع، وهاجموا معسكر الصليبيين، ولكن النصر كان حليف الصليبيين، حيث أجبروا الأعداء على التقهقر في إثرهم حتى أغرقوا البلاد [1] ببحر من الدماء، وسيطروا على نيقية بقوة

---

[1] حسب ما ذكره المؤرخ فارتان (Vartan, auteur arménien) وقع حدثان متتاليان بين الأتراك والإفرنج قبل احتلال نيقية، "وصل الإفرنج إلى نيقية، وحاربوا قليج أرسلان (kilidj-Arslan) مرتين حتى سلم تلك المدينة إلى الكسس". وحسب علمي لا يوجد أي مؤرخ لا يذكر هاتين المواجهتين. وحسب شهادة آنا كومينا (ت ١١٤٨م/ ٥٤٣هـ)، الألكسياد (الحملة الصليبية الأولى، الكتاب العاشر والحادي عشر)، منشور في الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، الجزء الأول، مطبعة الملاح، دمشق، ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ، ج١، ص ١٤٢- ١٤٣. وكتاب حوليات اللاتين لم يكن إلا معركة واحدة، وهي المعركة التي حدثت تحت أسوار نيقية يوم السبت ١٠٩٧/٥/١٦م المصادف بعد غد عيد صعود المسيح، وربما المؤرخ فارتان اختلط عليه الأمر في معركة دوريلي (Dorylee) التي وقعت في الأول من تموز في نفس العام. ويبدو أن متى الرهاوي لم يستق معلوماته بشكل جيد إذ يتكلم عن معركتين كبيرتين، ومن المحتمل أنها معركة نيقية ودوريليوم التي يشير إلى أنها حدثت بعد تسليم نيقية، وفي رواية المعركة الأولى يبالغ المؤرخ بشكل واضح في عدد الأتراك

السلاح وذبحوا كل الكفار[1]. إن هزيمة الفرس هذه جعلتهم يتوجهون

الذين واجهوا المسيحيين، حيث يصل عددهم إلى ستمائة ألف، أما أنشودة إنطاكية Paris, Paulin, La chanson d'Antioche, chant II, couplets 16 تقول: أن عددهم خمسون ألفاً، بينما البرت دكس (Albert d'Aix,II,XXVII) يتحدث عن عشرة آلاف رجل في المقدمة، وخمسون ألفاً يشكلون معظم الجيش، ويذهب روبرت الراهب

Roberti Monachi, Historia hierosolimitana, dans la Collection des historiens des croisades, de L'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, in fol.Paris, 1866. , Liv. III,p.39

إلى ذكر نفس الرقم الذي أشار إليه البرت دكس إن الأحداث المختلفة التي يرويها كاتب حولياتنا الأرمني، نوقشت بعقلانية وتمحيص من قبل :

(Peyre(J.T.A.),Histoire de la première croisade, 2 vol. In-8°. Paris et Lyon, 1859. , t.I.P.291,Notel)

وهنا يجب تصحيح ما ذكره متى الرهاوي، إذ تذكر آنا كومنين، (زكار)، ص ١٤٨. إن مانويل بوتوميتز (Manuel Boutoumites) كان أحد ضباط الكسس، وقد دخل إلى نيقية سراً واندس بين المحاصرين كواحد منهم، وهذا الذي مكنه من أخذ ذلك الموقع، وعندما كان الصليبيون على أهبة الاستعداد للقيام بهجومهم الأخير فوجئ الجميع برؤية أعلام الإمبراطورية ترفرف على أسوار المدينة. ويحدد وليم الصوري، ج١، ص ٢٤٤، ٢٠/٦/١٠٩٧م تاريخ هذه الحادثة [ويبدو أنه اعتمد على فوشيه الشارتري (ت ١١٢٧م/ ٥٢١هـ)، تاريخ الحملة إلى القدس، ط١، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م/ ١٤١١هـ، ص ٤٧. في هذا التاريخ] بينما إتيين كونت بلوير Blois

Étienne de Byzance , De Urbibus . ed .Dindorf , 3 vol. In-8° . Leipzig. 1821 .

وشارترز Chartres يبعث في رسالة كتبها من نيقية إلى زوجته أديل(Adele)

Mabillon (Dom J.) et D. Michel, Germain, Museeum Italicum, sive collectio veterum scriptorum, ex bibliothecis Italicis eruta , 2 vol,in-4°. Paris, 1687-1689. t. I,p.237.

بطلب النجدة من السلطان قليج أرسلان [1] الذي كان يقيم في مقر حكمه في ملطية (Melitene)، وأخبروه بهزيمتهم، فحشد هذا الأمير قوات لا تعد ولا تحصى، وخرج بها لمواجهة الإفرنج في مقاطعة نيقية، وبدأت المواجهة بشكل عظيم من كلا الطرفين، فاندفع الجيشان بعنف تجاه بعضهم البعض، واصطدموا معاً كالحيوانات المفترسة . وفي وسط أجواء بريق الخوذ، وقرقعة الدروع المتكسرة، وأزيز الأقواس والنشاب، شد الكفار صفوفهم بحماس جديد، فزلزلت الأرض من أصوات المتحاربين وهاجت الخيول من أزيز السهام، لكن الأبطال الأكثر شجاعة تجمعوا كتفاً بكتف، كأنهم أسد يافع، وضربوا أعداءهم ضربة رجل واحد. كان اليوم الأول عظيماً ومهيباً؛ لأنه كان تحت إمرة السلطان ستمائة ألف مقاتل، غير أن الإفرنج انتصروا، وأجبروا الفرس على التقهقر، وسحقوهم

مؤرخة في الأرمني (٦/١٣) الموافق ٦/١٩ في التقويم الميلادي، ويذكر جيبرت دي نوجيت (Guibert de Nogent, III,V) أن الحصار بدأ في ٥/٦ واستمر سبعة أسابيع وثلاثة أيام، وهذا يؤكد ان سقوطها كان في ٦/٢٦ . وقد تدخل الجنرال اليوناني تاتيس (Tatice) في اتفاقية تسليم نيقية من أجل أن تكون موضع موافقة الصليبيين ومن أجل تأمين امرأة وأطفال قليج ارسلان، والرجوع إلى ديارهم.

(Albert d'Aix, II,XXII et XXXVII.)

[1] قليج أرسلان داود بن سليمان مؤسس سلالة سلاجقة قونيه (Iconium) ويؤكد مؤرخنا متى الرهاوي، أن هذا الأمير كان في ملطية وقت الحصار . ومن المؤكد أن الأمر اختلط عليه مع مدينة أخرى مرتبطة مع حياة قليج أرسلان . ومن الثابت بإجماع المؤرخين أن السلطان كان موجوداً على رأس جيش الأتراك في معركتي نيقية ودوريليوم (Dorylee) . إن م.بيري (M.Peyre) يذكر في كتابه :

(Peyre; Histoire de la premiere croisade, tom,1, p.291 note1.)

أنه من غير الممكن أن أرسلان ذهب ليهاجم ملطية في أقصى آسيا الصغرى وقت وصول الصليبيين إلى عاصمته نيقية، وبخاصة أن أولاده وزوجته كانوا يقيمون فيها.

من غير رحمة حتى امتلأ السهل بالجثث ، وكان الأسرى يعدون بالآلاف ، أما الغنائم فكانت كثيرة وفاقت الغنائم من الذهب والفضة كل تقدير . و آخر ثلاثة أيام قام السلطان بحشد قوات كبيرة ، وبدأ الهجوم من جديد ودارت معركة أخرى أقسى وأشد من سابقتها . انتصر فيها المسيحيون مرة أخرى على الفرس وقطعوهم إرباً ، ولم يسلم منهم أحد ، وقاموا بتسريح بعض السجناء وطردوهم من البلاد [1] ، وردت مدينة نيقية من قبلهم إلى الإمبراطور الكسس .

---

[1] يقصد معركة دوريليوم الشهيرة التي كانت حاسمة لنجاح الصليبيين الأوائل، وذلك بفتحهم كل الطرق إلى آسيا الصغرى أمام المسيحيين . حول هذا الموضوع انظر آنا كومنين، (زكار)، ص ١٥٢- ١٥٤،

(Paris, La Chanson d'Antioche chant III, couplets 1-13), (Tudebodi (petri) seu Tudebovis, sacerdotis Sivracensis, Historia de Hierosolymitano itinere. III,IX) (Paris, Histoire de la premiere croisade, tom. l,p.291 notel.)

فوشيه الشارتري، ص ٤٧- ٤٨ . (Albert d'Aix, II,XXXVII) وليم الصوري، ج١، ص ٢٤٧- ٢٤٩ . ريموندا جيل، ص ٧٩ Roberti, Historia hierosolimitana live. III . إن مكان المعركة هو دوغورغاني (Dogorganhi) أو غورغونيا (Gorgonia) ، أو اوزليس (Ozellis) ومن الممكن أن يكون المكان المسمى حالياً أن اونو (In-eunu) الواقعة على بعد أربع ساعات باتجاه الشمال الغربي من دوريليوم التي تعرف اليوم اسكي شهر (Eski-Schehr) وهذا رأيي ورأي Poujoulat, Voyage dans L'Asie Mineure, 2 vol.in-8°, Paris, 1840., Letters IX et x.

ورأي منقول من قبل Michaud, Histoire de Croisades, liv. II,t .I..117, 8^0 edit ومع بعض التعديلات من قبل M.Peure في كتابه:

(Peyré ,Histoire de La première Croisade, ch. XXI.)

٣/II في عام ٥٤٦ (٢٥/٢/١٠٩٧- ٢٤/٢/١٠٩٨م) وفي أثناء عهد كاثوليكي أرمينيا السيد فاهرام (Vahram) والسيد بازيل [1] (Basile)،

إن السيد م. كاليير (M.Callier) ضابط قام برحلة مثل (poujoulat) لاستكشاف الأماكن التي حدثت فيها هذه المعركة، ويحدد المكان جنوب سهل دوريليوم، ويتفق في هذا التحديد مع آنا كومنين : فوق سهل دوريليوم [آنا كومنين، (زكار)، ص ١٥٢]. لا يوجد ما يمكن مناقشته في القضية الطبوغرافية، فقد لاحظت أن متى الرهاوي كان يستقي معلوماته بشكل سيء عن الأحداث الواقعة خارج أرمينيا الصغرى، ووادي الرافدين وشمال سوريا .

1 منذ بداية القرن الرابع الميلادي كانت الكنيسة الأرمنية، ومنذ الأصل تحكم من قبل بطريرك واحد، وكان يقيم في مدينة فلارسباد (Valarsabad) الملكية . وعندما قسمت أرمينيا بين اليونان والفرس في وقت لاحق، انقسم منصب البطريركي بين اثنين اتخذ كل منهما حق لقب بطريرك، إحداهما قام في الأراضي الأرمنية الخاضعة لليونان، والآخر قام في الجزء الخاضع للفرس . وفي ظل الاضطرابات التي نتج عنها غزوات السلاجقة الأتراك في القرن الحادي عشر، كان هناك العديد من المتنافسين انتحلوا لقب بطريرك، ففي عام ١٠٨٢م بلغ عددعم أربعة بطاركة في نفس الوقت، ومنذ ذلك العصر حتى أيامنا هذه، يقام منصبان مختلفان إحداهما في أرمينيا العظمى، والآخر في سليسيا . إن البطريرك غريغوري II كان يعرف باسم فاهرام ويلقب فجاياكير (Vgaiacer) " صديق الشهداء " والسبب أنه ترجم عن الأرمنية جزءاً كبيراً من السنكسار (Martyrologes) اليونان والسريان لكتاب يتحدث عن الشعراء والقديسين، قاموس المنهل، ص ٦٤٨] وكان قد أقام بعض الوقت في دزمينتاف (Dzamentav) في كبادوس [كبادوكيا] وبعدها أقام في مصر، ثم انتقل إلى سليسيا حيث مات هناك بالقرب من الأمير الأرمني كوغ فازيل (-Kogh Vasil)، (انظر ص١٥١- ١٥٣).أما البطريرك بازيل تقلد منصبه في مدينة آني (Ani) الواقعة في أرمينيا العظمى . إن الاثنين كانا أبناء ينحدران من فرع الارساسيدس (Arsacides) التي كانت تعرف بـ سورين بهلاف Souren Bahlav ومن هذه العائلة ينحدر غريغوري المستنير، وبذلك حصل على البابوية العليا للأمة الأرمنية . في قائمة البطاركة ورؤساء الأساقفة، والمطارنة والأساقفة المسجلين في بطريركية إنطاكية التي يذكرها وليم الصوري، تجد اسم بيرسيديس (Persidis)

وتحت فترة حكم الكسس إمبراطور الرومان، تحرك جيش الصليبيين بعددٍ هائل، بلغ ما يقارب خمسمائة ألف رجل، وكان ثوروس [1](Thoros) حاكم الرها قد علم من قبل الصليبيين بواسطة الرسالة التي أرسلت إليه، وكذلك القائد الأرمني الكبير قسطنطين بن روبين الذي كان يحتل جبل طوروس في بلد غوبيدار [2] (Gobidar)، وهي إحدى المقاطعات العديدة التي

كبطريرك المدينة آني، ولكن في قائمة بطاركة سليسيا لا نجد له أثراً، وهذا الحذف له ما يبرره، إذ إن هذا الكاهن الإفرنجي لسوريا لم يعرف الرئيس الديني للأرمن في سليسيا، كما أن البطاركة في أرمينيا الصغرى كانوا في صراع دائم مع بطاركة اللاتين لإنطاكية، فكانوا يرفضون عليهم، وفي أكثر من مرة احتجزهم البابوات بسبب شكواهم وتظلمهم على هذا الموضوع .

1 ثوروس بن هيثوم، أرمني الأصل كما يدل عليه اسمه، وكان حاكماً لمدينة الرها باسم اليونان مع لقب كوروبالات (Curopalate) . وقد استولى تاج الدولة تتش سلطان حلب على مدينة الرها في عام ١٠٩٤م وأقر ثوروس على حكمها، ومع ذلك بقي ثوروس يعاني من غزوات السلاجقة الأتراك (Guibert de Nogent III, XIII) وحسب ما يذكر وليم الصوري، ج١، ص ٢٦٦- ٢٦٩، جاء الأتراك لمهاجمة ثوروس قبل انتهاء فترة حكمه، وأجبروه على البقاء في منصبه لأجلٍ غير محدود، وقد بقي فيها إما لأنه لم يكن قادراً على العودة لبلده، أو لأن سكان الرها لم يجبروه على التخلي عن حكمه، مع أن ثوروس كان متقدماً في السن، ولم يعد قادراً على حماية مواطنيه من أعدائهم، أو توفير الطمأنينة لهم، لكن آلام سكان الرها التي عمل منها المؤرخ اللاتيني صداً، ما هي إلى ذريعة وضعت منذ البداية لتبرير موت ثوروس الذي قتل من قبلهم في ثورة مسلحة . (انظر ص٨٧- ٩٣) وذريعة استفاد منها الإفرنج، ولربما كان موته قد وجد موافقة ضمنية من قبلهم (انظر ص ٩٣، هامش (١))، ويبدوا أن وليم قد أخطأ في جعل جنسية ثوروس يونانية [وليم الصوري، ج١، ص ٢٦٥].

2 قلعة في سلسلة جبال طوروس السليسية، تقع إلى الشرق من المصيصة (Mecis) أو موبسوست (Mopsueste) حيث نهاية بلاد جبال الأمانوس.

كانت تتبع إلى ولاية مارابا [1] (Maraba). وكان قسطنطين قد تخرج قائداً من جيش كاكيج [2] (Kakig) . وقد سار الإفرنج من خلال مرتفعات بيثيني (Bithynie) بصعوبة ومشقة، وعبروا كبادوس (كبادوكيا) وهم على هيئة حبل طويل من الجند حتى وصلوا منحدرات طوروس الوعرة، ومر الجيش الكبير عبر المسالك والشعاب الضيقة لهذه السلسلة الجبلية للوصول إلى سليسيا[3]، وقد بلغوا تروا (Troie) الجديدة أي عين زارب

---

1 إن هذه الولاية تتبع حسب ما اعتقد إلى الجزء الجنوبي من دشاهان (Dchehan) في أرمينيا الثالثة .

2 كاكيج الثاني ابن اسشود الشجاع، وهو آخر حكام البجراتيد لمدينة آني، إذ استولى عليها منه قسطنطين مونومال (Constantin Monomaque) عام ١٠٤٣ م بعد أن كان حكمه لها سنتان، حسب ما يذكر كاتب الحوليات صموئيل الآني (Samuel d'Ani, p.72)

ومتى الرهاوي . (Matthieu d'Edessa,tome I, Dulaurier, Bibliotheque historique ,arme'nienne, . chap.lvI-lxv)

ويذكر بعد ذلك متى الرهاوي قصة انتقام ثوروس لموت كاليج ابن أحد المندال بانتاليون (Mandale/Pantaleon) وكان قد اغتيل من قبل ثلاثة قادة يونانيين في قلعة غويزسدرا (Guizisdra) سيبستر (Cybistra) التي تقع على تخوم كبادوس ويخطئ (Cedrenus , Compendium historiarum,p.595) عندما يذكر أن أبا كاكيج هو جون (Jean) شقيق اسشود الشجاع في حين أن جون هو عم كاكيج وهذا الكاتب يقص لنا بطريقة يخالف بها رواية كتاب الأرمن مثل روايته التي يشير فيها أن كاكيج حُرم من مملكته من قبل مونوماك (Monomaque) .

3 هنا تظهر قضية مهمة، وهي تأكيد مسار الصليبيين عند دخولهم سليسيا، سنرى أن هناك بعض الومضات ستوضح لنا في هذه القضية من خلال المقارنة بين وثائقنا الأرمنية وشهود العيان الغربيين . نعلم أن جودفري وشقيقة بلدوين قد افترقا في إنطاكية الصغيرة حاضرة بيسيديا (Pisidie) (Antiochette) حسب ما يذكر وليم الصوري، ج١، ص ٢٥٠- ٢٥١ . أو في هرقلية (Heraclee) حسب Tudebodi, Historia de Hierosolymitano ,IV.X الذي كان برفقة الحملة . أما م . بيري (M.Peyre) في كتابه . Peyré,Histore de la première croisade, ch, xx

III, t, I, p370 يعتقد حسب م . ساولسي (M.de saulcy) أنه بإمكاننا الأخذ من الإدعاءات المتناقضة أن بلدوين وتنكريد ذهبا معاً إلى إنطاكية بسيديا من أجل توضيح مسيرة الجيش، وأنهما لم يتركا الجيش إلا في هرقلية التي تقع في كبادوكيا. فبعد مغادرتهما الجيش الكبير قاده جودفري إلى إنطاكية بسيديا (Antiochette) وقام بها عدة أيام للراحلة، ثم أخذ الطريق الذي سلكه بلدوين ورفاقه حتى هرقلية مروراً في قونية (Iconium) لكن بلدوين نزل إلى الجنوب من أراضي سليسيا وآثر أن يتخذ الطريق الملكي (Viaregia) . أما جودفري صعد باتجاه الشمال الشرقي . ومن الثابت أن تنكريد دخل إلى سليسيا، عن طريق وادي بوترنتوم (Butrentum) والممر (les pyle cilicie) الذي يسميه الأرمن جوجلاج (Gouglag) ويسميه البرت دكس بورتا جودا (Porta Juda) بينما اسمه الحالي كولك بوجاز (Kulek-Boghaz) الذي يوصل إلى طرسوس . أما بلدوين الذي لم يتخذ هذا الطريق فقد ضل طريقه في الجبال، ووصل إلى طرسوس بعد ثلاثة أيام من وصول تنكريد . إذا كانت مسيرة الصليبيين باتخاذهم تلك الطريق ليس فيها مجالاً للشك، فإنها لن تكون تلك الطريق التي اتخذها جودفري . وحسب ما يذكر

(Michaud, Histoire des croisades liv.II.t.I,p132,8 edit)

أن الصليبيين لم يصلوا قط قيصرية كبادوس (كبادوكيا) ويرى الكاتب الأنيق لتاريخ الصليبيين أنها بعيدة جداً، حيث تقع في شمال آسيا الصغرى، وحتى لا تكون خارج مسرح الأحداث، يبدو أن رأي العالم المُعد لأنشودة إنطاكية م. بولين باريس (M.Paulin paris) متفق مع متى الرهاوي، وأن هذه المدينة ليس لها أية علاقة مع قيصرية كبادوس (كبادوكيا)، لكن عين زربة حملت اسم قيصيرة Paris,La Chanson d'Antioche,Chant III, couplet 22,t. I,p.182,notel. ولكن توديبود Tudebodi, Historia de Hierosolymitano وروبيرت الراهب Roberti, Historia hierosolimitana,liv,II,p.44. شاهدا العيان لا يسمحا بالشك بأن جودفري لم يصل إلى قيصيرية كبادوس (كبادوكيا)، وشهادتهم أكدها جويبرت دونجون (Guibert de Nogent,n,1) ورأول دوكاين

Radulfi Cadomensis, Gesta Tancredi, in expeditione Hierosolymitana, dans la Collection des historiens des croisades, publiée par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, in-fol. Paris,1866,ch,p.xxxIII.

ومن جهة أخرى، إذا ثبت أن جودفري لم يدخل قط إلى سليسيا عن طريق ممر جوجلاج (Gouglag)، فمن المؤكد أنه بحث عن ممر آخر في جبال طوروس، وفي الواقع أنه لا يوجد إلا ممر ثانٍ يمكن المسير فيه وهو ممر جابان (Gaban) في سلسلة جبال طوروس الواقعة في الجزء الشرقي من سليسيا، وقد كان هناك ميثاق تم إبرامه عام ١٢١٥م في جنواس (Genois) من قبل ليون الثاني.

Historiæ patriee monumenta, collection publiée par ordre du gouvernement italien, 8° vol. In-fol. Turin, 1838-1857. Le tome I du Liber jurium de la République de Gênes , qui fait partic de cette collection, contient plusieurs pièces provenant de la chancellerie des rois de la Petite Arme'nie, t,1,col.575-576. n°.514

وهذا يؤكد وجود ممر تحميه قلعة جابان، التي بني فيها مكتب للجمارك، وكانت عائداته تحصل لمالك الاقطاعية. وفي الحقيقة أن ليون الثاني بتعاقده على المرور التجاري إلى منطقة جنواس، وما يتبعها كان له أربعة ممرات ومن ضمنها ممر جابان على نهر جيهان (Djeyhan) وهو ممر يربط سليسيا الشرقية مع كبادوس (كبادوكيا) بواسطة طريق مباشر يصل ما بين قيصيرة ومرعش، وكان من المستحيل أن لا يتخذ جودفري هذا الطريق، لأنه الطريق الوحيد المفتوح أمامه، لذا يمكن تتبع كل المراحل التي حددناها كالآتي: قيصيرية كوكون (Coxon) المعروفة سابقاً كوكسوس (Cucusus) والمعروفة حالياً باسم جوكسون (Gueuksun)، ومرعش. إن الوصف الذي يقدمه لنا البرت دكس يبين الصعوبات التي واجهها الصليبيون خلال عبورهم جبال ديابل (Diable)، وهذا يتفق تماماً مع ما نقرأه عند الرحالة المعاصرين، إذ إن نهر جيهان شديد الانحدار وفي بعض المناطق تمتد الصخور فوق مجرى النهر.

نعرف أن بلدوين نازع تنكريد حول الاستيلاء على مدينة طرسوس وقد نجح بلدوين في الاستيلاء عليها، غير أنه انضم إلى معسكر الصليبيين في مرعش. أما تنكريد فقد استولى على القلعة في أذنة والإسكندرونة والعديد من القلاع في جبال الأمانوس ودمر القسم الشرقي من سليسيا وعندما علم قادة الأرمن والأتراك في المنطقة بفتوحاته تقدموا إليه خوفاً على ممتلكاتهم وقدموا له الهدايا الثمينة وتوددوا إليه ليكسبوا صداقته. Guibert de Nogent, III,XII; Albert d'Aix,III, V- XXVI وليم الصوري، ج١، ص ٢٥٣- ٢٦٢. فوشيه الشارتري، ص ٥١- ٥٢.

(Anazarb) ومنها إلى إنطاكية[1]، وانتشر معسكرهم الكبير تحت أسوار المدينة، وغطت كتائبهم السهل الذي تشرف عليه المدينة، وحوصر القائد الفارسي ياغي سيان (Aghoucian) [2] والحامية العسكرية لمدة ستة أشهر،

---

1 تروا الجديدة أو ترواد، لقب حصلت عليه مدينة عين زربه أو عين برزه (Anabarze) بسبب تحصيناتها الشهيرة، وهي تقع على نهر بيراموس (Pyramus) أو جيهان (Djeyhan) ويبدو أن المدينة كانت في فترة حكم الإمبراطور كونستانس (Constance) لها رتبة أسقفية سليسيا الثانية، وطرسوس رتبة أسقفية سليسيا الأولى، وبعد ذلك وفي أثناء فترة حكم هرقل (Heraclius) انقسمت الإمبرطورية فكانت ذاتك المدينتان وكل منطقة سليسيا ضمن قسم سلوقيا (Seleucie) .

(C.F.Hiercolis synecdemus , 42 et 43 eparchie , et le commentaire de wesseling, a insique constantin prophyrogenete, De the matibus, theme 13)

أما وليم الصوري فيتبع التقسيم الروماني القديم ،لحيث يذكر أن سليسيا تعتبر إحدى مقاطعات الشرق، يحدها من الشرق أعالي سوريا ومن الغرب أيزوريا، وجبال طوروس من الشمال وبحر أيجة من الجنوب، وتضم مدينتين رئيستين، هما طوروس وعين زربة، ويتبع لكل منها عدد من المدن والقرى، ولذلك يجري الحديث عن سليسيتين الأولى ممثلة بمدينة طرسوس والثانية ممثلة بمدينة عين زربة . وليم الصوري، ج١، ص ٢٥٤] .

2 ياغي سيان عند المؤرخين العرب، ومن الأفضل ربما هو ياعي والنص السرياني عند ابن العبري، غريغوريوس بن اهرون الطبيب الملطي (ت ١٢٨٦م/ ٦٨٥هـ)، تاريخ الزمان،ترجمة الاب اسحق ارملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٢٣ يحمل هذه الكتابة للاسم (جيسفان) وفي كتاب ابن العديم: زبدة الحلب،ج١، ص٣٤٠،٣٤١، ورد هكذا، يعني سيان ؟ إن كتاب حولياتنا الغربين نسخوا هذا الاسم تحت أشكال مختلفة اكسيانوس (Acxianus) انسيان (Ansian) غراسيانوس (Gracianus)، دارسيانوس (Darsianus) غارسيون (Garsion) . وقد أوكل السلطان السلجوقي ملكشاه لياغي سيان حكم انطاكية في عام ٥٣٥ أرمني (١٠٨٦/٢/٢٨- ١٠٩٨/٢/٢٧م) حسب ما ورد عند متى الرهاوي، وقد تزوج هذا الأمير من إحدى بنات الأمير رضوان بن تتش أمير حلب .

واستطاعوا الصمود ورد الهجمات القوية، وعندما انتشرت أخبار هذا الحصار، تقدم الفرس المجاورون بقوات كبيرة لقتال الإفرنج، فردوا على أعقابهم بقسوة بالغة، وفي أثناء ذلك اجتمع الكفار من كل الأصقاع، من دمشق، والأفارقة، وأهل الساحل، ومن القدس والشعوب المتاخمة لمصر وحلب وحمص حتى نهر الفرات العظيم، وساروا جميعاً نحو الصليبيين[1]. وعندما علم الصليبيون بقدومهم تقلدوا السلاح، وانطلقوا لملاقاتهم، وتقدم بوهيمند (Boemond) وسان دجيل (Saint-Gilles) هذان البطلان على رأس عشرة آلاف رجل ضد مئة ألف في مقاطعة إنطاكية، فنالوا منهم وشتتوا شملهم، فكانت مذبحة شنيعة[2]، ومع ذلك فإن الأميرين سقمان ابن أرتق[3] العنيد وحاكم دمشق، صاحب المنزلة الرفيعة، قاما بجمع قوات

---

1 لقد استنجد أهل إنطاكية بالمسلمين في حلب، وشيزر، وحماه وحمص، ومنبج (هيرابولس) والمدن المجاورة، وقد جاءوا خفية وأقاموا معسكرهم من غير ضجيج بالقرب من قلعة حارم (حرنك) التي تقع على بعد يوم واحد مشياً إلى الجنوب الشرقي من إنطاكية، ينتظرون الفرصة للانقضاض بغتة على الإفرنج المنشغلين آنذاك في حصار إنطاكية. وليم الصوري، ج١، ص ٢٩٩- ٣٠٠.

2 هزم الكفار الذين بلغ عددهم ثمانية وعشرون ألفاً، وتتبعهم الإفرنج حتى قلعة حارم التي كانت تبعد عشرة أميال عن موقع المعركة. وخشيت الحامية العسكرية الإسلامية في إنطاكية من عدم استطاعتها الاستقرار في المقاومة فأحرقت المكان، وفرت هاربة، غير أن المسيحيين والأرمن من سكان البلدة والمناطق المجاورة الذين كانوا يشكلون نسبة غير قليلة من السكان، قد استولوا على الحامية، والمنطقة وسلموها للصليبيين. وقد حدثت هذه المعركة بتاريخ ١٠٩٨/٢/٧م. وليم الصوري، ج١، ص ٣٠٠- ٣٠١.

3 مُعز الدولة سقمان، أمير ينحدر من أصل تركماني من أرمينيا وهو ابن ارتق (ارتق بيك) مؤسس السلالة الأرتقية (Ortokides). وكان فرع من هذه السلالة قد حكم ماردين وميافارقين، وفرع آخر قد حكم حصن كيفا (Hisn-Keifa) وآمد (Amid) في وادي الرافدين. وقد ورث سقمان وأخوه ايلغازي حكم القدس عن أبيهما

تركية من الموصل، ومن كل منطقة بابل حتى بلغ عددهم ثلاثين ألف رجل، وذهبا لمواجهة الإفرنج، وقد سار قادة المسيحيين تحت قيادة جودفري لمواجهة الكفار بجيش تعداده سبعة آلاف رجل بالقرب من حلب، وجرت معركة طاحنة، وهجم أمير دمشق طغتكين [1] (Toghtekin) ملقياً بنفسه على جودفري، فأسقطه عن جواده، ولكن زرد الدرع الواقي للأمير الإفرنجي حمته من ضربات الأمير طغتكين. وفي أثناء ذلك قام المسيحيون بإجبار الكفار على التقهقر إلى الوراء، ومطاردتهم وتقطيعهم إرباً، وبعد هذا النصر المبين قفلوا راجعين إلى معسكرهم.

إن أعداد الإفرنج الهائلة، أدت إلى انتشار المجاعة بين صفوفهم، ولكن قادة الأرمن القاطنين في جبال طوروس، ومنهم قسطنطين بن روبين

لكنها انتزعت منهم في شهر (شعبان ٤٨٩هـ/ آب ١٠٩٦م) من قبل المصريين بقيادة الملك الأفضل أمير الجيوش ابن الشهير بدر الجمالي الذي كان الوزير الأول للخليفة الفاطمي المنتصر بالله، وهو أرمني الأصل. انسحب سقمان وايلغازي إلى دمشق، ثم عبروا نهر الفرات، فاستقر سقمان في أراضي الرها بينما ايلغازي ذهب إلى العراق. أما المصريون فقد عينوا افتخار الدولة (Iftikar-eddaula) حاكماً على القدس واستمر حكمه لها حتى استولى الصليبيون عليها. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٣.

[1] ظهير الدين أبو منصور طغتكين (Toghtekin) أو (Toghdekin) ويذكره وليم الصوري (Doldequinus) كان في البداية مملوك في خدمة تتش (Tetousch) ثم أصبح فيما بعد وزير دقاق بن تتش الذي حكم دمشق بعد وفاة أبيه تتش، وفيما بعد استولى طغتكين على المدينة، وذلك على حساب أولاد دقاق (ابن القلانسي، حمزه بن اسد (ت ١١٦٠م/ ٥٥٥هـ)، تاريخ ابي يعلى حمزه بن القلانسي (ذيل تاريخ دمشق)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م/ ١٣٢٦هـ، ص ١٣٠- ١٣١).

(Roupen) وبازوني (Pazouni) ثاني هؤلاء الأمراء، وأوشين[1](Oschon) ثالثهم، قاموا بإرسال الذخائر والمؤن التي كان قادة الإفرنج بحاجة إليها . كما أن رهبان الجبل الأسود[2]، زودوهم بالطعام، وكل المؤمنين تسابقوا

---

1 انظر إلى موضوع أوشين أمير لامبرون (Lam pron) في مقدمتي، إن أوشين هو نفس الشخصية التي تسميها أنا كومنين

(Anne Comnène, Alexiade, dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ.live, XII, p.276.)

اسبيَتس وهي كلمة نسخت عن لقب أرمني أسبد (Asbed) وتعني قائد الفرسان أو القائد العام، إن هذا اللقب رفع من قيمة أوشين وزاد من الثناء والمديح عليه مما جعله مميزاً وشجاعاً (Anne Comnène, p,277) في مدينة ايليري (Illyrie) في أثناء حرب الكسس كومنين ضد روبرت جيسكارد (Robert Guiscard) . وكان أوشين حاكم سليسيا ويحمل لقب (Stratopedarque) وذات مرة انصاع أوشين لرغباته بتعاطي الخمر تاركاً تنكريد يجتاح سليسيا دون أن يحاول مقاومته، مع أن الإمبراطور البيزنطي أوكل إليه مهمة مقاومته . وتضيف الأميرة اليونانية [آناكومنين] أن أوشين أو سبيتيس (Aspietes) كان من سلالة الأرساسيد الملكية . ويذكره رأول دي كاين (Raoul de Caen)(Radulfi) في كتابه (Radulfi, Gesta Tancredi,capp.xxxIxetxl) باسم أورسين (Ursin) ويخبرنا رأول عن الخدعة التي استطاع بها اورسين من انتزاع مدينة أذنه (Adana) من الأتراك، حيث أن أورسين كان في مدينة أذنه عندما قدم إليها تنكريد لمحاصرتها، فبعد أن استسلم أورسين لتنكريد دعاه للدخول إلى المدينة، ثم الذهاب لمهاجمة مدينة المصيصة (ماميسترا) والاستيلاء على خيراتها .

2 إن الجبل الأسود أو جبل الأمانوس، الواقع ضمن سلسلة جبال طوروس، يمتد إلى الشرق من سليسيا، بمحاذاة خليج الإسكندرونة، والجبل مقسوم من الوسط، وفيه ممر يدعى بيلا أمانيدس (Pyle Amanides) وهذا الممر يقسم الجبل نصفين، وهما جوسيل داغ (Gusel-Dag) إلى الجنوب، والأكما داغ (L'akma-Day) إلى الشمال، وقد أقيمت فيه العديد من الأديرة الأرمنية والسريانية واليونانية واللاتينية، لدرجة أن منحته اسم (الجبل المقدس) وأطلق البيزنطيون عليه لقب الشرط الاسود انظر:

في هذه المناسبة إلى التضحية والوفاء والإخلاص . وبعد تلك المجاعة حل المرض بصفوف الصليبيين، وكان يموت رجل واحد من بين كل سبعة رجال[1]، ومن بقي على قيد الحياة منهم، كانوا يرون أنفسهم بعيدين عن أوطانهم، لكن العناية الإلهية لم تتخل عنهم في مصابهم الحزين، فقد سهرت على رعايتهم كما يرعى الأب أبناءه، كما حصل قديماً مع بني إسرائيل في الصحراء .

٣/III وفي هذه السنة نفسها في شهر أرك [2] (Arek) ظهر مذنب في الغرب، فرسم ذنبه الصغير في السماء خطوط مضيئة، وبعد خمسة عشر يوماً تلاشى عن الأنظار وتوقف عن الضياء تماماً .

٤/IV وفي نفس السنة ظهرت في السماء من جهة الشمال علامة رهيبة وغريبة لم يسبق أن شاهد أحد مثلها من قبل، نظرا لروعتها . وفي شهر

Anne Comnène, p, LIV.XIV,P.526, Retrouve dans Cedrenus, p.345 et 414) ويقترح ويلكن في كتابه Wilken, Geschichte der kreuzzuge, t.II, p.703, not,13 تفسير لهذه الصفة أي الأسود التي يذكرها جاكوس دوفيتري في كتابه Jacques de Vitry , historia Hierosolimitana, ch. XXXII

1 المرض الذي فتك بالجيش المسيحي قبالة إنطاكية لم يكن متزامناً فقط مع المجاعة، وإنما كان أيضاً متزامناً مع المطر الذي هطل بغزارة ودمر الملبس والمأكل . وليم الصوري، ج١، ص ٢٨٨- ٢٨٩ .

2 في التقويم الأرمني الغامض شهر أرك المتعلق في تلك السنة، هو ما بين (٢٣/٩- ١٠/٢٢) .

(CF. Dulaurier ; Recherches sur la chronologie arménienne, 1, partie, ch.II.)

ماريري[1] (Mareri) التهب وجه السماء، وخيمت أجواء قاتمة. أصبح لون السماء أحمرٌ غامقاً، ووجهه كالتلال المتراصة، وبدأ يحترق كل شيء، وأخذت السماء تتلون بألوان متعددة، ثم بدأت تتقدم نحو الشرق، وبعد أن تكاثفت بدأت تنقسم إلى أقسام عدة، غطت تقريباً معظم قبة السماء، وكان لونها أحمرٌ غامقاً، ثم اتجهت هذه الكتل صوب الجنوب.

إن العلماء والحكماء فسروا تلك الظاهرة، على أنها علامة تنذر بسفك الدماء. وفي الحقيقة أن العديد من الأحداث الرهيبة والكوارث التي ترد في كتابنا هذا تؤكد ذلك التفسير.

V/٥ في سنة ٥٤٧ (١٠٩٨/٢/٢٥- ١٠٩٩/٢/٢٢م) تزعم الكونت بلدوين مئة من الفرسان، وقام بالاستيلاء على مدينة تل باشر[2] (Thelbaschar). أسعد هذا الخبر ثوروس (Thoros) الحاكم الروماني لمدينة الرها، وأرسل مبعوثيه إلى تل باشر راجياً الكونت الإفرنجي نجدته وتقديم المساعدة له ضد أعدائه من الأمراء المجاورين، الذين كانوا يقلقونه كثيراً[3].

---

1 إن شهر ماريري يتطابق مع الفترة الزمنية الواقعة ما بين (١١/٢٢- ١٢/٢١).

2 تل أفيدياتس، وتعني في الأرمنية ضيعة أو قرية الأخبار الطيبة، بينما ترجمها العرب تل باشر، وتعني تل الأخبار الطيبة. ويقع هذا المكان على بُعد مسيرة يومين إلى الشمال من حلب. أبو الفدا، اسماعيل بن علي (ت ١٣٣١م/ ٧٣٢هـ)، تقويم البلدان، تصحيح رينود وماك كوكين ديسلان، المطبعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م/ ١٢٥٦هـ، ص ٢٣٢، البغدادي، مراصد الاطلاع، ج١، ص ٢١٠.

3 إن راوية غزو مقاطعة الرها من قبل بلدوين، والثورة الداخلية التي أحكمت قبضته على عاصمته أو أوسرهون (Osrhoene) [الرها] زودنا بها وليم الصوري، ج١، ص ٢٦٤- ٢٧٠, Guibert de Nogent , III, Abert d'Aix, III, XIX-XXV . La Chanson d'Antioche chant III, couplet 24 ,Paris, XIII (فوشيه

الشارتري، ص ٥٢- ٥٣) ورواية متى الرهاوي لهذه الأحداث تعطينا تفاصيل جديدة وغريبة، ولها أهمية بنفس مقدار رواية شاهد عيان. والمؤرخ الوحيد من كتاب اللاتين الأفضل والقادر من حيث موقعه أن يقدم لنا معلومات دقيقة، هو فوشيه الشارتري، القس الخاص لبلدوين، ولكنه يقدم معلومات بطريقة مقتضبة جداً، ويبدو أنه كان مكلفاً رسمياً بهذا العمل. أما م.بيره M.Beyre Beyré ,Histoire de la première Croisade,ch,xxv. لخص الأحداث المرتبطة باحتلال الرها من قبل الإفرنج. وسوف اقتصر على إظهار ما سينتج من مقارنة الوثائق الغربية مع المعلومات التي يوفرها لنا متى الرهاوي، يخبرنا Guibert de Nogent,in R.H.C.-D.Occ.vol.4,p.165 أن الحاكم ثوروس وزوجته وصلاً إلى مرحلة عمرية متقدمة من غير أطفال، فقاما بتبني بلدوين، ويعطي (Guibert) تفاصيل مثيرة حول طقوس هذا التبني، حيث يذكر أن الحاكم عمل على إدخال بلدوين عارياً فيما بين جسمه وقميصه، واضعاً بلدوين على صدره، وختم ذلك بقبلة تدل على هذا الارتباط، وفعلت زوجته نفس الشيء حيث اعتبر بلدوين بعد تلك الطقوس الوريث الشرعي لثوروس.انظر الرويضي، امارة الرها، ص٢١٢- ٢١٣.

القائد الأرمني الذي ارتبط مصيره بمصير بلدوين في نيقية، وأصبح بعد ذلك رفيقه، هو بقراط (Paoncracet) باكاراد (Pakarad) أو باكراد (Pakrad) شقيق القائد كوغ فاسيل (Kogh-Vasil) الذي سنراه فيما بعد يلعب دوراً مهماً في الاحداث. وكان بقراط قد هرب من القسطنطينية حيث كان مسجوناً فيها، مما لا شك فيه أن واحدة من هذه المقاييس السياسية قد استخدمت كقرار من قبل الأباطرة البيزنطيين ضد الأمراء والقادة الأرمن، وفي ضوء ذلك كان الأباطرة موضع شك من قبل الأمراء والقادة. اعتبر بلدوين في قرارة نفسه أن القائد الأرمني بقراط كمحارب مقدام ومتمرس في القتال، يحمل فكرة جيدة ومعرفة ممتازة في مناطق سوريا وأرمينيا واليونان (الإمبراطورية البيزنطية) Albert d'Aix, III,XVII ويخبرنا وليم الصوري، ج١، ص ٣٧٣- ٣٧٤. أن بقراط وكوغ فاسيل كانا واسعي الشهرة، إلا أنهما كانا ماكرين للغاية، وكانا يمتلكان أماكن محصنة في جبال سليسيا الشرقية، ويثقون في حصانة تلك الأماكن، ويعتمدون عليها في إرهاق كاهل السكان، وبخاصة الأديرة بابتزازات هائلة. وفي يوم من الأيام حدث أن واحداً من القادة الأرمن المجاورين لبلدوين وهو نيكوسوس (Nichossus, Nicomede,

استجاب بلدوين حالاً لندائه، وذهب إلى الرها ومعه ستون فارساً، فخرج سكان المدينة مهرولين لاستقباله بتشوق مرحبين بقدومه، وقد سبب حضوره فرحاً عارماً لكل المؤمنين، وأظهر له القائد ثوروس الوفاء والصداقة، وأغدق عليه الهدايا، وتحالف معه، وفي غضون ذلك وصل

Nicusus) قد أرسل إلى جودفري هدية رائعة، عبارة عن خيمة، إلا أن بقراط سرقها من المجموعة المكلفة بحملها، وقدمها بدوره هدية إلى بوهيمند (Boemond)، وقد نتج عن ذلك نزاع لم ينته إلا بعدما انصاع بوهيمند أمير تارينت (Tarente) إلى التهديدات التي أجبرته على إرجاع الخيمة إلى جودفري. وليم الصوري، ج١، ص ٢١١- ٢١٢. Albert d'Aix, IV,XVIII، وعندما ترك بلدوين الجيش الصليبي الكبير في مرعش سار نحو بلاد ما بين النهرين، وقد ساعده بقراط على احتلال تل باشر والراوندان Rawendan, Areventan, Ravenel وبعض الأماكن التي كان يستولي عليها الأتراك. لكن هناك بعض قادة الأرمن المجاورين، ومن بينهم فير (Fer) ونيكوسوس (Nicusus) كما يسميهم البرت دكس، قد أخبروا بلدوين بالمؤامرة التي يحيكها مع الأتراك، فطالب الأمير الإفرنجي بلدوين بقراط بإعادة الراوندان، ورغم عدم انصياع بقراط للأوامر إلا أنه خضع للأمر الواقع، ومع أن بلدوين قام بتهديد الأرمن بتقطيعهم، إلا أن ذلك لم يثنيهم عن إصرارهم وقيامهم بالثورة، وقد كتب بقراط رسالة إلى ابنه الذي كان يقيم في الراوندان غير أن الرسالة سلمت إلى فير، وبعدها أعيدت الراوندان، ومنذ ذلك الوقت افترق بقراط عن بلدوين. ولكن بقراط تعاون مع شقيقه كوغ فاسيل في الجبال المجاورة لتل باشر والراوندان، حيث أنهكا تلك المنقطة بغزواتهم. Albert d'Aix,IV XIII,XVI. ونستطيع رؤية العقاب القاسي الذي أنزله جودفري في جنود الأميرين الأرمنيين عند نفس المؤرخ والذي يظهر لنا في موضع آخر Albert d'Aix, XI,LX أن بقراط وكوغ فاسيل تقدما عام ١١١١م من قارس (Crasson) وكيسوم (Kecoun) لنجدة تنكريد عندما غزا مودود أراضيه. إن بقراط وكوغ فاسيل يقدمهما متى الرهاوي في رواياته بألوان مختلفة، ومن المثير أنه يتناقض مع كتاب الحوليات اللاتينية.

القائد الأرمني قسطنطين من كركر [1] (Kargar)، وبعد عدة أيام قام ثوروس بإرسال بلدوين وقسطنطين لمحاصرة سميساط (Samosate)، ومحاربة أميرها بلدوك [2] (Baldoukh)، وانضمت قوات مدينة الرها وجميع مشاة المقاطعة إلى الإفرنج، وساروا بحشد كبير إلى سميساط، فهدموا البيوت الواقعة خارج أسوار هذه المدينة، ولم يتجرأ الأتراك في البداية على التحرك، ولكن القوات المسيحية تجمعت وقامت بنقب أسوار المدينة، وعلى أثر هذا المشهد خرجت مفرزة مكونة من ثلاثمائة فارس من الأتراك

---

[1] Gargar كركر في العربية، موضع حصين يقع على الضفة الغربية للفرات بين شميشاط وحصن زياد (خرتبرت) (أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٦٥)، (البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص ٣٠٥) . إن القائد الأرمني قسطنطين الذي يحكم كركر، هو موضع خلاف في هذه الصفحة، وما يرد في(ص ٢٠٢) إذ لا يجوز الخلط بينه وبين قسطنطين بن روبين الوارد عند متى الرهاوي، ص ٧٣ . ويتكلم وليم الصوري، ج١، ص ٢٦٨ . والبرت دكس (Albert d'Aix, III,XXII) عن قسطنطين، سيد كركر، وعن الجزء الذي أخذه بعد تصميم سكان الرها بتسليم أنفسهم إلى بلدوين .

[2] حسب متى الرهاوي Dulaurier , Bibliotheque historique arme'nienne, ch. CXLVI

والمؤرخ فارتان (Vartan, auteur arménien) أن بلدوك أمير سميساط هو ابن الأمير غازي بن الدانشمند من سلالة أمراء تركمان كبادوس (Cappadoce) الذين كانوا يرون أنه من الصعب مقاومة بلدوين، لذلك قام بلدوك بتسليم سميساط إلى بلدوين لقاء مبلغ عشرة آلاف قطعة ذهبية، وتعهد له بتسليم زوجته وأطفاله إليه كرهائن، ولكن استمر في تنفيذ وعده منتظراً فرصة مناسبة ليسبب لبلدوين الإزعاج والضرر، وعندما تقدم إلى بلدوين ليقدم كعادته الأعذار عن الإيفاء بوعده، أمر بلدوين بضرب عنقه . (Albert d'Aix, V,XXII) وليم الصوري، ج١، ص ٢٦٧- ٢٦٨، ٢٧٧- ٢٧٨ .

وهاجموا القوات المسيحية فانتصر الكفار وأرغموا الإفرنج على التراجع، وبرفقتهم سكان البلاد الواقعة بين سميساط وتل[1] (Thil) فكانت مذبحة مستمرة، وبقي ألف رجل في ذلك الموضع، بينما رجع قسطنطين، والكونت إلى الرها عند الحاكم ثوروس، وقد حدثت هذه المعركة في الأسبوع الثاني من شهر الصوم الكبير (Careme) .

وعندما كان الكونت في طريق عودته إلى الرها، وجد بعض الخونة من المستشارين الفاسدين، تواطئوا معه لقتل ثوروس، الذي لم يكن يستحق مصيراً كهذا، إذ كان قد قدم خدمات جليلة للمدينة، وبسبب حكمته وفطنته الحاذقة، ودأبه الخارق، وبسالته تخلص من الخضوع والتبعية للمسلمين المتوحشين القساة . وقد اجتمع أربعون متآمراً في الليل عند بلدوين، شقيق جودفري، للقيام بهذا العمل الدنيء الخائن، وبعد أن أطلعوا على خطتهم، ووعدوه بتسليمه الرها . أبدى بلدوين موافقته، وضموا أيضاً إلى جانبهم القائد الأرمني قسطنطين، وفي الأسبوع الخامس من الصوم، ثاروا ضد ثوروس وقام الناس في يوم الأحد التالي بنهب بيوت كبار المقربين من الحاكم، واستولوا على الجزء العلوي من القلعة، وفي اليوم التالي تجمعوا لاحتلال الجزء الداخلي للقلعة، الذي يتمترس فيه ثوروس، وبعد أن فرضوا الحصار عليه، أصبح ثوروس في مأزق شديد، وأرسل لبلدوين أن يبلغهم: إذا تعهدوا بالإيمان أن يتركوه حياً، فإنه سيترك لهم القلعة والمدينة، وسيذهل برفقة زوجته إلى ملطية (Melitene).

---

[1] تل حمدون، حيث يقع على بعد مسيرة يوم إلى الجنوب من جيهان (Djeyhan) وعلى بعد مسيرة يومين من سيس (Sis) وإلى الغرب من حمص (Hamous) (أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٥١).

حينئذ أحضر لهم صليب فاراك [1] (Varak) وصليب ماكنيس [2] (Makenis) وأقسم بلدوين على هذين الصليبين المقدسين، وسط كنيسة الرسل القديسين بأن لا يصيبه سوء، وأشهد على قسمه رؤساء الملائكة والملائكة والرسل والآباء الأولين والأحبار المقدسين، وكل زمرة الشهداء، بأن ينفذ كل ما طلبه منه ثوروس في الرسالة التي أرسلها إليه، وبعدما أدى الكونت قسمه المصدّق بذكر جميع القديسين، فسلم ثوروس القلعة لبلدوين الذي دخلها بدوره مع وجهاء المدينة يوم الثلاثاء، يوم عيد الأربعين قديساً [3]. لكن السكان المحتشدين انقضوا على ثوروس وهم مقلدين

---

1 صليب فاراك، واحد من أشهر القطع المقدسة الباقية، والأكثر احتراماً في ارمينيا، وهذا الصليب هو قطعة من الصليب الحقيقي، وكان يحتفظ به في دير فاراك الذي يقع في الجزء الجنوبي لولاية دوسب (Dosb) أو فان (Van) التي تقع في مقاطعة فاسبورغان (Vasbouragan) وقد أخذ معه الملك الأردزروني سينكريم جون (Ardzrouni Senekerm Jean) في أثناء هجرته من سباسته (Sebaste)، وبعد موته وصل اثنان من أبنائه، وهم أدوم (Adom) وأبو سهل (Aboucahl) وأعادا الصليب إلى فاراك بناء على رغبة أبيهم الأخيرة، وفي عام ١٠٩٢م نقل الصليب إلى الرها، ووضع في كنيسة الرسل القديسين.

2 دير ماكنيس أو ماكنوتس (Makenots) يقع في مقاطعة كيجار كونيك (Keghar Kounik) التي كانت تسمى كيجام (Kegham) وهي من ضمن ولاية سيونيك (Siounik) في أرمينيا الشرقية، وهذا الدير يقع في كنيسة القديسة أم الرب في كيجام.

3 إن شهداء سباسته (Sebaste) الأربعين الذين كانوا تحت نير حكم ليسنيوس (Licinius) عيدهم حسب التقويم الأرمني هو يوم السبت من الأسبوع الرابع من شهر الصوم الأكبر.

بالسيوف والعصي، والقوا به من أعلى السور في وسط جموع الغوغاء الثائرة، وانهالت هذه الجموع الناقمة عليه بالضرب وأثخنوه بالجراح، وربطت قدميه بحبل وجر بشكل مُخْزٍ وسط الساحات العامة . لقد حنثوا بالقسم، وكانت مؤامرة دنيئة أمام الله، وسرعان ما بسط بلدوين نفوذه على الرها [1] .

(C.F Nersès (saint) schnorhali (le Gracieux), patriarche d'Arménie, XII siècle, Élegie sur la prise d'Édesse par l'atabek Emâd-Eddin Zangui) .

[1] يذكر وليم الصوري، ج١، ص ٢٦٧- ٢٦٩ الاتهامات الموجهة ضد حكم ثوروس من سكان الرها، وحجته أن ثوروس إذا أراد أن ينتقم لنفسه من الذين أرادوا التخلص منه. كان يستدعي الأتراك المجاورين لنهب قطعانهم وحرق محاصيلهم، ومن هذا المنطلق نرى متى الرهاوي يبرر موقف مواطنه، في حين أن المؤرخ اللاتيني يبرئ بلدوين من مشاركته بالمؤامرة التي مكنته من الرها . إن جنسية المؤرخين وميولهما انعكست على الطريقة التي يرويان فيها الأحداث .CF.Albert d'Aix,III,XI-XIII; Guibert de Nogent, III,XIII ومن خلال كتابي دراسات في تاريخ الأحداث الأرمنية، توصلت إلى قائمة مختصرة لتواريخ محددة من قبل متى الرهاوي لأحداث المأساة التي كانت مدينة الأسقفية أوزرون (Osrhone) (الرها) مسرحاً لها .

أ- المعركة التي وقعت بالقرب من سميساط كانت في الأسبوع الثاني من شهر الصوم، الموافق يوم الأحد ٢/١٤ حتى يوم السبت ٢/٢٠ .

ب- نهب منازل القادة المقربين من الحاكم ثوروس، واحتلال الجزء العلوي من قلعة الرها (قلعة مانياساس (Maniaces) من قبل جموع الثائرين، كان يوم الأحد من الاسبوع الخامس من شهر الصوم (٣/٧) .

ج- محاصرة الجزء الداخلي للقلعة، واستسلامها لبلدوين كان يوم الاثنين ٣/٨ .

د- موت ثوروس، وسيطرة بلدوين على الرها كان يوم الثلاثاء ٣/٩ الذي يصادف يوم عيد الأربعين قديساً (شهداء سباسته) (Sebaste) .

VI/ ٦ في السنة نفسها وصل كربوغا[1] (Kerboga) قائد جيش فرسان بركياروق (Borkiarok) سلطان فارس، مع جيش جرار لمحاربة الإفرنج، وعسكر قرب أبواب الرها مع قواته حتى موسم الحصاد، فخرب الأرياف، وشن هجمات عدة على المدينة، وكان قد جمع حوله قوات لا حصر لها، وفي نهاية اليوم الأربعين قدم ابن اغوسيان (Aghoucian) ا ياغي سيان ا أمير إنطاكية وركع أمامه طالباً مساعدته، وأخبره أن الجيش الإفرنجي يعاني الكثير، وقد أوشك على الهلاك من قسوة المجاعة[2] .

---

1 كربوغا (قوام الدولة) أمير الموصل، كان تحت إمرة سلاطين سلاجقة بلاد فارس، ويسميه وليم الصوري كورباغات (Corbagath) كورباغاز (Corbagaz)، اويذكره وليم الصوري باسم كربوغا، انظر وليم الصوري، (زكار) ، ج١، ص ٣١٨، ويسميه Paris,La Chanson d'Antioche كاتب نشيدة إنطاكية كورباران (Corbaran). توفي كربوغا عام ٤٩٥هـ (٢٦/١٠/١١٠١م – ١٩/١٠/١١٠٢) في مدينة خوي (Khoi) في أذربيجان، حيث ذهب هناك بناءً على أمر من السلطان بركياروق، وقام بعد موته شمس الدولة جكرمش التركي، أمير جزيرة ابن عمر باحتلال الموصل أبو الفدا، اسماعيل بن علي (ت ١٣٣١م/ ٧٣٢هـ)، المختصر في اخبار البشر، ٣جـ، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، (د.ت)، ج٢، ص ٢٣.

2 ياغي سيان، كان عنده ولدان، الأول شمس الدولة ،ا ويذكره وليم الصوري، باسم سامسادولوس ا

(CF Guillaume De Tyr, Historia rerum in partibus transmarinis gestarum, 1 vol. In-fol.en deux tomes.paris,1840 ;dans le Recueil des historiens des croisades de L'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, VII,VIII).

يذكره وليم، ترجمة زكار، أكسيانوس (Acxianus) وليم الصوري، زكار، ج١ ص ٢٧٩ ا، وسانسادونيا (Sansadonia) Albert d'Aix, I,et.II,xxixetx lxIII) وسانسادوين (Sansadoine) عند Paris, La Chanson d'Antioche, chant

وفي هذه السنة نفسها قامت خرسان [1] بثورة مسلحة، امتدت من الشرق إلى الغرب، من مصر حتى بابل بما فيها بلاد اليونان والشرق ودمشق، والمناطق الساحلية، ومن القدس حتى الصحراء، وقد شوهد

---

v,passim والثاني اسمه محمد، وقد ذهب الأخير إلى كربوغا، بينما ذهب شمالدولة لطلب النجدة من دقاق طغتكين . DF, Defrémery(Ch.) Mélanges d'histoire orientale، Paris . In-8°. 2 vol ،1854 et 1862، p.37 . ويسمي (Albert d'Aix, IV,II et xxix) ابن ياغي سيان الثاني باسم بولداجي (Buldagi) (CF. (Tudebodi, Historia de Hierosolymitano , Iv,xxi)) .

وحسب فوشيه الشارتري، ص ٥٤، فقد أرسل ياغي سيان ابنه سانسادولوس (Sansadolus) إلى سلطان فارس، حيث استجاب لطلبه، فقام على وجه السرعة، وحشد جيشاً ووضعه تحت قيادة كربوغا، وقد عسكر هذا الجيش بادئ الأمر امام الرها لمدة ثلاثة أشهر حيث كان بلدوين، ولكن الجيش لم يستطع عمل شيء لهذه المدينة، فتابع الجيش مسيره إلى إنطاكية Albert, d'Aix, Iv,x، وليم الصوري، ج١، ص ٣١٢، ٣١٨- ٣١٩ .

[1] إن كلمة خُرسان عند المؤرخين الأرمن هي نفسها عند كتاب حوليات اللاتين، إذ لا تعني فقط اسم الولاية، وإنما بلاد فارس قاطبة، وبشكل عام كل البلاد الممتدة نحو الغرب والتي تقع تحت سيطرة سلاجقة بلاد فارس، مثل أذربيجان وأرمينيا وبلاد ما بين النهرين وبغداد (بالداك/ Baldach) حيث كانت من ضمن خرسان. والبرت دكس (Albert d'Aix, vIII,vII) نجده يعني بخرسان في بعض المواضع باسم آسيا الصغرى التي كان يسيطر عليها سلاجقة قونية (Iconium) . وفي موضع آخر نجد وليم الصوري، وكتاب حوليات اللاتين الآخرين يسمون دون تمييز بلاد فارس التي يسكنها الأتراك بآسيا الصغرى و (Ceux) بلاد فارس ويستخدم Nicetas choniated, Nicétas Choniates, Annales,dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ, p.17. نفس المصطلح عندما يتكلم عن أتراك قونية (Iconium) .

ثمانمائة ألف فارس، وثلاثمائة ألف جندي مشاه [1]، يتقدمون بفخر وعزة في صفوف متباعدة، مغطين السهول والجبال على مد البصر، وأقاموا أمام أبواب إنطاكية بكل غطرسة لمواجهة الجيش الإفرنجي، قادرين على نشر الخوف بين الإفرنج، لكن الله الذي لم يرد الدمار للجيش المسيحي الصغير، شمله بحمايته كما فعل من قبل مع بني إسرائيل، وبينما كان الكفار لا يزالون بعيدين، أرسل أحد أعيان المدينة [2] رسالة إلى بوهيمند

---

1 هذا العدد المكون من (٨٠٠,٠٠٠ فارس + ٣٠٠,٠٠٠ جندي مشاه = ١,١١٠,٠٠٠ من الواضح أنه مبالغ فيه . ويذكرفوشيه:

(Fulcherii (Domni) Carnotensis Historia Iherosolimitana , gesta Francorum Iherusalem peregrinantium, ab anno domini Mxcv usque ad annum MCXXVII , dans le Recueil des historiens des croisades , publié par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, In-fol . Paris , 1866. ch.xiv)

(٦٦٠,٠٠٠) [هذا العدد غير وارد في كتاب فوشية الشارتري، ترجمة كامل العسلي] ويذكر(Gesta Tancredi) (300.000، Radulfi) بينما العدد (٢٠٠,٠٠٠) الذي يذكره كل من وليم الصوري، ج١، ص ٢١٨ وX، iv، Albert d'Aix هو أقرب للواقع .

2 يذكر وليم الصوري، ج١، ص ٣١٥، أنه كان زعيم إحدى العائلات المسيحية في إنطاكية التي كانت تدعى عائلة بني زرعة (Beni-Zerrad/Beni-Zerra) ويسميه فيلي لوريكاتوريس (Filii Loricatoris) أمير فيروز، ويضيف أنه كان يشغل منصبا سكرتير الحاكم [أمين القصر، وليم الصوري، ج١، ص ٣١٥] وبسبب هذا المنصب كان له دورٌ مؤثرٌ في المدينة، وكان تحت إمرته حراسة برج الاختين الواقع غربي المدينة، بالقرب من باب القديس جورج . ويؤكد (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، وسبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي (ت ١٢٥٦م/ ٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، الجزء المنشور في كتاب الحروب الصليبية، ٢جـ، جمع وتحقيق سهيل زكار ١٩٨٤م/ ١٤٠٥هـ، دار حسان، دمشق. في أحداث عام ٤٩١هـ ،وابن

(Bemond) وإلى قادة آخرين من الإفرنج يخبرهم عن رغبته بتسليم إنطاكية شريطة المحافظة على رعاياه وأملاك آبائه، وتحت جناح الظلام قام بتسليم المدينة سراً إلى بوهيمند، حيث فتح باب أحد أبراج السور، وأدخل الإفرنج إلى إنطاكية، وعند الفجر نفخ الإفرنج في الأبواق، فتنبه الكفرة وتأهبوا للقتال، ولكنهم لم يتمكنوا من النجاة لأن الرعب تملكهم والفزع داهمهم، فانهال الإفرنج عليهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، فكانت مذبحة رهيبة، وهرب الأمير اغوسيان (Aghoucian) [ياغي سيان] من المدينة، فقتل في أثناء هروبه من قبل الفلاحين الذين قطعوا رأسه بمنجل[1]، هكذا سقطت المدينة التي انتزعت في السابق من

العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٤٨- ٣٤٩: أنه كان يدعى فيروز، وينعته ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٧٤، باسم زرّاد (صانع التروس) ويعلمانا أنه أوكلت إليه مهمة حراسة أحد الأبراج الواقعة فوق نافذة تطل على الوادي الذي دخل منه الإفرنج، وقد كسب الإفرنج فيروز إلى صفهم بإغداق المال والمجوهرات عليه. وتذكر آنا كومنين (زكار)، ج١، ص ١٥٥ ويذكر Bernardi Thesaurarii Liber de acquistione terre Sanctæ dans Muratori, Rerum Italicarum scriptores,t. VIII. col,691

أن فيروز أرمني الأصل، بينما يذكر ريموندداجيل، ص ١١٠، ١١٩، أنه [تركي] خائن، ويذكر (ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٢٣) أن الصليبيين الذين حاصروا إنطاكية منذ تسعة أشهر رأوا أنهم لن يستطيعوا الاستيلاء على المدينة، فقاموا بشراء رجل فارسي بالذهب يدعى روزبه، وكان حارساً للبرج المؤدي للكهف يسمى كشكروف (Kasch Karouf) وكان ذلك البرج مؤسساً على قضبان حديدية.

1 وحسب ما يذكر ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٧٥، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في أحداث عام(٤٩١هـ/١٠٩٨م)، وابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٢٩، أن رجلاً أرمنياً كان يقطع الأخشاب مرّ بياغي سيان، فقام الرجل الأرمني، وقتله، بينما وليم الصوري ،ج١، ص ٣٣١، يخبرنا أن عدداً من الأرمن تعرفوا على ياغي سيان في

الأرمن [1]، ودخلت بقايا الحامية إلى القلعة واحتمت وراء أسوارها المنيعة، وبعد مضي ثلاثة أيام اقترب الجيش الفارسي، وكان أكبر من الجيش المسيحي بسبعة أضعاف، فحاصرهم الجيش الفارسي من جميع الجهات وضيق الخناق عليهم، وكان مصدر تهديد كبير لهم، وأصبحوا فريسة المجاعة والمعاناة، لأن المؤن في إنطاكية كانت قد نفدت من قبل، وكان كل يوم يمر يزيد من صعوبة موقفهم الميؤوس منه، فعزما على الطلب من كربوغا أن يضمن لهم حياتهم والنجاة بقسمه اليمين، واعدين إياه أن يتركوا إنطاكية ويغادرون إلى بلادهم[2]. وقد شهد الرب مأساتهم الشديدة، فأنزل عليهم رحمته وشفقته .

أثناء هروبه، فانقضوا عليه، وأسقطوه عن حصانه وقطعوا رأسه بسيفه، ويضيف فوشية الشارتري، ص ٥٨، أنهم حملوا رأسه إلى الصليبيين.

1 هذا الحديث فيه خلط حول سقوط إنطاكية على يد سليمان وابنه السلطان قليج أرسلان، عندما كانت إنطاكية بيد فيلاريست براشاميوس Philarete Brachamius الذي كان ينحدر من أصل أرمني من مقاطعة فاراج نونيك (Varaj nounik) في ولاية فاسبوراغان (Vasbouragan) وكان يحمل رتبة قائد، وقد سمي المخضع الأعظم من قبل رومان ديوجن (Romain Diogene) في وقت لاحق من النهاية الحزينة لهذا الأمير. وفي أيلول من عام ١٠٧١م بدأ الأمير سليمان باسترجاع استقلاله في شمال سوريا، وفي عام ١٠٨٧م أصبح حاكماً لإنطاكية، وقد وقعت هذه المدينة في قبضة الصليبيين في الثالث من حزيران عام ١٠٩٨م. وليم الصوري، ج١، ص ٣٣٢. وتعطينا أنشودة إنطاكية Paris,La Chanson d'Antioche chant VII, couplet 1 التاريخ بصورة أكثر دقة: يوم الأربعاء ليلة الثاني من حزيران سقطت إنطاكية وفي يوم الخميس سقطت المدينة كاملة بأيدي الصليبيين.

2 لقد أرهق حصار كربوغا قادة الصليبيين داخل إنطاكية، مما جعلهم يعقدون اجتماعاً سرياً قرروا فيه ترك الجيش والشعب والانسحاب من المدينة في أثناء الليل،

وفي أثناء الليل رأى أحدهم رؤيا معجزة، فقد ظهر الرسول القديس بطرس لأحد الإفرنج الأتقياء وغمره برحمته، وقال له : " هناك في الكنيسة إلى اليسار، الرمح الذي طعن به كتف المسيح الطاهر من قبل الأمة اليهودية الملحدة . والرمح موجود أمام المذبح، اذهب وانتزعه وتسلح بهذه العلامة المقدسة، وسر إلى المعركة، وبه ستنتصر على الكفار، كما تغلب المسيح على الشيطان " . وتكررت هذه الرؤيا ثانية وثالثة، ورويت على جودفري وبوهيمند وجميع القادة، وبعد أداء الصلاة، حفروا الموضع المشار إليه، فوجدوا الرمح الذي طعن به جنب المسيح في كنيسة القديس بطرس [1] .

لكن جودفري وادهيمر (Adhemar) اسقف بوي (Puy) نجحا في تغيير رأي الآخرين، وليم الصوري، ج١، ص ٣٥١. Albertd'Aix,IV,XXXVII

Paris,La Chanson d'Antioche, chant,VII,Couplet,12.

1 يذكر المؤرخ فارتان (Vartan) رواية أخرى فيما يخص اكتشاف رمح المسيح في إنطاكية وهي : " أن الإفرنج وجدوا في الجهة اليمنى من كنيسة القديس بطرس الرمح الذي طعن به اليهود المستهزؤون صورة يسوع المسيح، وهذا الرمح قُدس على شاكلة الرمح الذي دخل في جسد الرب، وهو بحوزة الأرمن، وقد انتصر الإفرنج على أعدائهم لتسلحهم به، وبعد ذلك أرسلوه إلى اليكس " . وحسب الرواية (أبن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٢٤) عثروا على مسامير صليب الرب، فصاغوا منها صليباً وسنان رمح، واتخذوهما بمثابة راية، وزحفوا إلى الأتراك . أنظر وليم الصوري، ج١، ص ٣٥٢، ريمونداجيل، ص ١٢٧- ١٢٩. فوشية الشارتري، ص ٥٨- ٥٩ Tudebodi, Historia de Hierosolymitano, IV,XXIV-XXV . Roberti, Historia hierosolimitana, live, VII .

إن رواية متى الرهاوي، ورواية المؤرخين الغربيين، أمثال ريمونداجيل والسواد الأعظم من البروفانسيين (Provencaux) جميعها تعتقد بحقيقة الرمح الذي اكتشفه الأب بارثيليمي (Barthelemy) وانتشار خبره بين كل الشعوب المسيحية

وفي أثناء تلك الأحداث وصلت رسالة من معسكر الكفار إلى الإفرنج تحثهم على القتال، وكان هؤلاء تملأهم الفرحة، فأجاب بوهيمند والقادة الآخرون على كربوغا أنهم يقبلون تحديه لهم يوم غد[1]، وكان جيش الإفرنج قد تناقص عدده، ولم يعد يتجاوز خمسة عشر ألف فارس[2]، ومئة وخمسين ألفا من المشاة . فتقدم المسيحيون إلى القتال ويتقدمهم رمح

في المشرق الذين اعتقدوا باستثناء بوهيمند (Boemond) وارنول دي رويس (Arnoul de Rohes) كاهن دوق نورماندي، وجمع غفير، قالوا بأن الأمر ما هو إلا تضليل مُدبر بين [بارثليمو] بارثيليمي (Barthelemy) والكونت ريموندا جيل. فوشيه الشارتري، ص ٥٩.

CF.Radulfi , Gesta Tancredi, Ch, CXIV.

1 بطرس الناسك هو الشخص الذي أرسله الصليبيون بصحبة هيرنبوس الذي كان على معرفة باللغة الفارسية والفرنسية إلى كربوغا وعهد إليهما أن يخبرا كربوغا، إما أن يرحل ويترك المدينة للمسيحيين ملكاً بأيديهم إلى الأبد أو يستعد للمعركة ويستسلم إلى حكم السيف . وليم الصوري، ج٢، ص ٣٥٣- ٣٥٤ . وقد عرضا على كربوغا أن ينهي الحرب عن طريق منازلة فردية أو بمعركة حاسمة، ولكن كربوغا رد عليهم بغطرسة، أن مصير المسيحيين بين يديه وأنه سينتظر حتى يقتلهم الجوع. فنشبت المعركة في اليوم التالي، الرابع من كالندس (Kalendes) لشهر تموز، عشية عيد الرسل القديس بطرس، والقديس بول الموافق ١٠٩٨/٦/٢٨م . وليم الصوري، ج١، ص ٣٦٦.

CF. Roberti, Historia hierosolimitana live. Guibert de Nogent, V,X., Paris,La Chanson d'Antioche, chant, VII, couplets, 23-26.

2 إن الصليبيين بسبب التعب الذي استنفذ قواهم، والمجاعة التي ذاقوا علقمها، وسوء الأحوال الجوية التي عانوا منها في أثناء الحصار المضروب على إنطاكية، ضحّوا بغالبية خيولهم حسب ما يذكر البرت دكس (Albert d'Aix, IV,LIV) وأن عدداً كبيراً من الفرسان النبلاء وذوي المنزلة الرفيعة ساروا إلى المعركة كجنود مشاة أو حزموا على بهائم وضيعة .

المسيح كراية شامخة، وكان الكفار منتشرين على امتداد سهول إنطاكية بعمق خمسة عشر صفاً.

قاد سانت جيل (Saint Gilles) المقدمة رافعاً الرمح الذي طعن به جنب المسيح [1] في وجه رايات كربوغا الذي واجههم بقوات لا حصر لها، متجمعة ومتراصة كالجبل. وكانت ميسرة الجيش الإفرنجي تحت قيادة أسد القتال تنكريد (Tancrede) بينما كانت الميمنة تحت قيادة الكونت النورمندي روبيرت [2] (Robert) وواجه جودفري وبوهيمند قلب الجيش التركي، ودعوا الله بصوت عالٍ أن ينصرهم، وكالبرق الذي يتفجر في أعلى السماء، ويحرق قمم الجبال، انقض الصليبيون جميعاً على الكفار فولوهم الأدبار، وعم الهرج والمرج بين صفوفهم، ونكلوا بهم وطاردوهم طوال ذلك النهار حتى تخضبت سيوف الصليبيين بالدماء، وتغطت السهول بالجثث، وكانت الخسارة الأكثر فداحة في صفوف مشاة الأعداء، وقد انتقم الرب منهم بشدة حيث أهلكت النار منهم ثلاثين ألف رجلٍ، فانتشرت الروائح الكريهة، وامتدت إلى مسافات بعيدة من البلاد، ثم رجع الصليبيون إلى إنطاكية، ودخلوها وهم محملون بالغنائم، ويجرون خلفهم

---

1 [يقع متى الرهاوي في الخطأ بتأكيده أن ريموند سانت جيل كونت تولوز تقدم نحو كربوغا حاملاً الرمح المقدس مع أن المصادر الأخرى تشير إلى أنه كان مريضا، وترك في إنطاكية من أجل حماية أسوارها، والرمح المقدس عهد به إلى الأسقف ادهيمار (Adhemar). انظر ريموندداجيل، ص ١٤٣. وليم الصوري، ج١، ص ٣٥٧- ٣٥٨ بينما يضيف المؤرخ ريمونداجيل، كُنت شاهداً على الأحداث وحاملاً للحربة المقدسة، انظر ريمونداجيل، ص ١٤٦].

2 [انظر وليم الصوري، ج١، ص ٣٥٧- ٣٥٨ بشأن تنظيم جيش الفرنجة، وقياداته].

عدداً كبيراً من الأسرى، تغمرهم سعادة عارمة . كان يوماً عظيماً ومشهودا بث البشرى والفرح بين المؤمنين .

٧/VI ظهرت علامة أخرى في الجهة الشمالية من السماء في السنة نفسها، الساعة الرابعة من الليل[1] واشتعلت قبة السماء أكثر من المرة الأولى، وكان لونها أحمر غامقاً، واستمرت هذه الظاهرة من المساء حتى الساعة الرابعة من الليل، ولم يشاهد في السابق مشهداً مهولاً، وأكبر شؤماً مثل هذا قط ؛ فكانت تكبر وترتفع تدريجياً على شكل شبكة من الخيوط، غطت الجزء الشمالي كله من السماء حتى قمتها، واصطبغت النجوم بلون النار، وكانت هذه الظاهرة نذير غضب وهلاك .

٨/VIII في عام ٥٤٨ (٢٥ شباط ١٠٩٩- ٢٤ شباط ١١٠٠م) حدث خسوف للقمر، كما يحدث عادة، فأصبح هذا النجم في البداية لونه لون الدم الغامق من بداية القسم الأول من الليل وحتى الساعة الرابعة . وبعدها أخذ لون داكن مع احتفاظه باللون الدموي، فخيم الظلام الدامس إلى حدٍ انغمس العالم بأسره في الظلمة . أكد العلماء حسب ما ورد في كتبهم أن

---

[1] يبدو أن هناك عُرفاً عند الأرمن يعود إلى القدم " وهو تقسيم الليل إلى أربعة أقسام كل قسم مكون من ثلاث ساعات، الأول يبدأ من غروب الشمس حتى الساعة السادسة، والقسم الثاني حتى الساعة التاسعة، والقسم الثالث حتى منتصف الليل، والرابع يمتد حتى شروق الشمس وذلك حوالي الساعة السادسة صباحاً؛ ويقصد هنا بالساعة الرابعة من الليل أي الساعة العاشرة ليلاً تقريباً، وأقول تقريباً لأن طول الأقسام والساعات يختلف حسب الموسم، وهذا العرف يستخدم بالتأكيد السنة الشمسية التي تعتبر مقياس الوقت المستخدم عند الأرمن (الترجمة الفرنسية).

هذا الخسوف نذير سفك الدماء من قبل الفرس، ويؤكد ذلك القمر الذي يعتبر رمز هذه الأمة .

اتجه الإفرنج في السنة نفسها إلى المدينة المقدسة أورشليم تحقيقاً لنبوءة القديس نيرسز (Nerses) بطريرك أرمينيا الذي قال: " إن خلاص أورشليم سيتم على أيدي الإفرنج، لكن هذه المدينة ستقع تحت نير حكم الكفار عقاباً لخطاياها "[1]. وما أن بدأ الجيش المسيحي في المسير، تحرك الأتراك بجيوشهم كما فعل العماليق ضد بني إسرائيل، وعندما وصل الجيش المسيحي قبالة عرقة [2] هاجمه الكفار بقوة، لكن الجيش

---

[1] إن نبوءة القديس نيرسز (Nerses) كانت مُزيفة، حيث أضيفت إلى خطابة الذي ألقاه قبل موته، والخطاب موجود في سيرة حياة هذا البطريرك .

Petite bibliothèque arménienne, collection de divers ouvrages d'un caractère religieux ou historique, publiée par les RR.PP. mĕkhitharistes de saint-Lazare , 20 vol.in-18.Venise, 1853-1854, Vol.,I,p.89-104.

وسيرة حياته مستندة على أساس خاطئ حتى تصل إلى ميزروب الخوري Mesrob le pretre الذي عاش في القرن العاشر الميلادي . ويبدو أنها من إعداد كاتب أكثر قدماً من القديس نيرس/ بعدة سنوات تعود إلى نهاية القرن الرابع الميلادي .

[2] عرقة، مدينة صغيرة على بعد ١٢ ميلا إلى الشمال الشرقي من طرابلس، بالقرب من لبنان تقع على تلة وعرة تشرف على قلعة المدينة . أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٥٥.البغدادي، مراصد الإطلاع ،ج٢، ص ٢٥٠ . وليم الصوري، ج١، ص ٢٨٦- ٢٨٧. ريموندداجيل، ص ١٨٥. المعركة التي يتكلم عنها متى الرهاوي لم تكن سوى مناوشة بسيطة قتل فيها أربعة عشر مسيحياً وستون تركيا، وهؤلاء الأتراك قادوا مجموعة من الرجال والحيوانات بلغ عددهم أكثر من ١٥٠٠، وعند أول مواجهة فرّ الأتراك تاركين ستة منهم وستة خيول في أيدي الصليبيين .

(Tudebodi, Historia de Hierosolymitano,IV, XXXIV)

المسيحي حقق النصر، وواصل مسيره بهدوء ، ولما وصل الجيش تحت أسوار أورشليم، خاض معارك عظيمة، وكان السنيور فهرام كاثوليكوس أرمينيا مقيماً آنذاك في المدينة، فأراد الكفار قتله، ولكن الرب أنقذه من بين أيديهم، وبعد عدة هجمات متواصلة من الإفرنج قاموا برفع أبراج من الخشب ووضعوها بمحاذاة الأسوار، وقد تمكنوا بالمعجزات، وبحد السيف والعزم الشديد من السيطرة على المدينة، وقام جودفري بحمل سيف فاسبازيان [1] (Vespasien) وانقض به بقوة على الكفار، فقتل خمسة وستين ألفاً داخل الهيكل، دون إحصاء أولئك الذين قتلوا في الأجزاء الأخرى من المدينة [2]. وهكذا أخذت أورشليم وحرر قبر المسيح، ربنا، من عبودية المسلمين، وهذه المرة الثالثة التي يعمل بها سيف فاسبازيان على نصرة أورشليم منذ أن صلب الرب .

---

1 انظر موضوع سيف فاسبازيان، صفحة ٦٤، هامش (٣) .

2 إن المسلمين الذين قتلوا من قبل الصليبيين في الهيكل في القدس يختلف المؤرخون حول عددهم، فيذكر وليم الصوري، ج١، ص ٤٣٧: أن عددهم عشرة آلاف، وهؤلاء غير الذين قتلوا في الشوارع والساحات العامة، وقدر عددهم بحيث كان مساوياً لعدد القتلى في الهيكل . أما ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٢٨٣، وأبو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٢٨، (أحداث ٤٩٢) يقتربان من المؤرخ الأرمني مع التأكيد بأن هذا الرقم تجاوز سبعين ألفاً. ابن تغري بردي، يوسف (ت ١٤٦٩م/ ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جـ، ط١، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب، بيروت، ١٩٩٢م/ ١٤١٣هـ، ج٢، ص ١٤٩، يذكر أنه كان هناك مئة ألف قتيل، ومئة ألف أسير، وحسب ما يذكر ابن العبري، تارخ الزمان، ص ١٢٤، أنه قتل سبعون ألف عربي داخل الهيكل .

٩/IX وفي نفس السنة كان هناك حشد كبير من القوات في مصر. جاءت من سكيثي (Scythie) [1] وبلاد النوبة (Nabie) حتى أنه وصل من تخوم الهند، فتقدم ثلاثمائة ألف رجل مسلحين من الرأس إلى القدم نحو أورشليم، أثار هذا الخبر مخاوف الإفرنج، فلم ينتظروا قدوم العدو إلى أورشليم، فتحركوا لمواجهتهم، واستناداً لفكرة أنه إذا كان من المستحيل الصمود أمام الكفار، فمن الممكن أن يمهدوا الطريق لاستعادة وطنهم. التقى الجيشان بالقرب من المحيط. وعندما لاحظ ملك مصر [2] تقدم الإفرنج، أعطى أمراً لمعاونيه بمهاجمتهم، ولكن الإفرنج انقضوا عليهم بسرعة، وأنزلوا الخسائر بالمصريين، وأجبروهم على التقهقر، ولم يكن الإفرنج وحدهم الذين قاتلوا، فقد كان الله في صفوفهم مثلما فعل مع فرعون في البحر الأحمر لنصرة بني إسرائيل. لقد ردوا الأعداء على

---

1 إن كلمة سغوث (Սկիւթ) (Sguth) أو سجوت في الأرمني، هي نسخ لكلمة سكيثيا (Scythia) أو سكيثياكا راجيو (Scythiaca regio) وهي صحراء سكيتي التي تقع جنوب غرب الإسكندرية، وهي مشهورة بعدد كبير من النساك القديسين الذين يعيشون في عزلة فيها، ويقصد متى الرهاوي من تعبير سغوث ونوبي (النوبيين) شعوب شمال ووسط مصر، وما تتضمنه أثيوبيا التي يسميها الهند، وقد ورد التعبير الأخير في كتابات تاريخ اليونان واللاتين، وبقي هذا التعبير مستخدماً في لغة الجغرافيا حتى القرن الثامن عشر ميلادي].

2 إن متى الرهاوي يترجم كلمة تاكافور(Թագաւոր) بالارمني إلى ملك، وهو الأفضل قائد المصريين، والمعركة التي يذكرها متى الرهاوي هي معركة عسقلان الشهيرة، والتي كان سبب النصر فيها ريموند دي سانت جيل (Reymond de Saint-Gilles)، وقد كانت خسارة الكفار فادحة، وحسب ما يذكر Albert d'Aix, VI, XL قتل ثلاثون ألف مصري في ساحة المعركة، وألفان اختنقوا أمام باب عسقلان تحت أقدام الجنود وسنابك الخيول، أما الفارين فقد لقوا حتفهم غرقاً في البحر، وهؤلاء لا يعدون ولا يحصون. ونفس حولية Guibert de Nogent, VII,XVII وبتحديد يوم السبت ٨/١٢ كتاريخ لهذه المعركة. ومن الكفار الذين أسيئت معاملتهم كثيراً هم الأوزبارت (Asoparts).

أعقابهم ببسالة، وأغرقوا مئة ألف رجل في البحر، أما باقي الجيش فمنهم من قتل ومنهم من فر هارباً، وبعد هذا النصر العظيم عاد الإفرنج إلى أورشليم محملين بالغنائم .

X/١٠ وفي السنة نفسها جمع القائد غريغوري (Gregoire) شقيق السنيور بازيل (Basile) كاثوليكوس أرمينيا قوات الشرق، وذهب لمواجهة الأتراك الذين كانوا متمركزين في مقاطعة أشورنك [1] (Aschornek)، وعندما وصل هذا المحارب المقدام مع جماعته إلى قرية جاج زوان (Gaghzouan)، قاموا بمحاربة الكفار وولوهم الأدبار، وقتلوا الكثير منهم، ثم سلكوا الطريق المؤدي إلى مدينة آني (Ani)، وكان يكمن في الطريق جندي من الأتراك تحت شجرة، فرمى غريغوري بسهم على فمه، فسقط أثر وطأة هذه الضربة على الأرض، وأسلم روحه . فبكت الأمة الأرمنية بأسرها لموته، هكذا كانت نهاية غريغوري الشجاع، هذا المسيحي التقي ابن فاساج (Vacag) بن ابيراد (Abirad) بن هاسان (Hacan) من نسل الأبطال المنحدر من البهلافونيين [2] (Bahlavouni).

---

1 أشورنك صيغة عامية لكلمة أرشارونيك (Arscharounik) وهي مقاطعة تدعى أيضاً اراسخاتزور (Eraskhatzor) (وتعني وادي اراكس)، وهي تقع في الشرق من باسين (Pacen) الواقعة في مقاطعة اراراد (أرمينيا الكبرى) .

2 البهلافونيون، اسم مشتق من مدينة بهل (Bahl) مكان إقامتهم الأولى، والتي يفترض أنها موجودة بالقرب من باكترس (Bactres) أو نفس موقع هذه المدينة، وهم ينحدرون من عائلة الأرساسيد (Arsacides) الملكية في العصر الذي يحدده لنا متى الرهاوي، وقد استمرت هذه العائلة بتألقها وعظمتها في أرمينيا . وقد أخرج فرع سورين، بهلاف (Souren Bahlav) والقديس غريغوري المستنير، الذي ينحدر منه غريغوري بن فاساج .كما أخرجت هذه العائلة رجالٌ مرموقين كُثر، وأبرزهم الأمير

۱۱/XI في السنة نفسها قام الكونت سانت جيل (Saint-Gilles) بالعودة إلى الإفرنج[1]، يحمل الرمح الذي طعن به جنب السيد المسيح والذي كشف عنه في إنطاكية، وبعد أن قدمه هدية إلى الكسس، إمبراطور الرومان، تابع سيره.

۱۲/XII في السنة نفسها مات أمير أرمينيا العظيم قسطنطين بن روبين (Roupen) تاركاً وراءه ولدين، ثوروس (Thoros) وليون (Leon)، وكان باسطاً سلطانه على عددٍ كبير من المدن والمقاطعات، وقد استولى على الجزء الأكبر من جبال طوروس، حيث انتزعه من الفرس بقوة ساعديه، وكان أحد قادة جيش كاكيج البجراتيدي ابن آسشود.

غريغوري ماجيستروس (Magistros) جد غريغوري بن فاساج، ودوق بلاد ما بين النهرين، حيث كان مشهورا بمواهبه العسكرية واتساع معرفته، هذا بالإضافة إلى العديد من الآباء الأوائل ومن بينهم العالم والخطيب القديس نيرسز سشنور (Nerses Schnorhali) هالي اللطيف.

(CF. Tableau genealogique de la Famille du prince Gregoire Magistros, [Dulaurier, Bibliotheque historique arme'nienne t.I.)]

[1] يقصد متى الرهاوي بلاد الإفرنج أوروبا . ريموند دي سانت جيل، لم يذهب في رحلته أبعد من القسطنطينية، وقد أدى خدمة كبيرة للإمبراطور الكسس، حيث عبر عن حصافته الفائقة وسلامة نيته، وسمو أخلاق البطل التولوزي مما جعل الإمبراطور يكن له كل المودة والاحترام . آنا كومنين، الكساد (زكار)، ج۱، ص ۱۷۰، ۱۷۲ . وليم الصوري، ج۱، ص ٤٦١- ٤٦٢ .

وقد حدثت معجزة في قصره أنذرت بموته، ففي يوم من الأيام لمع برق شديد شق السحاب، وضربت الصاعقة قلعة فاهجا[1] (Vahga) ودخلت الصاعقة بيت الخدم، وضربت طبقاً من الفضة، ودخلت قطعة منه تحت سبعة أطباق أخرى[2] . فقال الحكماء أن ما حصل هو نذير على قدوم السنة الأخيرة من حياة قسطنطين، والحقيقة أنه مات قبل نهاية السنة، ودفن في دير غاسداغون[3] (Gasdaghon) .

١٣/XIII وفي السنة نفسها ظهرت علامة نارية ثالثة لونها أحمر غامق، استمرت إلى الساعة السابعة من الليل، وكانت تتجه من الشمال صوب الشرق، ثم توشحت بالسواد، فتكهنوا أن هذه الظاهرة تعلن بإراقة دماء

---

1 فاهجا قلعة حصينة تقع ضمن سلسلة جبال طوروس في سليسيا إلى الشرق من نهر ساروس (Sarus) أو سيهان (Seyhan) . إن مدينة باكسا (Baxa) التي يذكر كل من Nicetas choniates historiæ Byzantinæ VI, p.12. Cinnamus Historiarum libri sex , dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ. I , VIII
يتحدث بإسهاب عن حصر ذلك المكان من قبل جون كومنين
(CF. Grégoire (Le Prêtre), auteur arménien dn XII siècle, Continuation de la chronique de Matthieu d'Édesse , publiée dans le présent volume , p. 151-201 chap,CIV)
ويذكر هذان المؤرخان أن فاهجا تقع على منحدر وعر، وأن اسم فاهجا يجب أن يقرأ نيقية حسب ما ورد عند ابن الأثير، الكامل ،دار صادر. ج١١، ص ٥٣.

2 ويضيف المؤرخ فارتان (Vartan, auteur arménien) أن نفس الصاعقة قتلت واحداً من الخدم.

3 دير جاسداجون (Gasdaghon) يقع ضمن سلسلة جبال طوروس بالقرب من قلعة فاهجا . انظر مصادر هامش (١) من الصفحة.

المسيحيين، وهذا التكهن أصبح في الواقع حقيقة . فمنذ اليوم الذي بدأ الإفرنج حملتهم لم تظهر أية علامة سارة، وإنما كل التنبؤات كانت تشير إلى القتل والدمار والموت والمذابح، والمجاعات والكوارث .

XIV/١٤ وفي السنة نفسها اجتاح بلاد ما بين النهرين مجاعة، وخاصة مدينة الرها . فلم تسقط قطرة مطر في الأرياف طوال العام، فحبست السماء الخير، وجفت الأرض لحرمانها من الماء، وهلكت الأشجار، وحقول الكرمة، ونضبت العيون، فمات عدد كبير من سكان الرها بسبب الجوع، وقد أعدت هذه المدينة في جُنبات أسوارها نفس المشاهد التي حدثت في السامرة أيام النبي يوشع، ومن هذه المشاهد، قامت امرأة مسيحية رومانية بشوي ابنها الصغير، وأكلت من لحمه، كما أجبرت المجاعة مسلما كافرا أن يأكل زوجته . وكان الله قد نزع البركة فلم يعد يشبع أحد من الطعام . وفسر كثير من الناس أن ذلك غضبٌ إلهي انتقاماً لقتل القائد ثوروس المظلوم .إذ كان السكان في السابق قد أقسموا على الصليب والإنجيل أن يبقوا على حياة ثوروس، لكنهم نكثوا بيمينهم، وقتلوه شر قِتْلة، وعلقوا رأسه في طرف عصا طويلة، وأخذوا ينهالون عليه بالشتائم واللعنات، وقد وضعوا تلك العصا أمام كنيسة المخلص التي شيدها القديس الرسول تَدّى [1] (Thaddee) وكفارة عن هذه الجريمة،

---

[1] إن القديس تَدّى واحد من أتباع القديس بارثليمي (Barthelemy) الاثنين وسبعين الذين أتوا معه إلى أرمينيا العظمى لنشر المسيحية، يمكن الإطلاع على قصة نبوءته في كتاب (Moise, Histoire d'Arménie, II,XXXIII)، وليم الصوري، ج٢، ص ٧٤٠ .

أنزل الرب العقاب على شعب أبغار[1](Abga) ، ولم يكف قبضة يده عن تلك المدينة الآثمة . فكان يعاقبها عاماً تلو الآخر .

١٥/ XV وفي بداية عام ٥٤٩ (١١٠٠/٢/٢٤ – ١١٠١/٢/٢٢م) عم الخير والرضا جميع البلاد، فتوفر في الرها مؤونة من قمح وشعير، لدرجة أن أنست الناس أعوام القحط والجفاف السابقة، وصار الصاع من الحبوب ينتج أضعافاً، وأثقلت الأشجار بالثمار، وتفجرت الينابيع من كثرة المياه، وشبع الناس والحيوانات .

١٦/ XVI وفي نفس العام قدم قائد الفرنجة جودفري برفقة قواته إلى قيصرية فليب، مدينة تقع على المحيط[2]، وجاء إليه رؤساء المسلمين بحجة

---

[1] أطلق المؤرخون الأرمن على سكان الرها اسم شعب ابغار كناية عن ابغارالاسود، أول حاكم مسيحي لاوسرهوين (L'osrhoene)، وحسب العرف السائد فهو الشخص الذي تعلم معجزات المسيح التي وقعت في منطقة يهودا، وهو الذي كتب للسيد المسيح راجياً منه القدوم لكي يشفيه من مرض مؤلم، والمخلص (أي المسيح) وجه إليه في القرن الأول جواباً أصبح معروفاً عند المسيحية .

Eusèbe , Histoire ecclésiastique , éd . Fr . Adolph . Heinichen , 3 vol . In-8° . Leipzig , 1827-1828 . I,XIII,

Evagre , Histoire ecclésiastique . ex recenshone Henrici Valesii, In-8° . Oxford . 1841 . IV, VII

[2] يقصد البحر الأبيض المتوسط . ويخلط كاتب الحولية بين قيصرية فلسطين المعروفة سابقاً باسم توريس ستراتونيس (Turris Stratonis) الواقعة على الساحل السوري، وبين قيصرية فيليب أو بانياس (وتعرف بالعامية بالبيناس (Belinas. وليم الصوري، ج٢، ص ٧٠٧، تقع شمال بحيرة طبريا، وقد يكون هذا تحريف قد وقع من قبل ناسخ جاهل. وخلال الحملة التي قادها جودفري وتنكريد على أراضي دمشق ضد أميرها دقاق، وفي أثناء عودتهما دعاهما أمير قيصرية لتناول الطعام، وبينما كان جودفري يتناول الطعام، بدا عليه التعب والإنهاك، هذا حسب رواية جيبرت (Guibert de

عقد اتفاقية سلام معه، وحملوا إليه الطعام، فقبله جودفري، وأكل منه دون أن يشك أن هذا مسموم، وبعد عدة أيام مات ومعه أربعون شخصاً ممن كانوا معه، فدفن في أورشليم [القدس] قبالة كنيسة الجلجلة؛ لأنه كان في هذه المدينة عندما وافته المنية، وفي أثناء ذلك أرسل في طلب أخيه بلدوين من الرها، فتسلم عرش أورشليم [القدس] . أما تنكريد فقد عاد إلى إنطاكية حيث يقيم خالة [1] الكونت بوهيمند .

(Nogent, VII, XXII) إذ كان الطعام مسموماً . ويذكر وليم الصوري، ج١، ص ٤٧٦ . أن جودفري مات ١٨/٧/١١٠٠ ودفن في كنيسة القيامة حيث القبر الذي دفن فيه خلفائه .

[1] إن موراتوري Muratori (L. Ant.), Rerum italicarum scriptores, ab anno 500 ad 1500, 29 vol.in-fol. 1723- 1751 يعتمد على رواية أوردريك فيتاليس Ordericus Vitalis, Historiae Ecclesiastica Libri Trdec Edited by Augustus le provost, paris,1845 حيث يقول : إن والد تنكريد يدعى أودون بون (odon le Bon)، وأودون تزوج من بنت تنكريد دي أوتيفيل (Hauteville) والد روبرت جيسكارد المشهور . وبوهيمند هو ابن روبرت جيسكارد، وبناءً على ذلك فإن بوهيمند يكون ابن خال تنكريد . كما أن Radulfi, Gesta Tancred رادولف أو راؤل دي كاين مؤرخ تنكريد يؤكد حقيقة الرواية السابقة، وكذلك جاك دي فتري Jacques de Vitry , historia Hierosolimitana, Cap.XVI بينما كل من جيبرت دي نوجينت (Guibert de Nogent, III, II)، ووليم الصوري، ج١، ص١٧٦ . وباودري Baudry Baldrici Dolensis archiepiscopi historia Iherosolimitana, dans la collection de Bougars, I, P. 89 ومارينو سانوتو Marino Sanuto, voyageur et géographe vénitien du XIV siècle, Secreta fidelium crucis, dans la collection de Bongars, Gesta Dei per Francos, t.II, Lib. III, port,IV Cap.XI والبرت دكس Albert d'Aix, IV,XV يربطون بين كلام بوهيمند الذي يظهر توافقاً مع كلام متى الرهاوي، وهو أن تنكريد ابن اخت بوهيمند . ويطلق تودي بود Tudebodi,

١٧/ XVII في تلك الفترة كان قائد الرومان أمير الأمراء يقيم في مدينة مرعش (Marasch) التي كانت تعود للإمبراطور اليكسس، وكان قادة الإفرنج قد أعادوا مليكتها له في السنة الأولى من الحرب المقدسة، ولكن بعض هؤلاء القادة حنثوا بقسمهم وتراجعوا عن كلامهم، فالكونت بوهيمند قام بمساعدة ابن شقيقته[1]، ريتشارد بتجميع الإفرنج

على تنكريد اسم ماركيز Historia de Hierosolymitano e, liv. I et II فيليوس (Marchisi Filius)، وتطلق عليه آنا كومنين Anne Comnene, liv. XI, p.278 باسم: ابن ماركيسي، بينما أنشودة إنطاكية Paris, La chanson d'Antioche)، تطلق عليه اسم ابن ماركيز (Fils marquis) وابن الأساكنت Filus al Asacant وابن الأميرانل (Filus a L' Amiranl)، والبولانت Le Pullant، انظر: CF. Ducange , Familiæ Augustae Byzantinæ et Constantinopolis christiana In Alexiadem, note , p.95, ch. Mills(CH.), History of the crusades for the recovery and possession of the Holy Land, 4 éd.2 vol .in-8°,Londres, 1828; traduction francaise faite sur la 3 édition, par Paul Tiby, 3 vol.in-8°, Paris, 1825-1835, t, I,P. 108. إن ناشر أنشودة إنطاكية م. باولين (M.Paulin) في باريس عبر عن ظنه بأن تنكريد هو ابن أمير سارازين (Sarrasin) ويحمل لقب ماكريزي Makrisi. Paris, La chanson d'Antioche Table des noms de lieux et de personnes, art. Tangre ou Tancrede, p.372. بينما م. دي سولسي (M. de Saulcy) أعد دراسة عن تنكريد، كانت مثيرة الاهتمام نشرت في مكتبة مدرسة دي شارت de chartes عدد شهر آذار ونيسان عام ١٨٤٣م، ولكن لم يتجرأ البت في مسألة مولد الأمير تنكريد.

[1] ريتشارد دو برينسيبات (Richard du Principat) أمير سالرن (Salerne)، ابن عم بوهيمند من طرف وليم دو برينسيبات شقيق روبرت جيسكارد والد بوهيمند. ويذكر وليم الصوري، ج١، ص ٢١٢. أن ريتشارد ابن وليم الذراع الفلاذي، شقيق روبرت جيسكارد، ولكن يبين دي كانج (Ducange Familiæ du cange)

وسارا بهم إلى مرعش، ووجهوا إليها عدة هجمات متتالية، وهاجموا أميرها أمير الأمراء ثاثول (Thathoul) وطالبوه أن يسلمهم المدينة، ولكن ثاثول الشجاع وجد نفسه محاصراً من قبل تلك الأعداد الكبيرة، استهان بقوتها، بينما بوهيمند عسكر في السهل المجاور، وعمل على إخضاع المقاطعة التابعة إلى ثاثول[1].

١٨/ XVIII في السنة نفسها، وصل الأمير الفارسي دانشمند[2] (Danischmend) الذي كان يحكم سباسط (Sebaste) [سميساط]

Augustae Byzantinæ et Constantinopolis christiana In Alexiadem note,p.100. حسب شهادة جوفريدوس دي مالاتير Gaufredus de Malaterra وهو كاتب معاصر أن ما ورد خطأ لأن وليم ذا الذراع الفلاذية مات دون أن ينجب أطفالاً ...

1 إن اسم هذا القائد الذي أوكل إليه اليونان مهمة حكومة سليسيا يثبت أنه من أصل أرمني، ويقول متى الرهاوي في ص ١٤٤ سلم مرعش إلى جوسلين وفي (ص ٢٠٣) يذكر أن بوهيمند قام بطرده منها، وهاتان المعلوماتان تفسران الآتي، وهو افتراض أن جوسلين عندما تسلم عام ١١١٤م من بلدوين الأول ملك القدس إقطاعية طبريا، قام بإرجاع مرعش إلى ثاثول، الترجمة الفرنسية .

2 كمشتكين بن طيلو، والمعروف بـ محمد بن الدانشمند، وقيل له ابن الدانشمند؛ لأن أباه كان معلم التركمان، والمعلم عندهم اسمه الدانشمند، انحدر من سلالة أمراء كبادوس، وكان يمتلك مدينة ملطية وسيراس وغيرها من المدن المجاورة (أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٢٩ . أما وليم الصوري، ج١، ص ٤٧٤، يذكر حاكم تركي قوي يسمى الدانشمند، ويؤكد هذا الزعم على فكرة متى الرهاوي، وفارتان: أن ابن الدانشمند من أصل أرمني، وعليه فمن الممكن الافتراض بأنه كان تركماني الأصل ومولودا في أرمينية، ويسمه ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١١٨، إسماعيل بن الدانشمند، ويقول إنه استولى على سبسطية، والبنطس (Ponte) في شهر تشرين الثاني ١٣٩٦م من التاريخ اليوناني ٤٧٧هـ/ ١٠٨٥م .

وبلد الروم على رأس جيش عظيم وهاجم ملطية (Melitene) بشراسة، فأرسل قائد ملطية خوريل [1] (Khoril) إلى بوهيمند يتوسل إليها بالمجيء لنجدته، واعداً إياه أن يسلمه المدينة ؛ فتقدم بوهيمند وريتشارد على رأس قواتهم لمواجهة الدانشمند في حين قام الدانشمند بإرسال مفارز انقضاض لتدعيم الهجوم ضد الإفرنج في سهل ملطية، ونصب الكمائن في مواضع عدة، وتقدم بقوات مهيبة .

تقدم بوهيمند وريتشارد من غير حيطة أو حذر ولكن بسرية تامة، وقامت قواتهم بخلع دروعهم وأسلحتهم، وتزينوا كالنساء اللواتي يرافقن قافلة مهيبة، وعهدوا بأسلحتهم إلى خدمهم، وبدا على هؤلاء المحاربين كالأسرى العزل الذين جردوا من أسلحتهم .

انقضت عليهم قوات الدانشمند دفعة واحدة، والتحم الطرفان في معركة طاحنة، قضي على عدد كبير من الإفرنج والأرمن، وأسر بوهيمند وريتشارد، وقتل في هذا اليوم أسقفان أرمينيان هما : سبرين، أسقف إنطاكيه، وغريغوار أسقف مرعش، وكان بوهيمند قد قربهما

---

[1] خوريل (Khoril) وهو تحريف لكلمة جابريل (Gabriel) أو جافريل (Gavril) حيث تكتب حسب اللفظ البيزنطي، ويسميه وليم الصوري، ج١، ص ٤٧٤ جبرائيل، ونفس التسمية يذكرها ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١١٢ . ويجعل أصله يوناني، بينما يذهب وليم الصوري ،ج١، ص ٥٠٨ بأن أصله أرمني، وديانته يونانية، ويسميه البرت اكسس جافيرانس، ويذكر متى الرهاوي أنه صهر ثوروس حاكم الرها ؛ وكان قد زوج ابنته مارسيليا (مورفيا) إلى بلدوين دي بورغ، كونت الرها الذي أصبح فيما بعد ملكاً للقدس، وقد أعطاها والدها مهراً كبيراً . أنجب بلدوين منها أربع فتيات، ميليسندا، هاليس، هودرينا، وجوا (أيفيتا) التي ولدت عندما اعتلى والدها عرش القدس، وليم الصوري ،ج١، ص ٥٧٤ .

إليه نظراً للتقدير الشديد الذي كان يكنه لهما . إن نبأ هذه الفاجعة قذف الذعر في قلوب المسيحيين، وبعث البهجة بين أمة الفرس، لأن الكفار كانوا ينظرون إلى بوهيمند وكأنه قائد الإفرنج الحقيقي، إذ كان اسمه قد هزّ أرجاء خراسان ؛ وعندما علم بلدوين كونت الرها والإفرنج في إنطاكية بهذا الحادث المؤسف، قرروا ملاحقة الدانشمند الذي اقتاد بوهيمند وريتشارد، وهما مقيدان بالسلاسل إلى قيصرية الجديدة . وعندما علم بلدوين بمغادرتهم، عاد إلى الرها، وعهد بحكمها إلى بلدوين دي بورغ الذي كان يعمل مسبقاً في خدمة بوهيمند[1] . وكان بلدوين البولوني قد أخضع سكان الرها، ومارس عليهم أشكال الاغتصاب وابتز الأموال الطائلة منهم، ثم قام بشراء تاج أخيه جودفري، وتوج نفسه ملكاً على القدس . أما تنكريد فقد توجه إلى إنطاكية كما ذكرناه سابقاً[2] .

---

1 وتعني بالأرمنية(Ճորտ) التابع أو عبد (طفل صغير)، CF. Grand dictionnaire de l'Académie arménienne de Saint-Lazare tout en armenien, 2 vol In-4° . Venise , Imprimerie du couvent de Saint-Lazare , 1836-1837. et Aucher (le R.P. Jean-Baptiste), Dictionnaire manuel arménien littéral, expliqué en arménien vulgaire, in-12. Venise, 1 éd.1846.

ومتى الرهاوي المؤرخ الوحيد من بين المصادر الاولية الذي يطلق هذا الوصف على بلدوين دي بورغ.

2 وحسب ما ورد عند وليم الصوري، ج١، ص ٤٨٨ . والبرت ديكس Albert d'Aix,VII,XLIV-XLV أن تنكريد بقي حاقداً جراء الإهانة التي وجهها إليه بلدوين البولوني قبالة مدينة طرسوس ولم يرد تنكريد أن يحمله بلدوين أي جميل، فقام بتسليم حيفا وطبريا التي اقطعها إليه جودفري ثم ذهب إلى إنطاكية.

إن الكارثة التي حلت بالإفرنج كانت عقاباً لأعمالهم الجائرة التي اقترفوها، وكانوا قد تجنبوا الطريق المستقيم، واتبعوا طريق الهلاك، مخالفين الأوامر الإلهية، منغمسين بفعل الشر والمعاصي، غير مبالين لوصايا الرب، ويقترفون كل ما يحرمه عليهم، حتى انتزع الرب عنهم عونه ونصرته، كما فعل مع بني إسرائيل، حيث كانت أول هزيمة يذوقونها، ومن هذه اللحظة انتبهوا ولا تملوا .

١٩/XiX في السنة نفسها، قام الأمير الفارسي سقمان بن ارتق ببث روح الحماس الدموي، حيث ترتب عليها حشد قوات عظيمة هاجم بها مدينة سروج، والمناطق المجاورة لها . وعندما علم الكونت بلدوين دي بورغ وفوشيه[1]، كونت سروج بأخبار هذا العدوان سارا لملاقاة الأتراك، وبعد صراع شديد تمكن الكفار [المسلمون الأتراك] من هزيمة الإفرنج، ومن أنضم إليهم من الأرمن، وأنزلوا بهم مذبحة رهيبة، يُعزى سببها إلى إهمال وتقاعس الإفرنج، وقتل كونت سروج فوشيه الذي كان بطلاً شجاعاً طاهر الأخلاق، أما الكونت بلدوين فقد لجأ مع ثلاثة من أقربائه إلى قلعة الرها، وهم في حالة يرثى لها، لكن أعيان المدينة دعوه للانضمام إليهم وأعادوه إلى عرشه، وبعد ثلاثة أيام ذهب إلى إنطاكية للبحث عن المساعدة . وفي أثناء ذلك هاجم الكفار [المسلمون الأتراك] قلعة سروج،

---

[1] ورد الاسم Foutcher de chartres, Folkerus carnutensis ou Fulcherus camotensis [وورد عند وليم الصوري، ترجمة زكار فلبرت أوف تشارتر، وليم الصوري، ج١، ص ٣٧٦] ويذكر وليم الصوري ج١، ص ٣٧٦ و Albert d'Aix, III, XXV أن مهمة إدارة مدينة سروج كانت بيد فلبرت أوف تشارتر بتوكيل من بلدوين الأول .

فانسحب كل المسيحيين من المدينة، ومعهم رئيس أساقفة اللاتين بابيوس[1] الرهاوي، حينئذ تعامل سكان المدينة مع الأتراك بذكاء، وعمّ الوفاق بينهم. وبعد خمسة وعشرين يوماً، وصل بلدوين إلى مدينة سروج، وبرفقته ستمائة فارس وسبعمائة راجل، فقام بطرد الكفرة [المسلمون الأتراك] منها، ولكن سكان المدينة رفضوا أن يعترفوا بسلطة عليهم، فهاجم الإفرنج المدينة، وقتلوا الأهالي حتى غرقت سروج بالدماء، ونهبوا البيوت، واقتادوا حشدا عظيما من الأولاد والبنات والنساء أسرى إلى الرها، وامتلأت إنطاكية والبلاد التي احتلها الإفرنج بالأسرى.

XX / ٢٠ في السنة نفسها، تلونت السماء للمرة الرابعة في جزئها الشمالي باللون الأحمر، وكانت هذه الظاهرة أكثر غرابة من سابقاتها، حيث تحولت السماء إلى اللون الأسود، ورافق ظهورها خسوف للقمر، وكانت هذه الآيات تظهر لتدل على غضب السماء الذي كان يهدد المسيحيين، كما أكد النبي أرميا قائلاً : " من صوب الشمال اضطرم غضبه " والحقيقة أن هذا ينذر بالويلات التي لم ير مثلها من قبل بالعين .

XXI / ٢١ في عام ٥٥٠ (٢٤/ شباط/١١٠١م / ٢٣/ شباط / ١١٠٢م) حدثت معجزة مثيرة ومرعبة في المدينة المقدسة أورشليم، حيث إن نور قبر

---

[1] Babios [بابيوس] كلمة يونانية بمعنى أب، استعملت كلقب من قبل كنائس الشرق للدلالة على البطاركة ورؤساء الأساقفة والأساقفة، كما استعمل هذا اللقب في الكنيسة اليونانية للآباء البسيطين (ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٥٧) يكتب هذه الكلمة (بيبوس) في عام ١١٠٤م وقد ورد هذا اللقب في الأرشيف اللاتيني في الرها برسم (Benoit) ويبدو أن ذلك يشكل معضلة .

المسيح، ربنا، توقف كالمعتاد عن الاشتعال فلم يضيء يوم السبت، وبقيت المصابيح مطفأة حتى يوم الأحد، وبعد ذلك عاودت المصابيح إضاءتها في الساعة التاسعة، هذه الظاهرة أذهلت المؤمنين وجعلتهم في حيرة، وقد حدثت جراء انحراف المؤمنين إلى يسار الطريق وتركهم الطريق الشرعي الواقع إلى اليمين من طريق الخطايا، فتجرعوا من كأس طفح بالمرارة حتى أن رعاة الكنيسة المقدسة تمرغوا في الوحل بحماس لا يهدأ . وفي أثناء تلك المخالفات توقفوا عن النهي عن المنكرات، وارتكاب الخطيئة مهما بدت كبيرة، والأسوأ من ذلك أنهم وضعوا نساء لخدمة الضريح المقدس [كنيسة القيامة] وكل أديرة أورشليم، فتفاقمت الجرائم الشنيعة وتجمعت أمام الرب . وطردوا من الأديرة الأرمن، والروم والسريان (السوريين) والجورجيين(نسبة إلى القديس جورج أو الخضير) .

ولما رأى الإفرنج تلك المعجزة المرتبطة بتهمهم، استبعدوا النساء من خدمة الأديرة، وأعادوا كل طائفة إلى الدير الذي تنتمي إليه . وفي الوقت نفسه أخذت الطوائف الخمس المؤمنة [1] بالصلاة، فاستجاب الرب لها، وأضيء مصباح الضريح المقدس يوم الأحد، وهذا ما لم يكن معهوداً من قبل؛ لأن ضوء هذا المصباح كان يبدأ بالضياء في الساعة الحادية عشرة صباحاً من يوم السبت [2] .

---

1 اليونان، اللاتين، السريان، الأرمن، الجورجيون .

2 إن هذا الكلام يحدث خلطا حول النار المقدسة التي يعتقد العديد من الحجاج الزائرين لأورشليم [القدس] إنها تنزل من السماء على مصابيح كنيسة القيامة في الساعة التاسعة من يوم السبت المقدس [سبت النور] . ويشير فوشيه الشارتري للحادثة نفسها بدون إسهاب، انظر: فوشيه الشارتري، ص ١١٣ . أعطى البطريرك أوامره إلى الكهنة ببدء القداس وقراءة الدروس اليونانية واللاتينية مناوبة، وأثناء ذلك ردد احد

إن المعجزة التي رويناها حدثت في فترة حبرين من الكاثوليك الأرمن، جريجوري فاهرام وبازيل، وهي فترة أنشئت فيها لنا عبادة الضريح المقدس، وكان بطريرك الرومان المقيم في القسطنطينية السنيور نيقولا[1] وجون[2] بطريرك إنطاكية، وسمعان[3] بطريرك أورشليم، واثناسيوس بطريرك السوريين.

كهنة اليونان ابتهال بصوت رنان على أمل استجابة الرب له، وبما أن النار لم تظهر، أعيد الابتهال للمرة الثانية، وبعد انتظار طويل دخل البطريرك إلى كنيسة القيامة، معلناً أن النار لم تظهر، آثار هذا الخبر الألم والذهول بين المؤمنين، فقد خيم الظلام وبدأ البطريرك بإخلاء الكنيسة حتى لا يبق فيها إنساناً أو رجلاً أو امرأة عاصية، لعل بخروجهم تحدث المعجزة، وفي اليوم التالي يوم عيد الفصح، كان قد أجري موكبا احتفاليا بحضرة الملك، وعلية القوم، والكهنة وجمعٌ غفير من الشعب، ساروا حُفاة إلى معبد سليمان، حينها أعلن البطريرك أن أحد المصابيح الموضوعة أمام كنيسة القيامة أضيئت، فعمت البشرى جميع أنحاء المدينة، وانشد نشيد الابتهال والتسابيح، وارتفعت أصوات الأبواق والتصفيق.

(CF. Mosheim:De Lumine Sancti Sepulchri commentatio, dans ses Dissertationes,t.II.Lùbeck, in-4°, 1727).

1 نيقولا الرابع لقب موزالون (Muzalon) الذي اعتلى كرسي البطريركية منذ عام ١٠٧٩ حتى ١١٥١م، الترجمة الفرنسية.

2 [يوحنا] جون بطريرك روم إنطاكية، وصل إلى منصة عام ١٠٩٠م واستمر فيه لمدة عامين بعد أن سيطر الصليبيون على إنطاكية عام ١٠٩٨م، غير أنه أدرك أن بطريرك الروم لا يناسب مدينة يسيطر عليها اللاتين، فرحل إلى القسطنطينية، وعين الصليبيون مكانه برنارد دو فالنس، أسقف ارتاسيوم [ارتاح] وكان قد جاء برفقة الحرب المقدسة برتبة كاهن مع ادهيمار أسقف بوي (Puy) انظر وليم الصوري، ج١، ٣٦٧.

3 تولى سيمون منصبه عام ١٠٨٨م وبعد استيلاء الإفرنج على أورشليم [القدس] أوكل منصب بطريركية المدينة إلى ديمبرت أو داغوبرت أرشيفيك من بيز (Pise) [ويذكر مؤلف مجهول وريموندا جيل أن الإفرنج اختاروا ارنول (أرنولف) بطريركا للقدس،

لقد مضى (٦٦١٠) سنوات منذ عهد آدم، ولم نأخذ بعين الاعتبار عشر سنوات زيادة في حساباتنا التاريخية [1]، كما أننا أهملنا في الوقت نفسه فن الكتابة.

٢٢ / XXII وفي السنة نفسها، عاد الكونت سان داجيل عن الإفرنج بعد أن استولوا على مدينة أورشليم المقدسة من أيدي الكفرة، وأخذ معه رمح المسيح، وعندما علم السكان قاموا بملاحقته، وكان قد رحل وفي نيته مهاجمة طرابلس وتحت إمرته مائة ألف محارب، لكنه وصل إلى القسطنطينية، فأغدق الإمبراطور الكسس الهدايا عليه ووفر له مهمة عبور المحيط، ولكن الإمبراطور غير نيته تجاه الإفرنج فجدد عمل يهوذا، فأحرق ودمر جميع البلاد التي كان على الإفرنج قطعها، وأمر أن يقتادوا إلى الصحراء، ومنعهم من الحصول على المؤن حتى جعلهم يعانون من قسوة المجاعة، وعندما ساءت أوضاعهم أكلوا خيولهم. وكان الكسس قد أخبر الأتراك سراً بمسيرة قوات الإفرنج، وأثار ضغينة قوات الكفار ضدهم، فبادر السلطان قليج أرسلان بالهجوم على الإفرنج، وجرت معركة حامية حول نيقية، حصلت فيها مذبحة هُلك فيها مائة ألف من الإفرنج، ونجا سان

انظر مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، دار الفكرالعربي، مصر، ١٩٥٨، ص ١٢٠، انظر أيضاً ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة، ص ١٢٥٨.

[1] يعتبر العصر المدني للقسطنطينية، ويبدأ بعام ٥٥٠٩ في الأول من أيلول، والذي يسبق ابتداء عصرنا الشعبي، ولذلك فإن عام ٦٦١٠ يوافق ١١٠١- ١١٠٢م.

(CF.Mes Rechercher sur La Miere Partie , n II , Sur Les eres mondaines)

داجيل مع ثلاثمائة رجل فقط، ولجأوا إلى إنطاكية[1]، أما بقية الجيش المسيحي فقد هلك، واقتادوا النساء والأطفال كالعبيد إلى بلاد فارس.

---

[1] يلاحظ خطأ متى الرهاوي حول رحلة ريموند سان داجيل إلى أوروبا، والمكان الذي هزم فيه في آسيا الصغرى، والمغامرات التي خاضها بعد الهزيمة، حيث لا يوجد منها شيء من الدقة، ويمكن تصويبها بالاعتماد على آنا كومنين، الأكسيد، زكار، ج١، ص ١٧٠، وليم الصوري، ج١، ص ٤٦٢، ٤٩١- ٤٩٢ Albert d'Aix, VIII,V-XLII.، حيث يذكرون أن سان داجيل بعد أن ترك زوجته وعائلته في اللاذقية (Laodicee) عاد إلى القسطنطينية من أجل طلب النجدة من الإمبراطور الكسس حتى يتمكن بها من غزو بعض المدن في سوريا لأنه أراد – كما يذكر وليم الصوري – أن يكرس حياته للحرب المقدسة ولن يعود لوطنه، وأقام سنتين بالقرب من الإمبراطور، أغدق عليه الهبات الثمينة بسخاء، وأثناء ذلك وصل جيش صليبي من لومبارديا تحت قيادة انسليم (Anselme) أسقف ميلان، والبرت كونت بلاندرز، وشقيقه جوي هوج دي مونتبل وعدد آخر من السادة الطليان، وكانوا قد اقترفوا كل أشكال النهب والتخريب في أراضي الإمبراطورية حتى داخل القسطنطينية نفسها، وقد عانى الكسس من أجل أن يجتازوا مضيق البسفور، وقد وصلوا إلى نيقوميديا بالقرب من بنتكوت (Pentecote) في (١١٠٠/٦/١) وانضم إليهم كنراد القائد الأعلى للجيوش الجرمانية على رأس جيش يتألف من ألف رجل،وقدم الكسس لهم سانت جيل دليلاً مع خمسمائة فارس تركبولي، وقد نصحهم كونت بلوا وريموند أن يحترسوا أثناء سيرهم في الطريق الذي سلكه جودفري والجيش الكبير، غير أن اللومبارديين وثقوا بكثرة عددهم، وأصابهم الغرور، وأعلنوا أنهم سيتوجهون إلى خراسان لينقذوا بوهيمند [كان مأسوراً عند الدانشمند] وتدمير مدينة بغداد، فتوجهوا باتجاه بافلاجونيا (Paphlag0nie) وسبقوا ريموند الذي لم يرغب أن يتركهم، كما سبقوا التركبولية، غير أنهم هزموا بالقرب من مرعش ما بين كستموني (Kastamuni) وسينوب [الواقعة على ساحل البحر الأسود]، وبعد أن فقد كونت تولوز جزءًا من جيشه هرب من المعسكر في أثناء الليل برفقه البروفنساليين والتركبوليين، وعبروا الجبال تاركين الصليبيين خلفهم. ووصل كونت تولوز إلى قصر بولفيرال (Pulveral) التابع للإمبراطور ثم سينوب، وذهب في

اليوم التالي إلى القسطنطينية . لاحظ الجيش فيما بعد رحيل الكونت فتملكهم الرعب، وأخذوا بالفرار إلى سينوب، ومنها إلى القسطنطينية . غضب الإمبراطور الكسس من تخاذل كونت تولوز فأنبه بعنف، ولكنه تراجع عن حدة غضبه بعد التوضيحات التي قدمها له ريموند، عندئذٍ أحسن الإمبراطور معاملته للكونت تولوز والقادة الآخرين، فأغدق عليهم الذهب والفضة والخيول والبغال والألبسة، وعوضهم عن خسارتهم، واستضافهم خلال فصلي الخريف والشتاء، ووفر لهم كل ما يحتاجونه، ويذكر البرت أكس Alberte d'Aix, VIII, Ixet XLVII أخباراً تفيد أن ريموند أغرته الهدايا والأطعمة التي قدمها الاتراك، وقد ثبت ذلك من خلال التعليمات السرية التي قدمها له الامبراطور، كما أنه أظل الصليبيين في آسيا الصغرى وسبب لهم الخسارة، ويبرر البرت اكس في موضع آخر أعمال ريموند بشكل كامل، ومن جهة أخرى يؤكد العالم بطريرك صور ليقصد المؤرخ وليم الصوري، ج١، ص٤٩٢ - ٤٩٣] إن عدم طاعتهم للأوامر وتفرقهم كان سبب هزيمتهم، وتذكر آنا كومنين، الألكسياد، (زكار)، ج١، ص١٧٠_١٧٢. نفس الأحداث، حيث تقول: إن الجيش خرج عن مساره جرّاء هجوم الأتراك عليه، أما سانت جيل الذي حافظ على عدد من الفرسان معه أجبر على الفرار حسب شهادة ابنة الكسس. هذه الهزيمة وقعت على حدود ثيمابفلاجوم.(Thema pophlagonum) وثيما أرميناكوم (Thema Armeniacum)، إن رقم المائة ألف قتيل الذي يذكره متى الرهاوي رقم مبالغ فيه بالتأكيد، بينما يذكر وليم الصوري [ج١، ص٤٩٢] أن عدد القتلى أكثر من خمسين ألفا، والقادة الذين هربوا من فاجعة مرعش وصلوا بحراً إلى أنطاكية، وما أن حطوا على مرفأ القديس سيمون، وعلم برنارد الغريب (برناردوس اكسترانيوس) حاكم مدينة لونجيناش (Longinach) بالقرب من طرسوس بأمر ريموند، بسبب الأخبار التي انتشرت عن هذا الأمير التولوزي، قام بأسره وسلمه إلى تنكريت [أمير أنطاكية] الذي قام بدوره بوضعه في سجن أنطاكية، وبفضل تدخل القادة ذوي النفوذ الكبير منحه حريته بشرط أن لا يهاجم الأراضي الممتدة من عكا حتى أنطاكية. ونظراً لمعرفتهم مكانته وحصافته أوكلوا إليه مهمة الدفاع عن طرطوس التي سيطروا عليها حسب نصيحته [انظر وليم الصوري، ج١، ص٤٩٣].

لقد كانت هذه الهزيمة عقاباً بسبب خطاياهم، لأنهم جميعاً اتبعوا الشيطان، وتركوا أوامر الرب، وانتهز تنكريد كونت إنطاكية الفرصة، وقبض على السيد سانداجيل وقتاده مكبلاً بالسلاسل إلى مدينة سرونتاني (Sarouantau) [1]، وبعد فترة قصيرة توسط بطريرك الإفرنج في إنطاكية وعدد من رجال الدين عند تنكريد بشأن سانداجيل فأعاد إليه حريته، وعندما أطلق سراح سانداجيل، حشد جيشاً، وذهب لغزو طرابلس، فحاصرها بشدة، وأحط بالقرب منها[2]. عبر كونت بواتو[3]

---

[1] قلعة اسمها الأرمني سارفانيتكار(Սարուանդիքար)، ويعني قلعة الخادم وتترجم الى السريانية بنفس المعنى عند ابن العبري، وتعرف اليوم بـ سِرْفَنْكار، وتقع هذه القلعة على قمة صخرة على بعد مسيرة يوم إلى الجنوب الغربي من عين زربة، حيث المحيط الجنوبي إلى جيحان (Djeyhan). Hadji-Khalfah. Géographie turke, intitulée : Djihân-Numâ (le Miroir du monde) . traduite en francais par Armain . et conservée aujourd,hui en manuscrit a la Bibliothèque Impériale. 2 vol. In-fol Indjidji (Le P. Lc) , Religieux mĕkhithariste de Saint-Lazare, Description de l'Arménie moderne, In-12 Venise, 1806, p.366, Nume, p.603 أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٥٧

[2] تلة (Pelerin) [الحجاج] بناها ريموند سانداجيل عام ١١٠٣م على تلة بالقرب من طرابلس، ويسميها العرب حصن صنجيل، أبو الفدا، المختصر، ج١، ص ٣٩، ويخبرنا وليم الصوري، ج١، ص ٥١١ . أن ريموند بنى قلعة أمام طرابلس على بعد ميلين منها، وأطلق عليها اسم تلة الحجاج، وكان الحجاج قد أسسوا ذلك الموقع .

[3] هي نفس السنة التي شهدت هزيمة اللومبارديين وهي أول سنة لحكم بلدوين، وكان هناك حملتان أخريان أقل خطورة، واحدة قادها وليم كونت نيفرز (Nevers) والأخرى قادها وليم التاسع كونت بواتيه . متى الرهاوي لم يذكر الأخيرة منهن . وليم كونت نفرس ذهب وبرفقته خمسة عشر ألف رجل من الفرسان والمشاة ورسا في سيفتوت بالقرب من نيقوميديا في نهاية شهر حزيران، وترك الطريق الذي اتبعه جودفري وبوهيمند، ووصل بعد يومين إلى انكرس (انكير) الذي احتل في السابق من

الإفرنجي الكبير في الفترة نفسها على رأس جيش قوامه ثلاثمائة ألف فارس بلاد الروم واليونان، وحط بهم قبالة القسطنطينية، وتحدث مع الكسس بتعالٍ وعجرفة، ونعته فقط بلقب حامي الأبرشية، وليس لقب

قبل اللومبارديين، بينما تابع الآخرون مسيرهم نحو اليسار باتجاه بافلاجونيا (Paphlagoine) . أما القادمون الجدد فقد استداروا نحو اليمين، وكانت وجهتهم الجنوب، فوصلوا إلى ستانكون (Stancon) ومن ثم إلى هرقلية . تجمع الأتراك في هذا المكان تحت قيادة قليج أرسلان والدانشمند أمير كبادوس، وانقضوا على الإفرنج، وقضوا عليهم، فهرب كل من كونت نفرس شقيق روبرت ووليم دو نوناتا مع خيولهم إلى جرمانيكوبلا (Germanicopla) (جرمانيكوبلس أزوري)، هذا المكان التابع للإمبراطور كان قد أوكل مهمة حمايته إلى اثنتي عشر تركبولي، لكن أولئك الرجال قد ارتشوا وغادروا المكان معهم إلى إنطاكية، وفي الطريق نهبوا وتركوا عُراة من غير رواحلهم في وسط الصحراء . الكونت نفرس استكمل رحلته متنكراً بثوبٍ بالٍ، وبعد الألف من العقبات وصل إلى إنطاكية، حيث يقيم تنكريد، ولكن حسن استقباله، أنساه الآلام التي واجهته . أما وليم دو بواتيه التحق ب جولف (IV) دوق بافير (Baviere) وكونت فرمانديوس (Vermandois) وأسقف كليرمونت وإيدا (Ida) مرغراف (Margrave) [لقب حاكم عسكري لمنطقة حدودية] النمسا . إن هذه الحملة وصل تعدادها إلى ١٦٠ ألف حاج، محاربين ونساء، لقد قطعت الحملة مضيق البسفور في وقت الحصاد، وبعد أن توقفت في نيقوميديا وصلت إلى سلاميا (Salamia) فدمرها الجيش، ثم توقفوا في ركلي (Reclei) بمحاذاة واد؛ روى الصليبيون عطشهم منه، غير أنهم هزموا وقضي عليهم من قبل سليمان والدانشمند كراتي واجنيش. فهرب الدوق جولف بعد أن فقد روعه وكل ما يملكه نحو الجبال . أما أسقف كليرمونت فقد نجا بصعوبة، اما المغراف إيدا، فقدت من غير أن نعرف ماذا حصل لها . أما وليم دو بواتيه الذي حرس من فارس واحد، فقد نجح في الوصول إلى لونجيناش (Longinach) بالقرب من طرسوس (Tarse) حيث برنارد الغريب، فاستقبله بحفاوة وأعطاه كل ما يريده، وبعد عدة أيام أرسل تنكريد يطالب به فأرسله تحت حراسة موكب من الجند، واستقبله بحرارة في إنطاكية Alberte d'Aix ,VIII, XXV-XL . إن مسار وليم دي نفرس ووليم دو بواتية في آسيا الصغرى الذي تتبعه البرت أكس، يظهر صعوبات ما زال من الصعب توضيحها، ولكن هذا الموضوع وضع محاولة للبحث عن التفسير كي لا أخرج عن الموضوع الذي أبحث فيه .

إمبراطور، ولم يكن الكونت إلا شاباً في العشرين من العمر، ولكنه افزع الكسس والشعب اليوناني، فذهب الإمبراطور مع كبار رجال بلاطه إلى معسكر كونت بواتو، وبعد إلحاح شديد جلبه إلى داخل المدينة، فاستقبله استقبالاً حافلاً، وأغدق عليه الكنوز العظيمة، وأعد له الموائد الفاخرة، وتحمل كافة المصاريف لنقله إلى الجهة الأخرى من المحيط في مقاطعة كامير[1] (Camir) وأرسل برفقته قوات يونانية، ومنذ تلك اللحظة وضع الكسس مشاريعه الغادرة حيز التنفيذ، معطياً تعليماته إلى قادته بقيادة الإفرنج عبر أماكن نائية، فقطعوا خلال خمسة عشرة يوماً أماكن معزولة خالية من الماء، حيث لا يرى الناظر سوى الصحراء الجرداء وصخور الجبال الوعرة، والماء الذي وجدوه كان أبيض مالحاً[2]، كأنه مستخرج من الجير، وكان الكسس قد أمر بخلط الجير بالخبز وإعداده وتزويد

[1] إن مقاطعة كامير(Kamer)، هو الاسم الذي يطلقه الأرمن على مقاطعة كبادوس، وقد أتوا بهذا الاسم من جومير (كامير) ابن يافث، ويقصدون بهذا الاسم الجزء الأكبر من آسيا الصغرى.

CF. Moise; Histoire d'Arménie, II, LXXX, et Vartan,Géographie, attribuée à ce même Vartan et publiée une prèmiere fois a Constantinople,1728,par Diratsou (le clerc) Mourad, et en second lieu, avec traduction francaise, par Saint-Martin, dans ses Mémoires historiques et géographiques sur l'Armenie, t.II,P.434) .

[2] إن المنطقة التي عانى بها جيش كونت بواتيه خلال مسيره بها هي منطقة السهول الشاسعة والجرداء من مقاطعة ليكلوني وبحيراتها في آسيا الصغرى، ذات المياه المالحة والمرة والمشبعة بالسلفات والصودا وأكسيد المغنيسيوم Tchihatcheff; Asie Mineure, géographie ، voyageur russe،(M.Pierre de) physique et climatologie, 2 vol. In-8°, avec cartes et atlas.Paris, .(1859-1860;chap, III

الإفرنج به، لقد كانت جريمة كبرى أمام الرب، تركوا جائعين منهكين لعدة أيام متتالية حتى تفشى المرض في صفوفهم، وكان تصرف الكسس هذا مدفوعاً بالحقد الذي أثاره نكث الإفرنج بالقسم الذي قطعوه على أنفسهم إليه منذ البداية، ولم يحافظوا على وعودهم، ولم يكن اليونان أقل ذنباً أمام الرب، فقد أظهروا عدم شفقتهم نحو الصليبيين، بجعلهم ضحية لغدرهم وخداعهم، وسبباً لدمارهم ، ولذلك سمح الرب للكفار بمقاتلة اليونان تكفيراً عن ذنوبهم .

XXIII /٢٣ ولما علم سلطان الشرق [1] قليج أرسلان نبأ قدوم الإفرنج، كتب إلى قيصرية الجديدة، لتبليغ الدانشمند وبقية الأمراء الآخرين، ثم تقدم على رأس جيشا كبيرا ضد المسيحيين والتقى بهم عند سهول أولوس [2]

---

[1] يقصد آسيا الصغرى أو دولة الروم، المقابلة لسلاطين فارس أو الشرق، وهم من نفس عائلة السلاجقة . ا يرجع نسل سلاجقة الروم إلى أبي الفوارس قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق، الذي عينه السلاجقة في فترة الفتوحات الأولى حاكماً على الموصل وديار بكر والشام ليستخلص تلك الديار لصالحهم، وقد بدأ تطلعه إلى الاستقلال بالحكم عقب وفاة طغرلبك عام ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، فقد خرج قتلمش على السلطان ألب أرسلان، غير أن الأخير قتل قتلمش، وكاد يجتث أصول هذه الأسرة غير أن الوزير نظام الملك اقترح على السلطان ألب أرسلان الاستفادة من طاقة هذه الأسرة فامدها بالجيوش، وأوكل إليها مهمة فتح منطقة بلاد الشام الشمالية وآسيا الصغرى، وقد استطاع أبناء قتلمش من تحقيق فتوحات عديدة في آسيا الصغرى، ومد نفوذهم إلى قونية، واتخذها عاصمة لهم عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م على يد داود (قليج أرسلان) بن سليمان بن قتلمش وأسسوا دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى. انظر حلمي، أحمد كمال، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٩٨٦م. ص ٨٧- ٨٩.

[2] سهل أولوس، يطلق هذا الاسم على مكان يقع بين سلسلتين جبليتين، وهو سهل أرجلي الذي يروى من قبل عدد من الجداول التي تجري باتجاه الجنوب الغربي، وتصب

(Aulos)، ودارت بينهم معركة طاحنة امتدت فترة طويلة من النهار، فأريقت الدماء كالأنهار، ولم ير الإفرنج الذين سحقوا وهلكوا في بلادٍ غريبة أي سبيل للخروج من وضعهم الميؤوس منه، وفي أثناء ارتباكهم وقفوا مجتمعين كالمواشي المذعورة، فكان يوماً دموياً مرعباً بالنسبة لهم.

وإثْر تلك الأحداث هرب قائد اليونان، بينما قام كونت بواتو بالجلوس على جبل مجاور، كان الكفار يحاصرونه، وأخذ يتأمل ملياً هزيمة جيشه. يا له من مشهد !! لقد كان أزيز السهام يسمع من كل الجهات، والخيول تتقنطر من الذعر، والجبال تعكس صدى قرقعة المعركة، وعلى مشهد الجنود المقتولين بكى الأمير الإفرنجي بمرارة، ثم قام الكفار بمضاعفة جهودهم وهاجموا الكونت من جميع الجهات، لكنه فر هارباً مع أربعمائة فارس، بعد أن أبيد جيشه المكون من ثلاثمائة ألف فارس، باحثاً عن ملجأ لنفسه في إنطاكية عند تنكريد، حيث من هناك عاد إلى أورشليم، وغادر بعد بضعة أيام إلى بلاد الإفرنج من حيث أتى. وأقسم أن يرجع لمهاجمة الفرس لينتقم منهم، ويعاقب إمبراطور اليونان على غدره وخيانته، وكان يرى الآلاف من جنده يقتادون أسرى إلى بلاد فارس.

في بحيرة أرجلي. Ak-gol de la carte Kiepert, Carte de l'Asie Mineure et de l'Arménie turke, en 6 feuilles , et Mémoire sur la construction de cettc carte (en allemand), In-8° Berlin, 1854. de Tchihatcheff; voyageur russe, Asie Mineure, géographie physique et climatologie

٢٤/ XXIV وفي السنة نفسها تحركت مصر بكاملها، واجتمعت في جيش مهيب، وسارت به إلى أورشليم، فذهب ملك المدينة المقدسة لملاقاة الكفرة مع عدد قليل من القوات، وما أن اشتبكت مع الكفار حتى اندحرت، وهرب بلدوين إلى أورشليم وقتل في هذه المعركة كونت دلوك[1] (Delouke) وليم سانت زفال[2] . ووصل الملك بلدوين إلى بعلبك ثم رجع إلى وطنه، بينما كان الكفار فخورين بنصرهم المبين، وقاموا بالرجوع إلى عسقلان التي كانوا يسيطرون عليها[3] .

---

1 دلوك، قلعة حصينة في مقاطعة كوماجين (Comagene) تقام على تلة بالقرب من عين تاب ضمن سلسلة جبلية تتصل بجبال الأمانوس، وتمتد باتجاه الفرات .

2 إن كلمة سانت زفال، يبدو أنه نسخ تقريبي لما تسمح به الألفبائية الأرمنية لكلمتين فرنسيتين قديمتين (Sans aveir) (sanz avehor)، حيث يشكلان لقبا لكل من لا يملك إقطاعية، وتستخدم كمثل لمن لا يُملك في النظام الإقطاعي.

3 أرسل الملك الأفضل إلى الشام سعد الدولة الطواشي مملوك من جهة الأب لمحاربة الإفرنج بين الرملة ويافا، وقد هزم من المعركة، وأثناء هروبه وقع حصانة وقتل، فأرسل الأفضل ابنه شرف المعالي على رأس جيش كبير، هاجم به الإفرنج بالقرب من بيازور إلى الشمال الغربي من الرملة، [وقد استطاع استرداد الرملة منهم]، وغلب في هذه المعركة على أمر المسيحيين فهلك ايتين كونت بلوا وايتين دوق بورجوجن (Bourgogne) . إن بعض الأحداث التي يذكرها متى الرهاوي يشوبها بعض الأخطاء . لم يتوجه بلدوين بعد المعركة لا إلى بعلبك ولا إلى القدس، وإنما ذهب إلى قلعة الرملة ولحقت به القوات المصرية لمحاصرته، فأرهقه القلق إزاء حياته وسلامته غير أن زعيما عربيا كان الملك قد انقض حياة زوجته من الموت، وكردٍ للجميل عبر عن رغبته بالمساعدة وإخراجه سراً خارج أسوار القلعة، وبمساعدة هذا الدليل المخلص وصل إلى الجبال ومنها إلى أرسوف عبر خطوط العدو، ووصل بحراً إلى يافا، إن عودة بلدوين غير المتوقعة نشرت الفرحة والبهجة في نفوس المسيحيين، وليم الصوري، ج١، ص ٤٩٨- ٥٠٠، ٥٠٣- ٥٠٥ .[انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٦٤- ٣٦٥،

٢٩٤- ٢٩٥، المقريزي، احمد بن علي (ت ١٤٤١م/ ٨٤٥هـ)، اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣جـ، تحقيق محمد حلمي محمد، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٩٣م/ ١٣٩٣هـ، ج٣، ص ٣٢- ٣٣.

الجزء الثالث

استكمال أحداث الحرب الصليبية الأولى

٣٥/ XXV إن سنة ٥٥١ (١١٠٢/٢/٢٤- ١١٠٣/٢/٢٣م) تميزت باضطراب شديد في المعتقد الديني الذي نتج جراء الاحتفال في عيد الفصح، حيث وقعت عشر أمم مسيحية في خطأ تعلق بتلك المناسبة، باستثناء الأرمن والسريان الذين حافظوا على التقاليد الحقيقية، وحصد الروم والإفرنج ثمر البذرة الرديئة التي زرعها الخائن الهرطوقي إريون[١] (Irion)، حيث جعل موعد عيد الفصح يوم ٥ نيسان الذي يتزامن مع ظهور القمر بدراً، وعيد القديس اليعازر (Lazare)، وأثبت هذا العيد يوم

---

١ كان أريون مرتبطاً ببلاط جستنيان الأول، وأراد أن يقدم تصحيحاً بسيطاً في الرزنامة الفصحية التي أعدها أندريه دوبيزنس، وأصبح هذا التصحيح متداولاً عند الأرمن منذ منتصف القرن (٤) ولم يختلف عن روزنامة الإسكندرية القديمة في عيد الفصح إلا أربع مرات خلال ٥٣٢ سنة، وعيد الفصح يأتي عند الأرمن في ١٣ نيسان، بينما اليونان، وكل الأمم المسيحية يختلفون بهذا العيد في يوم الأحد السابق لتاريخ ٦ نيسان، وهذا الاختلاف سبب صراعات مشابهة للذي يتكلم عنه متى الرهاوي، لقد ناقشت هذه القضايا وشرحت روزنامة أريون في كتابي.

(Dulaurier (Ed.) Recherches sur la chronologie arménienne, t., 1er partie, chap. II. SS IV et V.)

٣٩٤- ٣٩٥، المقريزي، احمد بن علي (ت ١٤٤١م/ ٨٤٥هـ)، اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣جـ، تحقيق محمد حلمي محمد، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٩٣م/ ١٣٩٣هـ، ج٣، ص ٣٢- ١٣٣.

الجزء الثالث

استكمال أحداث الحرب الصليبية الأولى

XXV /٢٥ إن سنة ٥٥١ (١١٠٢/٢/٢٤- ١١٠٣/٢/٢٣م) تميزت باضطراب شديد في المعتقد الديني الذي نتج جراء الاحتفال في عيد الفصح، حيث وقعت عشر أمم مسيحية في خطأ تعلق بتلك المناسبة: باستثناء الأرمن والسريان الذين حافظوا على التقاليد الحقيقية، وحصد الروم والإفرنج ثمر البذرة الرديئة التي زرعها الخائن الهرطوقي إريون[1] (Irion) ، حيث جعل موعد عيد الفصح يوم ٥ نيسان الذي يتزامن مع ظهور القمر بدراً، وعيد القديس اليعازر (Lazare)، وأثبت هذا العيد يوم

---

[1] كان أريون مرتبطاً ببلاط جستنيان الأول، واراد أن يقدم تصحيحاً بسيطاً في الرزنامة الفصحية التي أعدها أندريه دوبيزنس، وأصبح هذا التصحيح متداولاً عند الأرمن منذ منتصف القرن (٤) ولم يختلف عن روزنامة الإسكندرية القديمة في عيد الفصح إلا أربع مرات خلال ٥٣٢ سنة، وعيد الفصح يأتي عند الأرمن في ١٣ نيسان، بينما اليونان، وكل الأمم المسيحية يختلفون بهذا العيد في يوم الأحد السابق لتاريخ ٦ نيسان، وهذا الاختلاف سبب صراعات مشابهة للذي يتكلم عنه متى الرهاوي، لقد ناقشت هذه القضايا وشرحت روزنامة أريون في كتابي.

(Dulaurier (Ed.) Recherches sur la chronologie arménienne, t., 1er partie, chap. II. SS IV et V.)

السبت، بينما أثبت الأرمن والسريان والعبرانيون التاريخ في ٦ نيسان[1]، وكان يقصد اريون أن يجعل هذا العيد مع أحد الشعانين، كما قام الفيلسوف إريون الروماني المنشأ بتزوير نظام حساب الأعياد، وذلك؛ لأنه عندما أعد الروزنامة بناءً على صيغة المدة المركبة والمتكونة من تسع عشر دورة [2] لم يَدْعُه العلماء الآخرون للمشاركة بهذا العمل، فكنّ لهم الحقد جراء تناسيهم له، فقام خلْسة بالاستيلاء على كتبهم، وبدل التاريخ من (٦) إلى (٥) وبدل الأعداد الأولى بالأخيرة، هذا الحساب بدل الاحتفال بعيد الفصح كل (٩٥) سنة، ومن هذا تشكل الخطأ الذي يقع فيه اليونان والروم في كل مرة تتجدد فيها الحقبة . إن حساب الأعياد الذي أطلق أريون العنان له بين الرومان، كان سبباً في خلق مواجهات جدلية بين اليونان والرومان، ولكن الإفرنج لم يظهروا له أي اهتمام، ولم يصتدموا مع الأرمن حول هذه النقطة المذهبية . ولكن الأمر اختلف تماماً بالنسبة لليونان حول هذه النقطة، ودخلوا في خلافات شديدة مع الأرمن، وكان على سكان إنطاكية وسليسيا والرها أن يتجادلوا بلا انقطاع مع اليونان الذين سعوا إلى فرض روزنامتهم الخاطئة على الأرمن، وأثارت الخلافات بين أبناء امتنا – أي الأرمن – جراء هذه القضية ولكنهم لم يفلحوا في

---

1 الكنيسة الأرمنية تحتفل بذكرى بعث اليعازر يوم السبت الذي يسبق أحد الشعانين

2 إن الفترة الكبيرة لعيد الفصح، وهي ٥٣٢ سنة تشكلت نتيجة ضرب القرن القمري المكون من ١٩ عاماً بالقرن الشمسي المكون من ٢٨ عاماً . وبعد كل واحد من هذه الثورات رجعت تواريخ عيد الفصح في نفس الشهر وأيام العطل، وهي الفترة المعروفة بالغرب باسم فيكتورية أو ديونيزينة

(CF. Dulaurier (Ed.) Recherches sur la chronologie arménienne, 1er partie, chap.II,SII.)

زعزعتها . أما السريان انضموا إلى جانب اليونان خشية منهم ونكثوا العهد الذي كانوا قد أبرموه مع الأرمن .

وقد اقترف اليونان في السابق خطأً مشابها، ولم تضىء مصابيح [الضريح المقدس] وفي هذه المناسبة قتل الكفار الحجاج القادمين لزيارة الأماكن المقدسة، وقد حدث ذلك في عهد الإمبراطور باسيل (Basile) عام ٤٥٥ من عصرنا (٢٠ آذار ١٠٠٦- ١٩ آذار ١٠٠٧م) [1] .

في الجزء الثالث من تاريخنا [2] أظهر اليونان للمرة الثانية ضلالهم في نفس الموضوع، وحذر قساوسة الرها برسالة غريغور كاثوليكوس أرمينا الذي كان يقيم في دير في الجبل الأسود في شهر أيرك (Arek) . فأجابهم عليها بخط يده يطالبهم في الثبات على عقيدتهم الأرثوذكسية، وهذا نص رسالته .

(إلى أصدقاء المسيح الحقيقيين، إلى الذين يجاهرون بإيمانهم في الثالوث المقدس، إلى الكهنة، إلى الكبار، وإلى كل الشعب المخلص، سلام: لتحل عليكم البركة، المشمولة بالمحبة والمودة من كرسي مرشدنا [القديس غريغور] قرأت رسالتكم التي تفيض منها المحبة الإلهية والتي جعلتني أعرف ما ترغبون فيه، وفهمنا تماماً كل الملاحظات التي

---

1 يقصد متى الرهاوي المسيحيين الذين قتلوا في كنيسة القيامة، وأن عددهم بلغ عشرة آلاف، ولا تزال عظامهم ترى حتى عصره محفوظة في مغارة تقع في الغرب من القدس، وقد أصبحت جليلة تحت اسم بقايا الشبان

(CF. Dulaurier, Bibliotheque historique arme'nienn, 1er chap. XXXIII.)

2 تنقسم حوليه متى الرهاوي إلى ثلاثة أقسام يمتد الأول من عام٩٦٣م حتى عام ١٠٥١م أما الثاني فيمتد إلى عام ١١٠١م ويمتد الثالث حتى عام ١١٣٦م .

تتضمنها، كما أنها جعلتنا نشعر بالغبطة بفضل الرب، ونذكركم بكلمات القديس بولس الرسول التي وجهها إلى أتباعه: "أشكر إلهي كُلّ حينٍ ذاكراً إياك في صلواتي، سامعاً بصحبتك والإيمان الذي لك نحو الرب يسوع "[1] . ولأن الرب هو نفسه الكلمة الإلهية الخارجة من حضن الأب الذي دعا البشر إلى تمجيد نور عظمته وإلوهيته، وهو الذي رحب فينا برقة، ونحن مخلوقات ضعيفة، وهو الذي يمنح القوة لمن لا قوة لهم حتى يتمكنوا من مقاومة المكائد غير المرئية لإبليس . إن ربنا يسوع المسيح، سيمدكم بالعون والقوة في كل شيء، وسيمنحكم الحكمة، " ومتى قدمُوكم إلى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف أو بما تحتجون، أو بما تقولون ؛ لأن الروح القدس يُعلمكم في تلك الساعة ما يجبُ أن تقولوه "[2] .

وفي الحقيقة إنه يعرف كل شيء، وأنه العليم، وبفضل قوته تعم النعمة على الكل، في حين أننا نخطىء بحقه، مع أنه يدعونا من العدم إلى الوجود ، وهو الذي رفع منزلتنا ، وأعلى شأننا ، وأغدق علينا العطايا ، كما فعل قديماً مع بني إسرائيل، ورغم ذلك، فإننا نخطىء بحقه دون انقطاع، نحن والشعب كلنا سوية بالفكر والقول، والمعرفة، والجهل خلال حياتنا القصيرة، ومع ذلك أنا موجود بسبب الإيمان، وإيماني موجود، ولكني ورعيتي لم نخطىء أبداً بحق الملك الذي يحكمنا، ولا بحق الأمير ولا الجيش ولا ضد القادة، ولا ضد كبار القساوسة، ولا ضد الرعايا التي يحكمونها بعيدين عن ذلك، ونحن خاضعون لهم جميعاً وفي خدمتهم

---

1 [رسالة بولس الرسول إلى فليمون (٤- ٥)] .

2 [لوقا ١٢/١١- ١٢] .

ونعمل بموجب وصية الرسول معطين كل ذي حق حقه، الضريبة لمن تجب عليه الضريبة، والخوف لمن يجب أن نخشاه، والتقدير لمن يستحق ذلك، ونعطي"مالقيصر لقيصر وما للهِ لله" [1]. يجب أن لا نكون ضد أحد، مثل ناقل أخبار ومتأخر، ولا نرد الشر بالشر، والآن إذا تصرفنا بنزاهة، فإننا نُدان ظلماً مثل أناس قليلي الشأن، وإذا انتهكنا مبادئ الشريعة الحقيقية سوف ننال العقاب بدلاً من الحسنات، تخلصوا من قلائلكم وتصرفاتكم؛ لأن وقت الخلاص قريب، ويوم الرب ليس ببعيد، ولدينا الكثير من الأحاديث المعزية الآتية على لسان الأنبياء فيما يتعلق بالحياة الآتية :

ويؤكد الرب إلهنا والقديسون أن تلك الأحاديث يجب أن تكتمل وتتحقق من أجل أن يظهر كل ما هو موجود في الحقيقة . سوف أعظكم وأشجعكم وأعلمكم الصبر، وليس كما راعي بقلب خجول لا يشارككم في الآلام، وأودُّ لو أكون رفيقكم في الموت في كل المناسبات والمصاعب والآلام مهما كانت . لن أترك منصبي هذا، ولن أتنصل من واجبي مهما بدأ ثقيلاً عليّ، تجبرني في الرد على الخطابات والانكباب على الأبحاث أو أكون موضع استجواب، وعلى العكس من ذلك، نحن جاهزون لإيجاد حلاً ملائماً لكل ما يطلب منا في الوقت المناسب، حتى لو أدى ذلك لمعاناتنا من المصاعب، وتعرضنا للعذاب والشتائم . فنحن لا نرفض قطعاً كل ما هو مطلوب منا، نشكر الرب في كل وقت على ما أصابنا حتى الآن، ونحن نرزح تحت وطأة الخوف والاتهامات من قبل أسياد الكفر والوثنية، والآن نلاقي المصير نفسه على أيدي المسيحيين، ولكن لا تيأسوا؛

---

[1] الوقا ٢٠/٢٥] مرقش، ١٢/١٧، رسالة بولس الرسول إلى أهل رمية ١٣/٧، امتى ٢٢/٢١].

لأن الرب قادر على أن يسير الأمور. إن سعينا بإمكانه أن يخلصنا من مصيبتنا بعد أن يجعلنا نتحملها بالصبر، ومع ذلك يجب علينا أن نقاتل مثل جنود المسيح الشجعان من أجل الحقيقة ما دام هو مصدر قوتنا. إن الرب إلهنا الذي بوجوده نستمر، هو الشاهد على أننا لم نرتكب أي خطأ، وأننا لم نغير أي عقيدة، ولم نكن يوماً معتدِّين بأرثوذكسيتنا، حيث ستكون كلاما بلا معنى لا ينم إلا عن الجهل، نستنير بهدى الرب وبتعاليم القديسين المستنيرين من أسلافنا، ونحن نتبع الملكوت والطريق السليم لهدى المسيح، ولن نحيد إلى يمينة أو يسرة، ولن نبتعد عن المبادئ الإلهية، ولن ننهض مع الفجر للقيام بالأعمال الجنونية، ولن نظهر متكبرين، أو متعجرفين مثل الروم وغيرهم، إذ لا داعي لذكر أسماء أخرى [1] . فإذا كنا نتعذب وكأننا مخطؤون، ولماذا لا نجد الراحة والسكينة في أنفسنا ؟ بينما نحن منغمسون في مصيبتنا تائهين براً وبحراً، مثل القديس بولس الذي يروى عن نفسه أحاديث يوجهها للناس " لماذا نموت كل يوم ؟ ولماذا يلقى بنا في السجون والعبودية ؟ لقد صارعت الوحوش المفترسة وعانيت

---

[1] إن البطريرك غريغوري فهرام يخلط في كلماته الأخيرة، ولكن تفرض شخصيته الكهنوتية ورتبته العالية ككاثوليكوس بالنسبة للإفرنج الذين يحتلون كونتية الرها الواقعة شمال كوماجن (Comagene) والجزء الشرقي من سليسيا والمسكونة بشكل رئيسي من قبل الأرمن . ويشير غريغوري برسالته بطريقة غير مباشرة للاتهامات التي أطلقها اليونان ضد العقيدة الأرمنية، وكذلك الاتهامات التي جاءت من قبل اللاتين .

الكثير في أعماق البحار "[1] . وفي الحالة التي يصبح فيها رجائي برؤية المسيح، وهما، فأنني سأقول مثل الرسول، إنه عبثاً تحمل تلك المشقات والفرار والعذاب والآلام، لا سيما إذا كان ذلك من أجل عقيدة مشكوك فيها . منذ أربعين عاماً وأنا أمارس الأعمال التبشيرية، تركت منزل أبي في وقت السلم، وأتيت لاستقر هنا، بالتأكيد لقد عانيت وأنا وحيد، ومع ذلك حافظت على الأمل بالرب، وتمسكت بتعاليم الكتب المقدسة؛ لأنني أمتلك إيماناً أرثوذكسيا منزهاً، وأنتم الذين تشاركونني في الأسرار المقدسة والإيمان، ويجب أن لا يكون التسامح أو الاعتبارات البشرية نابعة من دواعي خوفكم أو اعتباراتكم، ولا تبيعوا ربكم من أجل حياة باطلة، لأن هذا الوقت الذي تستحقون فيه لقب المختارين، وأن تنالوا تاج المسيح، وأنا أقطع لكم أمام المسيح وعداً، أن الذي لا ينقض أبداً السور الذي شيده الآباء القديسون سينال إكليل القديسين، وإذا ما فضل أحدهم مجد الناس على مجد الرب، سيكون يوم الدين في صفوف أولئك الذين لم يعترفوا بيسوع المسيح إلهاً، ومن يكن مثل هذا مطرودا من جماعتنا، ومحروماً من بركتنا . أما الذين يؤمنون معنا سيباركون من أهل السماء، وأهل الأرض، ومن الرب، ومن قبلنا، من قبل الرب الممجد في الحياة الأبدية ... آمين).

ولما تلقى مؤمنو الرها هذه الرسالة تشبثوا بتعاليم تقويمهم أكثر من أي وقت آخر . وفي عيد الفصح أشعل سكان أورشليم مصابيح كنيسة

---

[1] [انظر النص الوارد في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٣١/١٥- ٣٣، وقد وردت في الترجمة الفرنسية تحت رقم ٣٢/١٥- ٣٣ . ومع ذلك لا يوجد تطابق بين النص الوارد في المتن وما ورد في رسالة بولس الأولى].

القيامة، غشاً واحتيالاً، من غير دفع الضريبة، مضللين مواطنيهم بأن أشعلوا مصابيح مُدلّية، ولكن اضيئت المصابيح الحقيقية في نفس يوم عيد فصح الأرمن، وشاهد ذلك جميعا المسيحيون في أورشليم؛ وبدأ الخزي على وجوه اليونانيين؛ لأنهم احتفلوا بهذا العيد في يوم أحد الشعانين [1] .

٢٦/ XXVI في نفس العام قام حاكم مصر، وحاكم دمشق بشن حملة عسكرية جديدة تقدما بقوات كبيرة نحو أورشليم، وذهب الملك بلدوين لملاقاتهم، وكان المصريون قد دحروا المسيحيين بعد معركة طاحنة، ولكن وصول قوات الإفرنج ردت المصريين وأجبرتهم على الفرار، وقطعوهم إرباً أرباً [٢] .

قفل بلدوين بعد المعركة راجعاً إلى أورشليم وفي طريق عودته تعرض لضربة رمح استقر بين أضلاعه من مسلم أثيوبي الأصل من سكان

---

1 في كتابي Dulaurier (Ed.) Recherches sur la chronologie arménienne, 1re partie, chap., II,s 5 قمت بتتبع تاريخ المنازعات التي عادة كانت دموية بسبب حساب عيد الفصح بين الأرمن واليونان وقد تكرر هذا عام ١٧٢٨ .

2 كانت قوات المسلمين قد وصلت إلى مدينة حيفا وطوقت سفنهم مينائها، فقصد بلدوين المدينة لحمايتها من حصار المسلمين، وكان قد وصل إلى ميناء المدينة مائتا سفينة محملة بالحجاج الإنجليز والألمان، فحدثت معركة يوم الثلاثاء من شهر تموز ١١٠٢م هاجمت فيها، سفن المسلمين وطردتها من الميناء، وبعد ثلاثة أيام خرج الإفرنج بقيادة بلدوين وطاردوا المسلمين فلجأ عدد منهم إلى عسقلان واعتقد الجزء الأكبر من المسلمين إمكانية هروبهم عن طريق البحر، فابتلعتهم عاصفة شديدة، وقد هلك في المعركة ثلاثة آلاف كافر، بينما عاد بلدوين مع كافة الحجاج إلى بيت المقدس .
Alberte d'Aix, IX, IX-XIII

عكا، حيث كان مختبئاً تحت شجرة، وقد لقي القاتل حتفه في نفس المكان، ولكن جرح الملك بقي عصيا على العلاج حتى مماته، وقد حزنت أورشليم على هذا الحادث المشؤوم وغرقت بالحداد والأحزان [1] . هذه المأساة كانت بمثابة عقاب للاحتفال الزائف بعيد الفصح . وكان اليونان قد تجرؤوا على أن يكونوا قدوة لمثل هذا التخريب في ظل حكم الإمبراطور باسيل، وذلك عندما لم تضاء مصابيح قبر المسيح . وقام الكفار بقتل الحجاج في كنيسة القيامة على مدخل الضريح المقدس .

XXVII /٢٧ في بداية عام ٥٥٢ (١١٠٣/٢/٢٤م – ١١٠٤/٢/٢٣م) نزل عقاب مخيف على مدينة الرها، حيث اجتاحها فيضان يوم الخميس من الأسبوع الصغير [2]، أنه فيضان يعيد ذكرى الطوفان الكوني، إذ كانت

---

1 خرج بلدوين في عام ١١٠٣م يوم ٣/٢٩ بعد عيد الفصح من أورشليم وقصد بطلومياس (عكا) لمحاصرتها ولكن الأسطول لم يأت لمساندته فأجبر على ترك الموقع بعد أن قتل عدد من السكان، وسلب بعض القطعان والمواشي، وكانت عودته عن طريق قيسارية، هذا وقد حدث أن قابل لصوصاً في مكان يدعى (بترا- انسيا) بالقرب من صور القديمة بين كفر نعوم والدورة، وكان هؤلاء اللصوص يختبئون في كمين، إلا أن الملك هجم عليهم وقتل معظمهم ولاذ البقية بالفرار، وقذف أحدهم وهو يهرب بحربة أصابت الملك في أضلاعه الواقعة قرب قلبه، وتمكن الأطباء من المحافظة على حياة بلدوين، لكن الجرح سبب له آلام شديدة رافقته حتى مماته، وليم الصوري، ج١، ص ٥١٠- ٥١١ .

2 لا نعرف بالضبط في أيامنا المقصود بتعبير الأسبوع الصغير، وجدته مرةً واحدة في نص لمؤرخ اتيين اكوجيج (Acogh'ig, Étienne) في نهاية القرن العاشر ميلادي الجزء الثاني، الفصل الثاني، وقد أوضحت في ترجمتي لمتى الرهاوي Dulaurier, Bibliotheque historique arme'nienn.chap., cLXXVII, note1 أن الأسبوع الصغير يجب أن يكون واحداً من الأسابيع الاربعة الواقعة ما بين الأسبوع الثالث والسادس من الصوم الكبير أو صوم الفصح باستثناء الأسبوع المقدس أو

الرياح تعصف بشدة، وتكاثفت الغيوم في الجو، ودوت أصوات الرعد، وأضاء البرق السماء، وكأن وجه السماء انشق، حتى ظن بعض الأشخاص أن هذا يجري بسبب مدينة الرها، وانهطل المطر في الفجر مدراراً مصحوباً بالبرد، وبعد شروق الشمس شقت المياه طريقاً في الجانب الغربي حيث اتسع هذا الطريق ليغطي المساحة الواقعة بين تلة وأخرى، وتدفقت المياه باتجاه السور ودخلت المدينة وأحدثت شقوقاً في المدينة بأكملها، حيث دمر جزءاً منها وعددا كبيرا من المنازل، وهلك الكثير من الحيوانات، ولكن لم يفقد أي شخص في هذه الحادثة غير المتوقعة؛ لأنها حدثت في النهار مما مكن أي إنسان الهرب منها.

XXVIII /٢٨ وفي العام نفسه تم تحرير بوهيميد كونت الإفرنج من أسر الدانشمند مقابل مائة ألف تاكنز، وذلك بفضل مساعدة الزعيم الأرمني العظيم كوغ فاسيل[1]، حيث ساهم بعشرة آلاف تاكنز، ولم

الأسبوع الكبير وهي المدة الممتدة من يوم الخميس ١١٠٣/٢/٢٧- ١١٠٣/٣/١٩م وقد حصل خلالها فيضان الرها بسبب سيرتوس (Scirtus) أو ديزان (Daisan) الذي دمر الأسوار.

1 فاسيل أو باسيل اللص أطلق عليه هذا اللقب بسبب وقوعه مراراً وفجأة بأيدي الأعداء، كان مقر إقامته مدينة كيسون ضمن مقاطعة كومجن إلى الشمال الشرقي من مرعش، وقد انتزع من الإفرنج في العام الذي مات فيه ١١١٢م مقاطعة حصن منصور، وأطلق عليه الإمبراطور الكسس لقب سيباست (Sebaste). وكان بلاطه مركزاً لإقامة القادة اللامعين في أرمينيا، وقد تنقل مركز البطريركية بين مقاطعات إمارته، وكان شقيقه بقراط أو بنكراس سيد الراوندان (Areventan) وكان موضع نقاش في الفصل الخامس صفحة ٨٢- ٨٤ هامش (٣)، يذكر البرت أكس أن اسمه كوراس يليوس (Corouassilius). لويذكره وليم الصوري في الترجمة الفرنسية باسم كوفا سيليوس (Covasilius) بينما في الترجمة العربية إلى

يساهم كونت إنطاكية بشيء يذكر، وقد وضع كل ما أمكن جمعة من مال بين يدي كوغ فاسيل الذي استخدم كل نفوذه وسلطته للحصول عليها، وحمل المبلغ المطلوب حتى حدود إمارته، وعدت المائة ألف تاكنز. أصبح الكونت بوهيمند حراً ونزل ضيفاً على فاسيل، حيث استقبله في قصره أحسن استقبال، وعامله أحسن معاملة، وأغدق عليه الهدايا الثمينة، ولم يكن أقل كرماً تجاه الذين أتوا بالأمير، حيث أغدق عليهم عطايا زادت على عشرين ألف تاكنز . وبعد عدة أيام قفل بوهيمند راجعاً إلى إنطاكية بعد أن أصبح وباحتفال رسمي الأبن المتبنى لكوغ فاسيل[1] . أما

وليم الصوري، ج١، ص ٣٧٤ يذكره باسم قراسيلينز (Carasilins) مع أن لفظها كاراسيلينس . أما ابن الأثير في ج١٠، ص ٤٦١. باسم كواسيل صاحب رعبان وكيسوم وتارة أخرى ج١٠، ٤٩٣ باسم بسيل الأرمني صاحب الدروب ويتفق أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٤٥ مع ابن الأثير في التسمية الأخيرة، بينما يذهب ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٣٥ بذكر اسمه كوغ باسيل، ويتفق ابن خلدون في تاريخه، ج٥، ص ٢٢٤ مع ابن الأثير بأن اسمه كواسيل] .

1 يتفق فارتان مع متى الرهاوي بأن فدية بوهيمند كانت ١٠٠,٠٠٠ تاهاجات، وأن كوغ فاسيل ساهم في ١٠,٠٠٠ منها، نقرأ في كتاب

(Radulfi, Gesta Tancred, apud Muratori, Rerum italicarum scriptores, t.v. p.286)

إن حوليات كتاب العرب تذكر مقدار الفدية بمائة ألف دينار، ويضيفون أنه طلب من بوهيمند أن يتكفل بإطلاق سراح ابنه ياغي سيان التي أخذت أسيرة إلى إنطاكية [ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٤٥، الطباخ، محمد راغب الحلبي، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ٧ جـ، ط٢، تصحيح وتعليق محمد كمال، دار العلم العربي، حلب، ١٩٨٨م/ ١٤٠٨هـ، ج١، ص ٣٤٧] . وحسب رواية (Alberte d'Aix, IX, XXXIII-XXXVIII) أن الإمبراطور البيزنطي عرض ٢٦٠ ألف دينار بيزنطي على أمير الدانشمند مقابل تسليمه بوهيمند، مخلصاً إياه من المخاوف التي زرعها بوهيمند بنفسه وعندما علم الأمير قليج أرسلان، كتب إلى الدانشمند يطالب بنصف الفدية، نجم عن هذا التصرف شجار بين الأميرين السلجوقيين أدى إلى الامتناع عن قبول

ريتشارد ابن أخت بوهيمند فقد أطلق الدانشمند سراحه مراعاة وتقديراً للإمبراطور إلكسس مقابل مبلغ معتبر، كان الأخير قد أعطاه للدانشمند.

XXIX / ٢٩ في العام نفسه جمع بلدوني كونت الرها قواتٍ وشرع في حملة ضد الأتراك وعلى أراضي المسلمين في مقاطعة ماردين، وقد استطاع أن يقضي عليهم ويأسر أميرهم أولوغ سلار[1] (Oulough-Salar) ويستولي على نسائهم وأطفالهم وجعلهم عبيداً، واستحوذ على قطعان كبيرة من النعاج تعد بالآلاف، وحوالي ألف حصان، وعددٍ مماثل من الدواب والجمال، وعاد إلى مدينة الرها بجميع هذه الغنائم .

XXX / ٣٠ وفي نفس العام رحل كاثيلوكس أرمينيا، السنيور بازيل من مدينة آني وبرفقته جميع خدمة والنبلاء والأساقفة والآباء، وتوجه إلى مدينة الرّها حيث استقبله الكونت بلدوين بما يتناسب ومكانته الكنسية الرفيعة، وأعطاه القرى وأغدق عليه الهدايا، وأظهر له مدى صداقته الحميمة .

عرض الإمبراطور واستشار الدانشمند بوهيمند الذي كان له خبرة في هذه الأمور، فقدم بوهيمند للدانشمند ١٣٠,٠٠٠ بيزنتاً لتجهيز أصدقائه وأقاربه مقابل حريته . قبل الأمير التركماني وتم جمع المبلغ المتفق عليه من إنطاكية والرها، وأطلق سراح بوهيمند في (أيار عام ١١٠٢م) سنة سقوط طرابلس لبشأن تفاصيل أكثر وتوضيح تضارب الروايات حول إطلاق سلاح بوهيمند من الأسر انظر الرويضي: إمارة الرها، ص ٢٩٣- ٢٩٩].

[1] إن هاتين الكلمتين هما أكثر منهما لقب لاسم خاص، أولوغ في التركية الشرقية تعني كبيرا وعظيما وسالار بالفارسية تعني قائد جيش . وهذا الأمير من غير شك هو أحد قادة الأمير الارتقي نجم الدين ايلغازي، الترجمة الفرنسية.

٣١/ XXXI وفي العام نفسه مات قس الأجوان (Aghouans) البانيا (Albanie) السنيور آتين (Etienne)، وقد عقد السنيور بازيل قس أرمينيا، وأساقفة البانيا مجلساً في مدينة كانتزاج [1]، تم خلاله تنصيب شقيق أتين[2] قساً لألبانيا خلفاً لسلفه، لكن تبين بعد ذلك أنه غير أهل لهذا الاختيار، فعزل من قبل السنيور باسيل وطرده من كرسيه، وحرم من منزلته. وكان هذا بسبب سوء تصرفاته.

٣٢/ XXXII في عام ٥٥٤ (٢٣ شباط ١١٠٤ – ٢١ شباط ١١٠٥م) قام الكونت بلدوين وجوسلين بجمع قوات وزحفوا باتجاه حران، وأرسلوا إلى إنطاكية يطلبون التحالف مع كونت الإفرنج الكبير بوهيمند وتنكريد، فالتحقوا بجميع قواتهم الأرمنية، مشكلين جيشاً كبيراً، وصلوا به إلى حران، وفرضوا حصاراً شديداً عليها، فعانت المدينة من نقص المؤن، وأثناء الحصار قام أحد جنود الإفرنج، بعمل وضيع لا يرضي الرب، حيث حمل قطعة خبز وقام بتدنيسها، ووضعها أمام أبواب المدينة، وقد لمح سكان

---

[1] كانتزاج، مدينة في ولاية ارتساخ في الوقت الحالي، تتبع إلى الروس ويسمونها الآن ايليسفت بول، وتسمى أحياناً كانتزاج الأجوان من أجل تميزها عن كانتزاج أذربيجان أو توريس وهي جازا والمعروفة عند المؤرخين القدماء والبيزنطيين غازا، غازكا، غازاكون، كندزاكون، كنتزاكيون.

[2] جون الخامس القس الرابع والخمسون للأجوان، استمر في منصبه عشر سنوات حسب القائمة المعطاه من قبل الأسقف شاه خاثوني في كتابه وصف ادشميدزين، والمقاطعات الخمس في أراراد الطبعة الأولى المنشورة من قبل مطبعة ديريطريركية ادشميدزين.

Schakhathouni, en russe schakhathounoff. Évêque arménien, Description du couvent patriarcal d'Edchmiadzin et des cinq districls de la province d'Ararad (en arménien), 2 vol.in-8 L'imprimerie de ce couvent, 1842,2 vol. In-8^{0} , t. II, p. 340

المدينة قطعة الخبز فقام أحدهم بالإرتماء فوقها وأخذها ليأكلها بسبب الظروف المأساوية التي تعيشها المدينة، ولكن اكتشف الأوساخ التي علقت فيها وكانت تبعث على الاشمئزاز، فتراجع عن أكلها، وحملها للآخرين لمشاهدتها جراء هذا المشهد قال أحد الحكماء " هذه خطيئة لا تغتفر، ولن يجعلها الرب تمر دون عقاب، ولن يمنحهم النصر لأنهم دنسوا الخبز بشكل ليس له مثيل على الأرض " .

أثناء ذلك سار الفرس [المسلمون] نحو المسيحيين وعلى رأسهم جكرمش[1] أمير الموصل، سقمان بن أرتق، وعندما علم قادة الإفرنج باقتراب الكفار [المسلمين] خرجوا فرحين لملاقاتهم في الطريق، وكانوا على بعد مسيرة يومين من المدينة في مكان يدعى أوزود (Auzoud) (كثير الرمال) . قام كونت الرها وجوسلين وهما مغتران بأنفسهما بترتيب بوهيمند وتنكريد في مكان بعيدٍ عن المواجهة قائلين: " نحن سنكون أول من يهاجم الكفار، ونحن فقط من سيكون له شرف الانتصار". وعندما بدأ الاشتباك بين بلدوين وجوسلين من جهة، والأتراك من الجهة الأخرى، أصبحت المعركة دموية ومريعة على أرض تحت سلطة المسلمين جعلوها مسرحاً للأحداث .

كانت الغلبة للفرس [المسلمين] على المسيحيين بسبب غضب الرب عليهم، فسالت الدماء كالأنهار وغطت الجثث أرض المعركة، فهلك

---

1 شمس الدولة جكرش، أمير جزيرة ابن عمر، خلف كربوغا في إمارة الموصل عام (٤٩٥هـ/٢٦/١٠/١١٠١- ١٤/١٠/١١٠٢)، وأصبح أميرا على المدينة بعد أن نودي به موسى التركماني قائداً عسكرياً من قبل السكان، وغدر به حرسه الخاص قبل أن يدخل الموصل، أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٢٣ . Albert d'Aix IX,XXXVIII

ثلاثون ألف مسيحي، وتركت المنطقة خالية من السكان، ووقع الكونت بلدوين وجوسلين في الأسر . أما الآخرون (زعماء الإفرنج الاثنين)[1] بالإضافة إلى قواتهم لم يصبهم سوءاً، حيث أخذوا معهم خيرة جنودهم وهرعوا باحثين عن ملجأ لهم في الرها [2] .

---

1 [يقصد بوهيمند وتنكريد أميرا إنطاكية] .

2 خرج سكان مدينة حران بسبب المجاعة واستسلموا لمعسكر الصليبيين، غير أنه نشأ نزاع بين بوهيمند وبلدوين حول مسالة من منهما سيتسلم المدينة، وأي لواء سيرفع أولاً على المدينة، ونتيجة لذلك تأجل الاستسلام حتى الغد ليتخذوا وقتاً مناسباً لحل خلافاتهم، وقبل بزوغ الفجر وصل حشد كبير من الأتراك، تمكن من هزيمة المسيحيين، ووقع بلدوين دي بورغ وجوسلين كورتناي أسرى، بالإضافة إلى رئيس أساقفة مدينة الرها، الذي كان قد رافق الحملة العسكرية برفقة برنارد بطريرك إنطاكية وديمبرت بطريرك القدس، وكان رئيس الأساقفة قد وقع في رعاية أحد المسيحيين من جيش الأتراك فتركه يهرب بداعي الشفقة، وعاد رئيس الأساقفة بعد عدة أيام إلى الرها . وليم الصوري، ج١، ص ٥١٥- ٥١٦ . قام سقمان وجكرمش بتجميع قواتهما على النحو الآتي : سقمان كان معه سبعة آلاف فارس تركماني، وجكرمش ثلاثة آلاف فارس من الأتراك والعرب والأكراد، ولى المسلمون الأدبار، فلحق بهم المسيحيون فالتف المسلمون حول المسيحيين، وانقضوا عليهم ودحروهم، فاستولى سقمان على عدد كبير من القطعان والحيوانات بالإضافة لبلدوين (ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٧٣- ٣٧٥) ابو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٣٥ .لحول موقعة حران، انظر التفاصيل الرويضي، إمارة الرها، ص ٣١٠- ٣٢٤ . وانظر المصادر الآتية

Albert Aquensis, inR, H.C-H. OCC, Vol, 4,p.610-617

Radulfo: Gesta Tancredi, inR.H.C-H. OCC.vol.3,P.710-713]

تاريخ ابن القلانسي، ص ١٤٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨ ،ق١، ص ٩، مؤلف سرياني رهاوي مؤلف سرياني رهاوي، الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية، منشور في كتاب الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، الجزء الأول، مطبعة الملاح، دمشق، ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ، ج٢، ص ٤٦٥- ٤٦٧].

إن ما أحزن سكان الرها ما قام به سكان مدينة حران من اعتراض طريق انسحاب مقدمة الجيش أثناء هروبهم أمام الكافرين [المسلمين]، وقاموا بمحاصرته في السهل والجبل، وقتلوا جميع المنهزمين الذين بلغ عددهم عشرة آلاف. لقد فعلوا بالمؤمنين [المسيحيين] أسوأ مما فعله الأتراك أنفسهم، وقد خيّم على مدينة الرها مظاهر الألم والحزن العميق والعويل، ولم يكن يسمع في كل مكان سوى الشكوى والأنين، وعمت جميع المدن المسيحية اليأس وخيبة الأمل، واقتيد الكونت بلدوين إلى الموصل مدينة المسلمين، وجوسلين إلى هرسنكي (حصن كيفا)[1] عند سقمان بن أرتق، وكان جكرمش هو من اقتاد بلدوين.

وأثناء تلك الأحداث، صمم بوهيمند على فكرة العودة لبلاد الإفرنج، لطلب الدعم، وترك مقاليد الحكم في الرها وأنطاكية لابن أخته تنكريد[2]. وعندما وصل إلى بلاد الإفرنج التقى بسيدة غنية جداً

---

1 حصن كيفا، بلدة تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة بين جزيرة ابن عمر وميافارقين، انظر:
(Indjidji ,Description de l'Arménie moderne.p.234) ويعتقد أنها القلعة القديمة كنتزي(Kentzi) في أرمينيا الرابعة.

2 [في شهر أيلول ١١٠٤ م عقد بوهيمند مجلسا في إنطاكية، دعا إليه أتباعه وعلى رأسهم ابن أخته تنكريد، استعرض فيه الأخطار التي تحدق بالإفرنج في بلاد الشام الشمالية والجزيرة الفراتية، وعبر عن عدم ارتياحه لهذا الوضع لأن أعداد الإفرنج في المنطقة غير كافية لمواجهة الأخطار، ثم اقترح بوهيمند الرحيل إلى أوروبا للبحث عن الإمدادات لتساعد الإفرنج، وتحافظ على وضعهم في بلاد الشام الشمالية والجزيرة الفراتية، وعندما عزم بوهيمند على الرحيل أوكل مهمة إنطاكية لابن أخته تنكريد.انظر Radulfo: Gesta Tancredi,in R.H.C-H. OCC.Vol.3,p.712-715 ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص١٤٩، فوشيه

كانت متزوجة من آتيين بول، كونت افرنجي من أصل رفيع، وقد نزل بوهيمند عند تلك السيدة التي عرضت عليه قائلة: "خذني زوجة لك لأني فقدت زوجي، وخذ أرضي وكذلك فرساني الذين لا سيد لهم"، لكن بوهيمند رفض العرض، قائلاً:"لقد جئت إلى هنا وأنا ملزم بقسم رسمي لأتزود بالقوات، وأرغب في العودة على وجه السرعة؛ لنجدة فلول القوات المسيحية المحاصرة من قبل الفرس الكافرين".

إن هذه السيدة كررت عرضها بإلحاح وعنف بالغ في حين كان بوهيمند يقابلها بالرفض، وأمام إصراره الراسخ عمدت إلى تكبيله بالسلاسل وزجته في السجن، وبعد أن مضى عدة أيام عليه في السجن رضخ لمطالبها وتزوج منها؛ وأصبح له منها ولدان، وبعد مضي خمس سنوات، توفي كونت الإفرنج الكبير [بوهيمند] دون أن يرى آسيا مرة أخرى[1].

الشارتري، ص١٣١، ١٣٤، تاريخ ابن القلانسي، ص١٤٦، مؤلف سرياني رهاوي (زكار) ج٢، ص٤٦١، ابن شداد، محمد بن علي (ت ١٢٨٥م/ ٦٨٤هـ)، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، القسم الخاص بحلب من الجزء الأول، تحقيق دومينيك سورديل، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥٣م/ ١٣٧٦هـ، ج١، ق٢، ص٩٣، وليم الصوري، ج١، ص٥١٧.]

1 هذه الرواية لرحلة ونهاية بوهيمند في أوروبا، ومن الواضح أنها انتشرت بين الشعوب الشرقية والتي أعاد روايتها متى الرهاوي، والمؤكد أن هذا الامير عندما رأى نفاذ قواته في ظل استحالة القوات اليونانية والاسلامية، وضع خطة للخروج من هذا المأزق نجد تفاصيلها عند آنا كومنين، الالكسياد (زكار)، ج١، ص١٨٤- ١٨٦. وليم الصوري، ج١، ص٥٢٦، ٥١٧- ٥٢٧).انتهج بوهيمند خدعة لرحيله، فقد ادعى الموت، ووضع نفسه في تابوت، ونقل بواسطة عربة مأتمية إلى سفينة مكللة بالاسود، وقد استطاع ان يخرج من ميناء البسفور دون ان يحدث له أية مشاكل، وما أن وصلت السفينة ميناء كورفو، خرج بوهيمند من التابوت أمام أعين الناس فاندهشوا وهرعوا نحوه، ثم ذهب الى روما فاستقبله البابا كبطل، ومنها الى بلاد الملك فليب الاول ملك

XXXIII /٣٣ في العام نفسه توفي دانشمند أمير بلاد الرومان الكبير، أرمني الأصل . حيث كان رجلاً طيباً ومحسناً ومعطاءً تجاه شعبه ورحيماً تجاه المؤمنين، وسبب رحيله الأسى للمسيحيين الذين كانوا يعتمدون عليه [1]، لقد ترك دانشمند أثني عشر ولداً، يدعى الأكبر غازي الذي خلفه في المنصب، واحترس خفية من أخوته

XXXIV /٣٤ في العام نفسه مات سقمان بن أرتق الذي كان يحكم في السابق المدينة المقدسة أورشليم، وقد ترك أرتق آثاراً شاخصة أثناء عبوره كنيسة القيامة، حيث يلاحظ وجود ثلاثة أسهم ثبتت في السقف، ولا تزال حتى وقتنا هذا، لقد قضى آخر أيامه في أورشليم، ودفن في الطريق إلى هيكل سليمان . أما ابنه سقمان فقد كان رجلاً شريراً وحيواناً متوحشاً، يتوق لإراقة الدماء. لقد قام بحشد القوات الفارسية وزحف لنجدة طرابلس من الإفرنج لكن الموت فاجأه في الطريق، فتشتت جيشه في الحال، وقفلوا راجعين إلى بلادهم .

فرنسا ، فعامله الآخر معاملة حسنة وزوجه من ابنته كونستانس، وكانت قد فرقت عن زوجها هوج كونت شمباني. وقد نجح بوهيمند في حشد جيش كبير بهدف انقاذ الاماكن المقدسة ، ولكنه هاجم أراضي الامبراطورية اليونانية ، وهاجم مدينة دورازر (ديراشيوم) حاضرة ابيروس، ثم توقف ضمن معاهدة أبرمها مع الامبراطور ، وانسحب الى امارته الصغيرة تارنت حيث مات هناك في بداية شهر آذار ١١١١م، ولم يترك طفلا وحيدا خلفه في انطاكية ، وكان له ابن آخر، يدعى جون مات وهو صغير السن .
انظر: Muratori ,Rerum italicarum scriptorest. VIII.Col. p.178

1 محمود أبو إسماعيل بن الدانشمند توفي حسب رؤية ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٢٨ ، في عام ١٤١٧ في التقويم اليوناني، ١١٠٦ في التقويم الميلادي .

٣٥/XXXV في العام نفسه توفي ملك الفرس بـركياروق ابن ملكشاه ابن ألب أرسلان، وقد خلفه في الحكم دافار[1] الذي ولد من أمرأة خفتشاخ[2] (كيبتشاك)، وهي نفس المرأة التي سممت الملك القوي ملكشاه في بغداد[٣].

---

[1] لوحظ أيضاً من قبل Silvestre de sacy, Chrestomathie arabe, 2 édition,3 vol.in-8°. Paris, 1826-1827, Notices et extraits des manuscrits, t.IX,P.321 أن دافار ومن المحتمل أن يكون الاسم التركي لأبي شجاع غياب الدين محمود شقيق ووريث بركياروق في السلطة [انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٤- ٢٨٧. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٩١، ٢١٤ . أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٣٦- ٣٧] . وتسمية Anne Comnene ,p.143 تابارس غير أنها تجعله ابن بركياروق . بينما (Du cange) في ملاحظاته على كتاب Alexiade, Ducange, Familiæ Augustae Byzantinæ et Constantinopolis Christiana, p.68 أخطأ أيضاً في تحديد هوية هذا الأمير بالوقوع في الخلط مع هوية أبيه ملكشاه .

[2] وحسب متى الرهاوي Dulaurier, Bibliotheque historiquearme'nienne. Chap. CXXXIX تركان خاتون زوجة ملكشاه وابنه سلطان سمرقند من سلالة ترتار كيبتشاك . وحسب ما يذكره Defrémery(Ch.) Histoire des Seldjoukides, extraitc du Tarikhi-Guzideh de Hamd-Allah Mustaufy . dans le Journal asiatique , année 1848, p. 447 تركان بنت توغمج ابن بوغراخان بن نار بن إلك خان بن بوغراخان القديم القائد العسكري لسلالة ترتار هوي كي في بلاد ما وراء النهر . [ويذكر، ابن الجوزي، عبد الرحمن ابن علي(٥٩٧هـ - ١٢٠٠م)المنتظم في تاريخ الامم والملوك،١٨ج،ط١ ،تحقيق محمد عبدالقادر ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج٩، ص ٨٤، تركان بنت طراج والدها من نسل افراسياب ملك الفرس] .

[3] توجد رواية أخرى عن وفاة ملكشاه يزودنا بها ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٢٠- ١٢١ . حيث يقول في أحداث عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) نشب خلاف بين السلطان ملكشاه والخليفة، وكان الخليفة قد تزوج من ابنه السلطان ملكشاه والابن الذي نتج عن هذا الزواج أراده السلطان أن ينادى به خليفة ووريثاً وتحت رفض الخليفة ،

XXXVI /٣٦ في العام نفسه ضاعت مدينة مرعش من أيدي اليونان، وترك أمير الأمراء هذه المدينة وسلمها إلى جوسلين، وباع أيضاً صورة أم الرب المقدسة بمبلغ كبير إلى أكبر أمير أرمني، ثوروس بن قسطنطين بن روبين، وغادر متوجهاً إلى القسطنطينية .

XXXVII /٣٧ في عام ٥٥٤ (٢٣ شباط ١١٠٥ – ٢٢ شباط ١١٠٦م) البطريرك المقدس غريغوري المسمى أيضاً فاهرام بن غريغوري (ماجيستروس) ابن فاساج ذو الأصل الباهلفوني أنهى حياته العملية، وبه سقط عمود الإيمان الأرمني معقل كنيسة الأمة الشرقية، لقد كان رجلاً، صنع المعجزات بين الناس، وعم النور بسبب فضائله، عاش حياة زاهدة، أمضاها بالصوم والصلاة، وإنشاد المزايد التي بها يحمد الرب، لقد صحح الإيمان الأرمني، وكان منهمكاً بوضع التقاليد، والتفسير بلا انقطاع، وكل ما ينقصنا فيما يتعلق بمراعاة أوامر الرب، فأعاد بناء كل ذلك وفق نظام رائع ومتكامل، فقد دأب دون توقف في ترجمة الكتب اليونانية والسريانية، وملأ الكنيسة الأرمنية بنور الرسالات المقدسة، بسبب ما حباه الله من فكر وتواضع، فضم إلى خصاله الحميدة الرحمة الواسعة، والمثابرة المتواصلة في تطبيق التعاليم الإلهية . كان لديه الأهلية

أرسل السلطان إليه يأمره بالخروج من بغداد، فرد الخليفة " أني ممتثل أمرك فتمّهل عليَّ عشرة أيام ريثما أتهيأ للرحيل "، وفي اليوم التاسع أصيب السلطان بالحمى وعلى أثرها لاقى حتفه، فانتشر خبراً بأن عبداً كردياً دس له السم . وبعد وفاته قامت زوجته تركان خاتون التي كانت تتمتع بحصافة نافذة بتولي زمام الأمور، وعملت على مبايعة ابنها محمود الذي كان عمره خمس سنوات سلطاناً في بغداد . [انظر تفاصيل أكثر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٠- ٢١١، ٢١٤- ٢١٥، ابو الفدا، المختصر، ج٢، ص ١٧- ١٩ انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٣٥].

المطلوبة ليتمكن من تلبية احتياجات رغبة المسيح، طالما كان يملك من النعم السماوية مالا يحصى. لقد كان يشبه علماء أرمينيا القدماء، وأقصد موسى وداود [1]، لأنه كان ذا عقل راجح ولسانٍ لاذع، فاستطاع أن ينزع الستار المسدل على العهد القديم والعهد الجديد، واهتدى إلى طريق ينابيع جنة الرب، ونشر عبقرية الروح المقدسة بين المؤمنين الذين سارعوا إلى فهمها، وأصبح نموذجاً للمتدينين، وتفوق عليهم في تطبيق أسمى الفضائل.

وبعد أن أقام أربعين عاماً في مقر الحبر الأعظم، وجد نفسه عندما وافته المنية عند الأمير الأرمني كوغ فاسيل هذا المحارب الشهير الذي اجتمعت عنده فلول جيشنا الوطني، وكان هناك شاب يدعى غريغوري [2]

---

1 موسى دو خورين وداود الفيلسوف الملقب بـ اللايقهر، وهو كاتب من القرن الخامس الميلادي الأول مشهور بكتابة تاريخ أرمينيا الذي كتبه بمعرفةٍ وتبحر بالأسلوب، الثاني مشهور بأعماله عن أرسطو. يضعهم الأرمن ضمن كوكبة من الكتاب والعلماء الذين نهضوا ببلدهم في القرن الخامس الميلادي، والذين دأبوا على التعريف بكتاب الأعمال الأدبية اليونانية، وأبرز أعمالهم المميزة ترجمة الكتاب المقدس. لقد كرموا وعرفوا في الكنيسة الأرمنية بلقب "مترجمون مقدسون".

2 غريغوري الثالث، بهلافوني، منحدر من السلالة الملكية للأرساسيد. كان ابن الأمير ابيراد، ابن أخت البطريرك غريغوري الثاني الذي حكم من عام (١١١٣م-١١٦٦م). حضر المجمع الذي عقد في أورشليم من أجل القاصد الرسولي (الممثل البابوني) البريك، أسقف أوستي في اليوم الثالث بعد عيد الفصح ٣/٢٥ حيث نوقشت بعض نقاط الخلاف بين الأرمن واللاتين، وقد وحلت. ووعد القس أن يقوم بعدد من الإصلاحات في الطقوس والالتزام بها (انظر وليم الصوري، ج٢، ص ٧٢٠- ٧٢١)

(CF Dulaurier (Ed.)Histore, dogmes, trqditions de L'Église arménienne orientale,trad . de L'arménien et du russe, 3 éd. In-8°,paris, 1859, 3 edition)

(ابن ابن أخت) السنيور مهرام . وعمد البطريرك غريغوري أثناء حديثه في مجلس عام إلى تعيينه خلفاً له في منصب بطريركية أرمينيا بعد موت السنيور بازيل، وقد وضع البطريرك أمر تنفيذ رغباته تحت وصاية فاسيل أميركيسون [1] وأماكن أخرى، والتزم بازيل بأوامر غريغوري . ومنذ ذلك اليوم أصبح إلى [غريغوري] بن أبيراد مكانة عند البطريرك، وقربه منه وجعله معينه في البطريركية. ومات البطريرك القديس يوم السبت من الأسبوع الأول من شهر الصوم الكبير الذي صادف في فصل الصيف، ودفن باحتفال رسمي في جارمير فانك (الدير الأحمر) بالقرب من كيسوم . وقام السنيور آيتين رئيس الدير بجمع الرهبان، والآباء حول قبره، ودعا له بأن ينضم إلى قوافل القديسين نظراً لشرف البابوية التي حملها . أما فاسيل والأعضاء النبلاء الآخرون، فذرفوا الدموع على فراقه، وحزنوا على الفراغ الذي نشأ عن فراقه، وبكى الأرمن لذكرى هذا الرجل الصالح، متذكرين المصير الذي حكم عليهم أن يعيشوه محرومين من سيادتهم الوطنية وسط الشعوب الأجنبية، وأن يهجّروا عن بلادهم [2] .

---

1 كيسون أو جيسون وكيسوم بالعربية، كلمة بالسريانية، مدينة في أوفراتز تقع بين الجبال إلى الشرق من مرعش بالقرب من بهسنى المعروفة اليوم بـ كوسون مكان إقامة كادهي (كادهيليك) في ولاية ماشاليك في أدنه Indjidji., Description de l'Arménie moderne, P.368-369

2 هذا التاريخ الموافق لـ ٦/١٢ لقد أعطيت تفسيراً في كتابي

Dulaurier , la chronologie arménienne, n^0,LIX.

ومن الممكن أن نستعين بنفس الطريقة من أجل معرفة في أي من الأشهر يتوافق مع طريقة العمل السابقة .

٣٨/ XXXVIII في هذه السنة فارق الحياة صانع المعجزات والنابغة الناسك، مارك الذي قضى خمسا وستين سنة من حياته، معتكفاً لا يأكل إلا الأعشاب، دون أن يتذوق الخبز أو أي شيء مثيل له، وكان يملك بصيرة الأنبياء، وكثيرٌ من الناس كانوا على يقين من هبوط الروح القدس دائماً عليه، كان يسكن في ولاية موج [1] (Magk) على قمة جبل قاحل يدعى جان كناج (Gonkanag) . وهو سرياني من خرسينا[2]، مكان

---

1 موج : إحدى المقاطعات الخمسة عشرة لأرمينيا الكبرى، تقع إلى الشمال الشرقي من بلاد الرافدين السورية .

2 (خرسينا) بالسريانية، وخَرْشَنَة(الخَرْشَني) بالعربية، وهي بلدة من بلاد الشام حسب قول السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت١٥٠٥م/٩١١هـ)، لب اللباب في تحرير الانسان، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز واشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩١م،ج١، ص ٢٨٠، السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت٥٦٢هـ/١١٦٧م): الأنساب، تعليق عبدالله البارودي، دار الجنان، ط١، بيروت، ١٩٨٨م، ج٢، ص ٣٤٥، ويذكر البغدادي، مراصد الإطلاع، [ج١، ص ٣٢٧]، أنها مدينة في بلاد الروم بالقرب من ملطية، وحسب ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٦٧، فإنها تقع بالقرب من قلعة ابدهار غير بعيدة عن الفرات، وكاتب هذه الحولية يبين الموقع بوضوح، وذلك عندما يعلمنا أن جزءا من الجبل المجاور قد أنهار في الوادي الموجود بين قلعة ابدهار ومدينة خرشنة لترشنا)، وهذا الانهيار أوقف جريان الفرات ثلاث ساعات.

أن كل تلك الإشارات قريبة من تلك التي يزودنا بها متى الرهاوي الذي يضع خرسينا بالقرب من أراضي مرعش، محدداً موقع هذه المدينة في الجزء السوري المسمى الفرات، ومن الواضح والمؤكد أن خرسينا أو خرشنة لا يمكن تحديدها، كما أردنا أن نتوصل إليها مع موقع آخر بعيد أيضاً من خرسينوم كستروم (قلعة). وفي الواقع ثيماخرسينوم تقع حيث تربض القلعة التي تحمل نفس الاسم، كان يجتازها نهر هاليس وتشكل مركز منطقة كبادوس المتضمنة فيها قيصرية، وهي واحدة من ثلاث مقاطعات حصلت عليها كبادوس تحت حكم جستنيان أو واحداً ممن خلفه مباشرة.

بالقرب من أراضي مدينة مرعش . تمكن بفضل صلواته أن يجعل الماء يتدفق من موقعين مختلفين في بلدة، وعندما غزا الإفرنج المدينة المقدسة أورشليم تنبأ بأن الفرس سيستعيدون نفوذهم، وأن يتوغلوا حتى يسيطروا على البحر المحيط، نبوءة قد رأينا تحققها .

(وهذه كلاماته): " لقد قلنا فيما يخص الكهنة والشعوب التي ستترك الإيمان وتتوقف عن عبادة الله، إن عقيدتهم وإيمانهم سيضعف، وأن أبواب الكنيسة المقدسة ستغلق، وسيعميهم ضلالهم، وينسون تعاليم الإنجيل المقدس، وستغمر الآثام والخطيئة والشر وجه الأرض، وأن أبناء الرجال سينقلون إلى وسطٍ يفيض بالجرائم مثل أمواج البحر، وكل الأمم المؤمنة ستتوقف عن تطبيق العدالة " .

لقد دفن هذا الراهب المبجل في دير جسداكون بالقرب من قلعة فاهجا (Vahga) في سلسلة جبال طوروس .

XXXIX /٣٩ في العام نفسه قدم جكرمش أمير الموصل ونصيبين (Nisibe) على رأس قوات كبيرة كان قد جمعها : وعسكر أمام بوابة الرها في موسم الحصاد إزاء ذلك قام قائد الإفرنج ريتشارد الذي أوكل إليه تنكريد مهمة الدفاع عن المدينة بالخروج متهوراً على رأس مشاته

(CF. Constantini Porphyrogeniti; de Administrando imperio, lib. 1, them , II et cop.l.)

وكانت معزولة عن الفرات بمدينة ثيما سباتيا . ما يهمني معرفته إذ ما كان المؤرخون العرب قد خلطوا بعض الأحيان ما بين خرسينا الفرات، وخرسينوم كستروم الكبادوس الممتدة من أراضي ثيما خرسينوم حتى الفرات، يكفيني أن أثبت عن طريق النصوص ما جمعته خاصة من متى الرهاوي، وأبي الفرج، بأنهم عاشوا في بلاد مجاورة للبلدة التي وردت، وأن هذه البلدة تقع على الضفة الشرقية للفرات .

لمنازلة الفرس [المسلمين] استفاد الفرس من هذا الخطأ ،وانقضوا عليهم ورموهم في خنادق القلعة ، لقد فقد المسيحيون أربعمائة وخمسين رجلاً ، وانتزع الكفار رؤوس الجثث وحملوها إلى بلاد فارس؛ هذه الكارثة ألقت بمظاهر اليأس على مدينة الرها ، وأغرقت كل عائلة بحزن عميق ، وكان العويل يسمع في كل بيت ، وغرقت أرياف المدينة بالدماء ، وبعد ذلك عاد جكرمش إلى بلاده منتصراً .

٤٠ / XL في العام نفسه مات كونت الإفرنج سانت جيل خلال حصاره طرابلس [1] ، وترك المدينة الخارجية التي بناها [2] وقواته لابن أخيه برتراند [3] المحارب المشهور ، أنه نفس سانت جيل الذي كان قد انتزع رمح المسيح وأعطاه إلى الإمبراطور الكسس في القسطنطينية .

---

1 كان موت ريموندسانت جيل بتاريخ ١١٠٥/٢/٢٨م بعد سنتين من سقوط طرابلس ، وليم الصوري ، ج١ ، ص ٥١٩ . (Albert d'Aix, IX, XXXII)

2 يقصد تلة الحجاج [التي بناها ريموند سانت جيل كونت تولوز أمام طرابلس ، وليم الصوري ، ج١ ، ص ٥١١ ، ٥١٩] .

3 أخطأ متى الرهاوي : برتراند كان ابن ريموند دو سانت جيل من زوجته الأولى بنت برتراند [برترام] ماركيز بروفنس ، هو عم ريموند . الخطأ الحاصل هو الخلط بين برتواند ووليم جوردان كونت سروان ابن أخ ريموند سانت جيل ، وكان وليم جوردان قد شارك في حصار طرابلس ، وبعد موت سانت جيل تابع الحصار لمدة أربع سنوات ، وفي نهاية تلك الأحداث وصل برتراند من فلسطين مع أسطول كبير من أجل المطالبة بفتوحات أبيه ريموند سانت جيل ، رفض وليم جوردان بداية أن يرجعها إليه ، وبعد لقاء حصل بينهما ، وبفضل تدخل بعض الأصدقاء المشتركين اقتنع بأن يحتفظ وليم بمدن طرطوس وعرقه وملحقاتها ، وبرتداند يحصل على طرابلس وجبيل وتلة الحجاج ،وبعد موت وليم جوردان عام ١١٠٩م بقي برتراند سيداً وحيداً على أملاك أبيه (وليم الصوري ، ج١ ، ص ٥١٩ ، ٥٣٠ - ٥٣١) .

٤١ / XLI في العام نفسه عانت مدينة أبلاستا (Ablastha) الواقعة في ولاية دشهان [1] (Dchahan) من الويلات والمآسي على أيدي الإفرنج، مما جعل سكانها يقررون الانتقام لأنفسهم، فتحالفوا مع الكافرين [السلاجقة] وأرسلوا إليهم رسالة سرية، وطلبوا مساعدة جيش الولاية، كما انضم الأرمن إليهم، وقاموا بمهاجمة القلعة ومحاصرتها، وقالوا لقائد الإفرنج: "أذهب إلى وطنك وليكن الله معك" أمام هذه الكلمات انقض الافرنج على السكان مثل الحيوانات المفترسة، لكن السكان انتصروا عليهم وقاموا بذبحهم جميعاً ولم ينْجُ أحد منهم، لقد انتصر الرب لأهل أبلاستا لما فعلوه من أجل العدالة . إن هذا اليوم شهد هلاك ثلاثمائة رجل بسبب الآلام التي أثقلهم بها المؤمنون؛ لأنهم دمروا البلد وشردوا أهلها، ولم تعد الأرض تنبت غير الأشواك حتى أصبحت جرداء تحت أقدامهم، ويبست كروم العنب، والأشجار، وامتلأت السهول بالأشواك، وجفت الينابيع، وقتلوا المحبة والسعادة بين الأصدقاء، وعمت الخيانة والحقد في كل مكان، ولم يعد المؤمنون يقدمون العطايا للكنيسة بسبب الغيظ الذي أصبحوا ضحية له، وأغلقت أبواب بيت الرب وانطفأت القناديل التي

(CF. Vaissète (Dom J.) et D.Claude de Vic , Histoire général de Languedoc, 5 vol. In-fol.Paris, 1730-1746, 2 édition par M.Alex. Du Mége, 10 vol.gr.in-8°,Toulouse,1840-1846 , t,II. note XXXIV, S 20, et t. III. Liv, xiv chap . XVIII edition de M. AlEX . Du Mege.) .

[1] أبلاستا، مدينة يطلق عليها الأرمن اليوم باسم " البستان " تقع بالقرب من نبع سيهان إلى الشمال من سليسيا . (Indjidji, Description de l'Arménie moderne, P.378) وولاية دشهان تقع في الجنوب من أرمينيا الثالثة، الترجمة الفرنسية .

XLIV / ٤٤ في سنة ٥٥٥ (٢٣ شباط ١١٠٦م – ٢٢ شباط ١١٠٧م) قُتل جكرمش أمير الموصل على أيدي جاولي [1] أمير الفرس بعد قتال مرير اندلع بينهم، وكان جاولي قد هزم جكرمش وأصابه بسهم، وبعد عدة أيام مات ذلك الحيوان المتوحش تاركاً إمارته للسلطان قليج أرسلان، وكذلك بلدوين كونت الرها الذي كان مصفداً بالأغلال، وقام قليج أرسلان بتجميع قواته وسيطر على الموصل والجزيرة وجميع الأراضي التي كانت تحت سيطرت جكرمش.

XLV / ٤٥ في العام نفسه، وقبل وقوع تلك الأحداث، تقدم [قليج] أرسلان على رأس قوات كبيرة لمحاصرة الرها، وقد بذل جهوداً كبيراً ولعدة أيام للسيطرة على المدينة، لكنه فشل فاضطر إلى الانسحاب، وأثنا تراجعه استولى على حران وجميع البلاد المجاورة ثم رجع إلى ولايته.

XLVII /٤٦ في سنة ٥٥٦ (٢٣ شباط ١١٠٧م – ٢٢ شباط ١١٠٨م) اندلعت حربٌ في مقاطعة الموصل الإسلامية بين قليج أرسلان والأمير جاولي، وكان كل منهما على رأس قوات ضخمة، ودارت بينهما معركة حامية الوطيس، سالت الدماء من كلا الطرفين وكان النصر حليف الأمير جاولي بعد مقتل السلطان وفرار فلول جيوشه إلى ملطية (Melltene) .وقد حزن المسيحيون لموته لأنه كان أميراً عطوفاً ومتسامحاً

---

[1] جاولي سقاوه كان بداية حاكماً للموصل ثم نائباً لسلطان ولاية فارس في بلاد فارس، برتبة أتابك أو وصي لمدة عامين على طفل يدعى جغري ابن السلطان محمد. مات جاولي عام (٥١٠هـ/ ١١١٦م- ١١١٧م) حسب ما ذكر [ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥١٦- ٥١٧. ابن الفدا، المختصر، ج٢، ص ٤٩].

الأفق . واستمر يسطع لمدة خمسين يوماً باعثاً الرعب في قلوب الناس، وكانت حركة ذنبه تشبه تعرجات النهر، ولم يسمع من قبل الحديث عن مثل تلك الظاهرة، وأكد العلماء والحكماء أن ذلك ما هو إلا كوكب مُلك، وأن هذه السنة ستشهد ميلاد شخص ستمتد إمبراطوريته من البحر إلى البحر مثل إسكندر المقدوني الكبير.

في العام نفسه خرج العرب (البدو) من بلادهم وكان عددهم يزيد على ثلاثين ألفٍ ليستولوا على حلب، وجميع المناطق التابعة للمسلمين[1]، فخرج لهم بطل الرب المقدام تنكريد كونت إنطاكية، وتقدم نحوهم فهزمهم ثم عاد إلى إنطاكية محملاً بغنائم ثمينه[2] .

---

1 يقصد متى الرهاوي الجزء الشمالي من سوريا .

2 هذا النصر حدث بالقرب من أرتاح، وكان قائد المسلمين رضوان أمير حلب، غير أن النصر كان حليف المسيحيين، وكان الأمير رضوان أول الهاربين، (وليم الصوري، ج٢، ص ٥٢٠، Albert d'Aix, Ix, XLVII) وحسب ما ورد عند ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ١٥٠، إن الأرمن في أرتاح تمردوا للتخلص من نير الإفرنج وسلموا المدينة للأمير رضوان، ودخلوا في طاعته، فقام تنكريد أمير إنطاكية حملة مضادة [لتأمين حدود إمارتي إنطاكية والرها الصليبيتين، فقصد أرتاح واستولى عليها في ٢٠ نيسان ١١٠٥م بعد أن هزم الأمير رضوان وقواته، انظر: تاريخ ابن القلانسي، ص ١٤٨، العظيمي، محمد بن علي التنوخي (ت ١١٦٠م/ ٥٥٦هـ)، تاريخ العظيمي، منشور في كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، ط١، جمع وتحقيق احسان عباس، دار المغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٨م/ ١٤٠٨هـ، ص ٦٥- ٦٦ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٣- ٢٩٤ . فوشية الشارتري، ص ١٣٥].

(Anazarbe) [1] ناشرين الرعب والخراب في قارس، بلاد حفيد روبين، واجتازوا سهل مرعش، وأخذوا العديد من الأسرى، ووصلوا إلى أرض كوغ فاسيل لمكان يدعى بيرتوسد [2] (Pertousd) . ورداً على هذا الاجتياح قام كوغ فاسيل بجمع الفرق الأرمنية التي كانت تضم جنوداً عنيدين مثل العقبان وشجعان والأشبال . وخرجوا لملاقاة العدو، وبعد قتال ضار ومرير، حققوا النصر عليهم و أجبروا الأتراك على التقهقر، وقاموا بملاحقتهم وقتلهم وأخذ العديد من الأسرى واستعادوا منهم الغنائم والأسرى. استعاد كوغ فاسيل الشرف الأرمني وعاد سعيداً مفتخراً بهذا النجاح إلى مدينة كيسوم (Kecoun)، وتوجه بالشكر للرب على مساعدته لهزم أعداء الصليب .

٤٨/ XLVIII في مطلع سنة ٥٥٧ (٢٢ شباط ١١٠٨م - ٢٠ شباط ١١٠٩م) جمع الفرس جيشاً جديداً وقوياً قوامه ستة آلاف رجل وجميعهم مقاتلون من ذوي الخبرة، ووضعوا تحت قيادة سلطانهم، وتوجهوا نحو كوغ فاسيل للثأر منه بعد أن هزمهم في موقعة بيرتوسد (Pertousd) . ومثل

---

1 عينُ زرب، بلدة تقع ضمن الثغور الشامية من نواحي المصيصة، أغلب سكانها من الأرمن، وهي من أعمال ابن ليون، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ١٢٢٨م/ ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ٥جـ، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م/ ١٣٩٩هـ ج٤، ص ١٧٧- ١٧٨].

2 بيرتوس، بيرتونك، بيرتوك، قلعة حصينة تقع بالجوار من قلعة وممر جابان ليس بعيداً عن بيرام أو جيهان، كما يجعلنا النص الاعتقاد به أنها أرض كنيسة أو دير.

للغاية . وتقاسم أولاده المقاطعات الأربعة، حيث كان قد خصص لكل واحد منهم مقاطعة [1] .

٤٧/ XLVII في العام نفسه عبر جيش تعداده اثنا عشر ألفا من الفرس [الأتراك] جبال طوروس إلى بلدة عين زربة

---

[1] أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٤٠- ٤١، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٢٨، يذكران أن سلطان فارس السلطان محمد، اقطع جاولي سقاوة حكم الموصل والأعمال التي كانت بيد جكرمش، فخرج الأخير على رأس جيش لطرد غريمة ولكنه انهزم أمام جاولي وأخذ جكرمش أسيراً وكان قد بلغ الستين من العمر، وكان قد سار إلى المعركة محمولاً فعمد جاولي الطواف به وهو مغللاً بالأصفاد في أنحاء الموصل مطالباً سكانها بتسليمه الموصل وعلى رأسهم زنكي بن جكرمش، وكان قد سجن في قبو وما لبث أن مات، وفي أثناء ذلك اتصل سكان الموصل بالأمير قليج أرسلان [ابن سليمان بن قطلمش السلجوقي] صاحب بلاد الروم يستدعونه إلى الموصل، وعند وصول أخبار قدومه إلى نصيبين رحل جاولي إلى الرحبة، أما قليج أرسلان فقد وصل إلى الموصل فتسلمها في ٢٥ رجب ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) وأناب فيها ابنه ملكشاه وكان يبلغ من العمر إحدى عشرة سنة تحت وصاية أحد الأمراء] . وتابع قليج أرسلان ملاحقة جاولي الذي كان قد انضم إليه الأمير رضوان وغيره من الأمراء مع قواتهم والتقى الطرفان عند نهر الخابور [في ٢٠ من ذي العقدة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م] فانهزم عسكر قليج أرسلان فاضطر إلى الهروب وألقى نفسه في الخابور فغرق في حين عاد جاولي إلى الموصل، فسلمت إليه بالأمان . [أنظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٢٣- ٤٢٦، ٤٢٩- ٤٣٠ . تاريخ ابن القلانسي، ص ١٥٦- ١٥٧، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ٣٠ . النويري، نهاية الأرب، ج٢٧، ص ٩٣، سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ج٨، ق ١، ص ٢٢، Michel le Syrien, La Chronique de Michel Le Syrien, in Recueil des Historiens des Croisades - Documents Armeniens, Vol. 1, Paris, 1869 , vol.1, P.331.

النبلاء، وكان متميزاً بانتصاراته، فأعطاه فاسيل لقب دغها [1] (Dgha) وهو أحد النبلاء من طرف أمه، وكان على رأس مجموعة يرافقه الفارس المغوار تيغران (ديكران) (Tigrane) الذي ينحدر من أعرق الأسر الأرمنية، وقد نجحوا في تشتيت أجنحة الجيش الفارسي، وقد حققت الفرقة الأرمنية الباسلة نصراً حاسماً على الكافرين، وأنزلت بهم مذبحة رهيبة، وأسر سلطان أرمينيا [2]، وحشد من ضباط الفرس، وساقهم كوغ فاسيل أمامه

---

[1] إن كلمة دغها لقب فاسيل الصغير، ويعني في الأرمنية الطفل الصغير. كان فاسيل دغها من عائلة جمسرجان (Gamsaragan) التي تنحدر من قادة الأرساسيد من فارس، وينحدر من فرع جارين بهلاف (Garen Bahlav) الذي خلف كوغ فاسيل في إمارته. انظر ١٨٠ Moise, Histoire d'Arménie, II, LXXXI

[2] إن لقب سلطان أرمينيا الوارد ضمن هذا النص يحمل على الاعتقاد بأن صاحبة سقمان أوسكمان القطبي صاحب مدينة خلاط التي تقع شمال غرب بحيرة فان، بعد أن كان مملوكاً في خدمة قطب الدين إسماعيل السلجوقي اميرمدينة [مرند] من إقليم أذربيجان، وكان سكمان قد أصبح سيداً على خلاط والمدن المجاورة لها مع لقب شاه أرمن (ملك أرمينيا) توارثه أحفاده من بعده. وقد حكم سكمان خلال الفترة (٤٩٣هـ- ٥٠٦هـ/١٠٩٩- ١١١٢م) (أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٢٩- ٣٠). وهو الرأي الذي ذكرته في ترجمة متى الرهاوي مع إمكانية معرفة سلطان أرمينيا الذي يتحدث عنه متى الرهاوي مع سكمان القطبي، لكن إذا تمعنا بالأمر عن كثب، اعتقد أن هذا الرأي غير دقيق إذا ما دققنا في الطريق الذي سلكه جيش الأتراك من سهول مدينة عين زربه إلى مرعش، ومنها إلى بيرتُسد (Pertousd) من أراضي كوغ فاسيل أي من الغرب إلى الشرق، وهذا يبعثنا للاعتقاد أن هناك حملة انطلقت من ولاية سلطان قونيه (Iconium) والاستنتاج يؤكده لقب سلطان أرمينيا، والحقيقة أن معرفتنا جاءت من خلال القطع النقدية التي تحمل كتابات باللغتين الأرمنية والعربية حيث نجد أسماء الملك هيثوم الأول والسلاطين علاء الدين

الحيوانات المفترسة وصلوا إلى أراضي مدينة حصن منصور [1] -Hasan) (Mecour في أثناء موسم الحصاد وقطف الثمار، فأهلك بعض العاملين في الحقول، ووقع آخرون أسرى، وواصل الكافرون تقدمهم حتى وصلوا بالقرب من قلعة هارثان [2] (Harthan) وعندما علم كوغ فاسيل بتقدمهم خرج على رأس قوة قوامها خمسمائة رجل، هذه العصبة القليلة من الأرمن قاتلت بشجاعة نادرة، وتسابق النبلاء فيما بينهم لشرف حمل السلاح، فحمل أحدهم ويدعى ابلاسان [3](Ablacath) السلاح مع مجموعة من أقاربه، ومد بيير (Pierre) خال كوغ فاسيل يد العون، يساعده عدد من

---

1 حصن منصور، مدينة تقع في أرمينيا الصغرى، ضمن ولاية تحمل اسمها إلى الجنوب من ملطية بالقرب من سميساط على الضفة اليمنى من نهر الفرات (-Mĕkhithar Abbé, Dictionnaire arménien) أن التسمية العامية لـ هاسات مصور أو حسن مصور هي تحريف إلى حصن منصور من العربية، وقد سميت بهذا الأسم لانها بنيت في زمن مروان آخر خلفاء الأمويين من قبل منصور بن جعونه، العامري. (أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٦٩. البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص ٣٠٦). انظر ابن العديم: كمال الدين عمر بن احمد (ت ١٢٦٢م/ ٦٦٠هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، ١١ جـ، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٨م/ ١٤٠٢هـ، ج١، ص ٢٤٩. ابن شداد، الأعلاق، ج١، ق ٢، ص ٤١.

2 هارتان، قلعة تقع على مشارف ولاية وشهاف، حيث الجنوب الشرقي وليس ببعيداً عن حصن منصور

3 ابلاسات بن أدجاد، كان من عائلة فارسية غنية من مامجونين يرجع أصلها إلى بلاد الصين، وكانت قد جاءت إلى أرمينيا واستوطنت فيها تحت حكم تيريدات الثاني وسابور الأول ابن اردشير ملك الفرس CF. Moise Histoire d'Arménie, II, LXXXI مات ابلاسات في عام ١١١٢م أثناء خوضه معركة ضد الأتراك انظر الفصل ٦١. Moise Histoire d'Arménie, II, LXXXI

رعبان (Raban) [1] التي كانت تحت سيطرة كوغ فاسيل ؛ وذلك من أجل شن حرب ضد الورع تتكريد . لقد اقترف بلدوين وجوسلين عملاً إجرامياً أمام الرب، حيث أرسلوا رسالة إلى الأمير الفارسي جاولي يقنعونه فيها

قد حصن المدينة وترك فيها زوجته شقيقة الأمير برسق، وذهب لطلب النجدة أخذاً معه بلدوين الذي كان أسيراً في سجن الموصل، وكان قد أسر من قبل الأمير جكرمش، لقد أطلق سراحه مقابل أن يدفع له فدية مقدارها ٧٠,٠٠٠ دينار وأن يطلق أسرى المسلمين، وتحت أي ظرف يكون فيه جاولي بحاجة لخدماته، يأتي مع الافرنج لمساعدته، ومع ذلك يبقى بلدوين في قلعة جعبر حتى يستوفي دفع الفدية، عمليا تحرر بلدوين بعد أن وضع جوسلين ابن خاله أسيراً مكانه، وإثر ذلك ذهب بلدوين ليحضر المبلغ المتفق عليه، فأعجب جاولي بعمل جوسلين فدعاه وألبسه لباساً ملكياً، كما أعطاه حصانه الخاص به فقام جوسلين بدوره بإرساله إلى بلدوين من أجل الإسراع في إرسال الفدية وإطلاق الأسرى من الرجال والنساء الذين تم أسرهم في أرض حلب، (ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٣٠- ١٣١).

[انظر بشأن إطلاق سراح جوسلين وبلدوين من الأسر، مؤلف سرياني رهاوي، (زكار)، ج٢، ص ٤٦٩- ٤٧٠، ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٦٠، انظر تفاصيل أكثر الرويضي إمارة الرها، ص ٣٤٩- ٣٥٥]، ويذكر وليم الصوري، ج١، ص ٥٢٩ أن بلدوين وجوسلين عادا إلى بلادهما عام ١١٠٩م، وكانا قد قضيا في الأسر خمسة أعوام. [انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٦٠].

[1] رعبان مدينة تقع على الفرات بين مرعش وكيسوم، حيث الجنوب الغربي من كيسوم Mĕkhithar-Abbé, Dictionnaire arménien, et Tchamitch, Histoire d'Arméni, t.III, Tables, P.180 . [تحمل هذه المدينة اسم النهر الذي تقع عليه وهي مدينة قديمة البناء من اعمال حلب، وتعد من العواصم وللمدينة قلعة مبنية على حافة جبل لتراقب معبر النهر ومفترق الطرق، انظر الرويضي، إمارة الرها، ص ١١٠، ابن العديم، بغية الطلب، ج١، ص ٢٥٩، ابن شداد، الأعلاق، ج١، ق ٢، ص ٣، ١٠١، ١٠٢ . ابن رسته، احمد بن عمر (٩٢٢م/ ٣١٠هـ)، الاعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١م/ ١٣٠٩هـ، ص ١٠٧].

مكبلين بالسلاسل، ورجع محملاً بالغنائم بعد هذا النصر المؤزر إلى مدينة كيسوم، وأطلق سراح الأسرى الذين وقعوا في أيدي الكافرين، وانتشرت بعدها البشرى بين المسيحيين.

٤٩/ XLIX في العام نفسه دفع جوسلين فدية قدرها ثلاثون ألف تاكنز[١] (Tahegans) للأمير جاولي لإطلاق سراح بلدوين كونت الرّها، وتوجه جوسلين برفقة بلدوين إلى كوغ فاسيل الذي استقبلهما أحسن استقبال وأغدق عليهم الهدايا[٢]، ثم ذهب بلدوين لتشكيل فرقة خيالة من مدينة

كيكوباد وغيث الدين كي خورسو بن كيكوباد، حيث أن أمراء قونية يعتبروا من اقطاعي أرمينيا، كما أن الأرمن اعترفوا بهم بعض الأحيان.

(CF Langlois (victor), Numismatique de L'Arménie; au moyen âge , in-4°.Paris ,1855, P.55-57 et palnches I, n II et 12; II n°1, et IV, n°4.)

وفي الوقت نفسه يجب الإشارة إلى أن م. لنجلويس (M.V.Langlois) قد أخطأ عندما أعطى السلطانين الأب والابن نفس الاسم غيث الدين على الرغم أن الأب كيكوباد يحمل (ibid, palnches, IV, n°.4) اسم علاء الدين وهذا معروف من خلال المؤرخين. وكما هو واضح على عمله هذا الأمير، وبمقتضى ذلك الادعاء استمر أمراء قونية يحملون لقب سلطان أرمينيا، وما من مؤرخ باستثناء متى الرهاوي يذكر هاتان الحملتان للأتراك قونية ضد سليسيا.

1 اختلفت المصادر الأولية في تحديد قيمتها، البرت أكس يذكر قيمتها مائة ألف قطعة ذهبية (Albert d'Aix, in R.H.C-H. occ. Vol. 4.P.648)، بينما يذكر مؤلف سرياني رهاوي أن قيمتها سبعون ألف دينار، مؤلف سرياني رهاوي (زكار)، ج٢، ص ٤٧٠؛ أما ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٦٠، يشير إلى الفدية دون أن يحدد قيمتها.

2 في عام ٥٠٢هـ / (١١٠٨/٨/١١م- ١١٠٩/٧/٣٠م) قام سلطان الفرس غيث الدين محمد بإرسال مودود على رأس جيش لمحاربة جاولي أمير الموصل، حيث كان الأمير

بصحبة ألفٍ من الفرسان وفرقة من المشاة، تلاقى الجمعان على حدود مدينة تل باشر، وتقاتل بلدوين وتنكريد بعنف وبسالة نادرة، بينما انقض الفرس على مشاة تنكريد، حينئذ حمل تنكريد عليهم، فهزم بلدوين وأجبره على الفرار، وانقض بضراوة على جاولي، وضربة بطعنات مخيفة، وقام بمطاردة صفوف جيشه وقتلهم، وفي هذا النهار قضى ألفان من المسيحيين نحبهم في هذه المعركة . عاد تنكريد بعد هذا النصر المتميز إلى مدينة إنطاكية، بينما لجأ بلدوين الهارب إلى قلعة الراوندان[1] (Areventan)، وجوسلين ذهب إلى تل باشر حيث كان في مأمن[2] .

---

[1] ارفنتان(Arévĕntan) قلعة تقع إلى الغرب من الفرات بالقرب من مدينة قورس، والكتاب العرب يسمونها الراوندان [تقع الراوندان إلى الشمال من مدينة قورس على بعد (١٢ كم) في الجهة الشرقية لمجرى نهر عفرين، وهي قلعة صغيرة من أعمال حلب تقع في الجهة الشمالية الغربية منها، وبينهما نحو ٨٨ كم وإلى الجنوب من برج الرصاص الذي يعبر حوض نهر عفرين من الشمال والراوندان من ضمن هذا الحوض . انظر الرويضي، إمارة الرها الصليبية، ص ١١٩ . ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٣٢٤ . ابن شداد: الأعلاق، ج١، ق ٢، ص ٢٢ . Elisseeff, Nikita, Nur-Ad-Din un grand Prince Musulman de Syrie au temps des Croisades (511-569H / 1118-1174), 3 Vol., Damas ,1967,vol.1,P.183-184.

[2] إن الأمير رضوان غضب من جاولي بسبب تدمير ممتلكاته، فطلب من تنكريد نجدة فأرسل له ألف وخمسمائة فارس إفرنجي، وأضاف إليهم خمسمائة فارس تركي [ابن الأثير يذكر ستمائة فارس سوى الرجالة، ابن الأثير، الكامل، ج٩ ،ص ١٢٩] بينما بلدوين وجوسلين قدموا لنجدة جاولي ووقعت الحرب بالقرب من تل باشر، وكانت الغلبة للإفرنج والأتراك بقيادة رضوان، ومات عدد كبير من الكفار، ولم يقاتل الإفرنج بعضهم البعض، ولكنهم صعدوا على ظهور خيولهم وهربوا بواسطتها، بينما بلدوين وجوسلين هربا إلى تل باشر وبرفقتهما عدد من أتراك أرسلهم جاولي لمعالجة جروحهم (ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٣١) . ويشير ابن الأثير إلى تلك

بالحضور مع خمسة آلاف فارس لمساعدتهم في مهاجمة تنكريد كونت إنطاكية بوحشية، بسبب ما قام به تنكريد من اقتطاع للأقاليم التي كانت تعود إليهما، وذلك أثناء وقوعهما في الأسر، ورفضه إعادتها إليهما حيث كان يرغب أن يكون الأميران تابعين له . لقد أرسل كوغ فاسيل إلى أميري الإفرنج قوة من ثمانمائة رجل وفرقة من باتزيناس [1] (Pateinaces) تابعة لإمبراطور الروم، وأقام الجنود في مدينة المصيصة (Mecis)، أن هذه الإمدادات شكلت قوة لا بأس بها . وأثناء ذلك وصل تنكريد بطل المسيح

---

[1] البتزيناس أو البتشينغ شعب من أصل تركي، حدود مواطنهم بين اتل أو الفولقا والجيش أو الباديك (أورال) حسب قسطنطين بروفير جنست . Constantini Administrando imperio.chap.XXXVII في نهاية القرن العاشر قام الأوز بالتحالف مع الخزر الذين يسكنون شير سنوز توريك، وقاموا بمهاجة البتزيناس وأجبروهم على تسليم أراضيهم، ونتيجة لهجرة البتزيناس القسرية انقضوا على الأوز وطردوهم حتى وصلوا إلى ما وراء نهر الدانوب، وجزءاً منهم اختلط مع الأوز والجزء الآخر مر في البلاد التي استولى عليها الأتراك منذ خمسون عاماً وتقاسموا الأراضي الواقعة في المجرى السفلي لنهر دنابريس (دنيبر) آربوريستن، وقد امتدت غزواتهم إلى روسيا الجنوبية، وأزعجت غزواتهم الإمبراطورية البيزنطية، وهي تحت حكم إلكسس كومنين في سنة ٥٣٨ (١٠٨٩/٢/٢٧ - ١٠٩٠/٢/٢٦) وحسب متى الرهاوي قام البتزيناس بنهب تراس (Thrace) ومقدونيا وهزموا الإمبراطورية، ولكن في موقعة ثانية قام الجيش اليوناني من قوة مكونة من ٣٠٠،٠٠٠ رجل جمعوا من قوميات عدة وقاموا بإضرام النيران في العربات التي كان يستخدمها البتزيناس في معاركهم، وحققوا عليهم نصراً مؤزراً، إن ملك البتزيناس مات في ساحة المعركة، وعائلته أبيدت ومملكته أصبحت من مقاطعات الإمبراطورية، ومنذ تلك الحقبة استخدم قادة القسطنطينية جنود البيزيناس في حاميات، خاصة في مدن آسيا . Voir.. Neumann, M.Fred Die volker des Sudlichen Russlands, Leipzig, 1847, P. III

وذلك لأن الإفرنج استمعوا لتلك البلاغات الكاذبة، واستمتعوا بإراقة دماء الأبرياء، وبلغت وشايتهم حداً لدرجة أنهم أرادوا حرمان الأسقف الأرمني السنيور اتين من الرؤيا، وكان السكان يعلمون بأنه لا يوجد ما يعاقب عليه الأسقف فقرروا أن يفتدوه بمبلغ ألف تاهجان[1] .

---

[1] رأينا في ص١٥٧ - ١٥٨ بأن الأمراء اللاتين لم يتعايشوا بحكمة مع أقرانهم الأرمن، والموضوعية تحتم القول أن الأخطاء كانت مشتركة، ولو أن أولئك الأمراء قاموا بابتزاز تلك الشعوب التي سلمت نفسها إليهم وعوملت معاملة المغزوين، فمن جهتم سيكونون مستعدين أن يتحالفوا مع الكفار، وأن يكسبوهم إلى جانبهم. إن سوء العلاقات بين بلدوين البولوني وأهل الرها حصل بعد وقت قصير من تنصيبهم له سيداً عليهم لأن مدينتهم بدأت تعج بالإفرنج وجذب إليها الأمراء أمثل بلدوين دي بورغ، كما أن الرها تحملت جميع النفقات وسارعت في تقديم الخدمات لبلدوين. إن اثني عشر من وجهاء المدينة كانوا مستائين من رؤية مجلسهم مهملاً، وإدارة أعمالهم أصبحت في أيدي الإفرنج، فقاموا بتدبير مؤامرة مع الأتراك سراً فأرسلوا إليهم يطلبون مساعدتهم، لقتل بلدوين وأقرانه أو طردهم. وعندما علم الكونت بلدوين من قبل أحد المتآمرين عن المؤامرة، ويذكره البرت اكس باسم إنكسوه (Enxhu) ويؤكد أنه أوصل إليه تلك المعلومة عن طريق شركائه على أمل أن يقبض على المتآمرين، وقامت عصبة من الفرنسيين (مانو جالورم) (Manu Gallorum) بالقبض على المتآمرين وزجهم بالسجن ثم أمر الكونت بلدوين بنقلهم إلى قصره، وقام بتوزيع ممتلكاتهم الثمينة على أتباعه من الإفرنج. المتآمرون الذين أخفوا الجزء الأكبر من كنوزهم وممتلكاتهم الثمينة عند أصدقائهم في القلاع والمدن المجاورة عرضوا على بلدوين مبلغاً كبيراً من أجل افتداء أنفسهم، وبسبب إسراف وإفراط بلدوين قبل بهذا العرض على ان يأخذ من كل واحد مبلغ (٢٠,٠٠٠) أو (٣٠,٠٠٠) أو (٦٠,٠٠٠) بيزنتاً، بالإضافة للبغال والخيول ومزهريات من الفضة وبعض القطع الثمينة، إن اثنين من المتآمرين فقط نجوا، وآخرين من عامة الناس قطعت أرجلهم وأيديهم، وأخرجوا من المدينة من ثبت تورطه بالمؤامرة ولم يكن دورهم كبيراً، حتى أن حمى بلدوين ثوروس خشي من تلك الأفعال ولم يتجرأ بمطالبة بلدوين بما تبقى من مهر ابنته، فقام بالهرب إلى حصونه الموجودة بين الجبال وبالرغم من الدعوات المتكررة لعودته إلا أنه رفض

عندما علم سكان الرها بهذه الهزيمة عم الحزن بينهم وتأسفوا على بلدوين، حيث اعتقدوا أنه لقى حتفه، عندئذ عقدوا اجتماعاً في كنيسة القديس جون، ترأسه الأسقف بابيوس، أسقف لاتين هذه المدينة للتشاور بشأن مصير الرها لأنهم كانوا يخشون إذا ما سقطت الرها بين أيدي تنكريد فإنه سيضعها تحت تصرف ريتشارد بدون شك، والحقيقة عندما احتل هذه الأخير مدينة الرها تسبب في هلاك العديد من الناس.

اتهم السكان في هذا الاجتماع الأسقف بشدة، وأضافوا قائلين: "ليقوم رجالكم ورجالنا بحراسة القلعة [1] حتى نعرف من سيكون السيد الذي سيحكمنا." وفي اليوم التالي وصل بلدوين وجوسلين إلى الرها، وتحروا عن الأمور التي دارت في الاجتماع، واعتبروها أموراً خطيرة، وفسروها على نحو إجرامي، فقاموا بعمليات سلب ونهب منازل عدد كبير من السكان، وفقأوا عيون كثير من الناس لم يكونوا قد اقترفوا ذنباً، وحكموا بسبب تلك الأحداث على المسيحيين بأقسى أنواع العقوبات،

الأحداث تقريباً بنفس الطريقة، حيث يذكر أن جاولي وضع في ميمنته الأمير اقسيان والأمير النونتاش الأبري وغيرهما، وفي الميسرة الأمير بدران بن صدقة والأصبهبذ صباوو وسنقرداراز، وفي القلب بلدوين وجوسلين. انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٦٥. ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ١٥٣. لبشأن تفاصيل هذه الأحداث، انظر الرويضي، إمارة الرها الصليبية، ص ٣٦٦- ٣٧٤).

1 هذه القلعة ما هي إلا الحصن الموجود في الرها. وكانت تسمى مانياسيس (Maniaces) تخليداً لذكرى جورج مانياسيس، وكان قد أسر واسيئت معاملته في فترة حكم رومان أرجير (Romain Argyre) لفترة طويلة، رغم جهود الأمراء المجاورين الأكثر نفوذاً. CF. Dulaurier, Bibliotheque historique arme'nienne chap. XLIII

لاجتياح أراضي هذه المدينة، وكان برفقتهم نبيل أرمني ينتمي لجيش كوغ فاسيل، وهو ابن داد جاد سيد دارون (Daron) ويعرف باسم ابلاسات (Ablasath) وكان من اكفأ محاربي عصره، ترك كوغ فاسيل أثر مشادات وقعت بينهما وتوجه إلى الرها. وما أن وصلت القوات إلى مشارف حران حتى بدأت تدمر الحقول، فانقض عليهم على حين غرة مائة وخمسة عشر فارساً من الترك قتلوا مائة وخمسين رجلاً من الإفرنج، فهرب الإفرنج لقلة عددهم إلى الرها، أما ابلاسات فصرخ صرخة مدوية، وأعطى إشارة إلى اتباعه فحملوا على الأعداء وعملوا على تفريقهم، فرجع الإفرنج لتقديم العون إلا أن الأتراك أرغموهم على التراجع والانسحاب إلى الرها ثانية، وبالرغم من ملاحقتهم من الكفار إلا أنهم نجحوا في الرجوع إلى المدينة سالمين، ولم يكن ابلاسات مقتنعاً بقيادة الإفرنج فعاد إلى كوغ فاسيل على الرغم من إصابته بجرح في ذراعه، إلا أنه لم يمت لأن درعه حماه من قوة الضربة.

LIII / ٥٣ في العام نفسه أُحتلت مدينة طرابلس الساحلية بعد إحدى عشرة سنة من الحصار، عانى سكانها من الهجمات العنيفة والحصار الشديد الذي فرضه بلدوين ملك القدس وبرتراند (Betrand) كونت سانت جيل (Saint-Gilles) مما دفع سكان المدينة للاستغاثة بتنكريد كونت إنطاكية واستسلموا إليه. وفي الحال شن ملك القدس وبرتراند حرباً على تنكريد، والحقيقة أن زمام أمور حصار طرابلس كان بيد ملك القدس وبرتراند، ولكن بطريرك وأساقفة الإفرنج تدخلوا لإحلال السلام، فسلك تنكريد الطريق إلى إنطاكية، بينما أعدّ ملك القدس أسطولاً لمهاجمة طرابلس، وقام بمحاصرة المدينة براً وبحراً وهاجمها بضراوة، وفي نهاية

L / ٥٠ وفي العام نفسه كان الشتاء قارصاً، ولشدة البرودة هلك كثير من المواشي والحيوانات والطيور في كل مكان، وسقط في بلاد فارس ثلج أسود . وهذه ظاهرة فسرها الحكماء على أنها نذير شؤم لتلك الأمة .

LI / ٥١ في العام نفسه، حدثت معارك طاحنة بين العرب والأتراك في ديار العرب في منطقة تدعى بصرى [1] (Bosra) موطن اتباع سيدنا أيوب (job) . فدافع العرب عن أنفسهم بيسالة وهزموا أعداءهم وجعلوهم أشلاء متناثرة، ومع ذلك قام القائد الفارسي بتجميع قوات جديدة للقيام بحملة جديدة، وبعد قتال شديد استطاع أن يهزم قوات العرب، فعبر منهم خمسون ألفاً نحو مقاطعة حلب ليضعوا أنفسهم تحت حماية تنكريد كونت إنطاكية، فأقاموا هناك بضعة أيام ثم عادوا إلى ديارهم.

LII / ٥٢ في عام ٥٥٨ (٢٢ شباط ١١٠٩م – ٢١ شباط ١١١٠م) حشد بلدوين كونت الرها وجوسلين كونت تل باشر قواتهم وتوجهوا نحو حران

الرجوع أبداً. انظر (Albert d'Aix, V,XVI-XVIII)، وليم الصوري، ج١، ص ٣٧٥ .

1 بُصْرى، أو بصرى مدينة تقع في (I'ldumee) أدوم الشرقية في بلاد ثيمان (Theman)، وقد كانت عاصمة بلاد العرب، تقع إلى الجنوب من دمشق وتدعى أيضاً هورانيتد (Hauranitide)، وكانت في القرن الرابع الميلادي حاضرة بلاد العرب الأولى (CF. Hieroclès,Synecdemus,. P.533) . إن الأسم الدارج للمدينة هو بصرى (وليم الصوري، ج٢، ص ٧٤٣)، [وتعد من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً . ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٤٤١] .

لسفك الدماء، قابل مودود الطلب بترحاب وقام بجمع حشود الأتراك، وتحرك مع قوات هائلة حتى وصل أراضي حران، فاستدعى كونت الرها، فخشي منه ولم يتجرأ المثول بين يديه .

أدرك مودود أن الكونت تخلى عنه، فتقدم زاحفاً تجاه الرها، وفي الحال أوكل بلدوين إلى جوسلين مهمة الذهاب لطلب النجدة من ملك القدس وحثه بالإسراع على تقديم المساعدة . وقد كان ملك القدس مشغولاً في حصار مدينة بيروت التي تقع على ساحل البحر، أثناء ذلك وصل مودود مع جيش غطى كل السهول المحيطة في الرها وحاصر المدينة من كل الجهات ونشر جيشه على الجبال والتلال .

لقد أخضع جميع الشرق تحت رايته ولاذ بالفرار جميع السكان تاركين بلادهم التي أصبحت صحراء، وأثناء ذلك كان المحاصرون يتعرضون لهجمات متواصلة ومع أنهم كانوا يقبضون قبضة رجل واحد لمدة مائة يوم إلا أنهم بدأت أحوالهم تتدهور إلى أبعد حدود، وإلى جانب الهجمات التي كان يجب عليه مساندتها، بدأوا يعانون من المجاعة؛ لأن مداخل ومخارج المدينة أغلقت بسبب حشود الأعداد الكبيرة المحيطة بها، وكان هؤلاء يقتلون كل من يقع بين أيديهم، فتكدست الجثث في الأرياف وجميع الأطراف، واشتعلت النيران في كل شيء ولم يبق مبنى قائماً على حالة . وما قام به مودود من تدمير كان تنفيذاً لأوامر السلطان أمير الشرق[1]، فقد دمر البساتين التي تحيط بالأسوار، وهدم الأديرة المنتشرة في الجبل تدميراً كاملاً حتى أغرقت حرب الدمار هذه مدينة

---

[1] يقصد متى الرهاوي به السلطان محمد (دافار) .

الأمر وجد الإفرنج ثغرة فاشعلوا النيران في المدينة وقتلوا سكانها حتى جرت الدماء كالأنهار، واستولوا على كنوزها من الذهب والفضة، وأخذوا معهم أعداداً لا تحصى من الأسرى إلى بلادهم[1].

LTV / **٥٤** في بداية عام ٥٥٩ (٢٢ شباط ١١١٠م – ٢١ شباط ١١١١م) عاود كونت الرها عداوته ثانية لتنكريد، وكان الحقد والكراهية يملأ قلب بلدوين وجوسلين على تنكريد . وقد راودتهم فكرة غير جديدة بصدورها عن مسيحي، حيث أرسلوا إلى الموصل يطالبون العون من قائد الفرس مودود [2]، وكان مقاتلاً ماهراً وفي الوقت نفسه شرساً ومحباً

---

1 ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٧٦ . أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٤٤ . يحددا تاريخ سقوط طرابلس يوم الاثنين (١١ ذو الحجة ٥٠٢هـ - ١١١٠/٧/١٢م) أما سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي (ت ١٢٥٦م/ ٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، (احداث سنة ١١٠١م - ١١٩٣م/ ٤٩٥هـ- ٥٨٩هـ)، الجزء الثامن، القسم الأول، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند، ١٩٥٠م/ ١٣٧٠هـ.، ج٨، ق١، ص٢٧، يحدد السنة ٥٠٢هـ . ولكن نفس اليوم والشهر السابقين (١١٠٩/٧/١٢م)] ويضيف عبارة أخرى " وقيل في السنة الآتية " ويقصد فيها سنة ٥٠٣هـا . ووليم الصوري، ج١، ص ٥٣٣، يحدد (١٠ حزيران ١١٠٩م) . وحسب المؤرخين السابق ذكرهم أن المدينة استسلمت لملك القدس وبرتراند . وليس لتنكريد، وأعطيت إلى برتراند وبدوره قدم الولاء والطاعة للملك .

2 شرف الدولة مودود بن طغتكين أو التوتاس التونتكين، أرسله سلطان الفرس محمد (دافار) إلى الموصل ليأخذها من الأمير جاولي، فتسلمها الأمير مودود في شهر صفر عام ٥٠٢هـ/ سبتمبر – اكتوبر ١١٠٨م) ابو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٤٣ . [ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٥٧، ٤٥٩] ويسمية وليم الصوري (Menduc) والبرت اكس (Malducus) .

المقدس على رأس رمح وحملوه في مقدمة مقاتليهم، جراء ذلك تراجع الأتراك خدعة منهم بعيداً عن حران لاستدراج المسيحيين إلى أرض مجهولة، ووضعوا لهم كميناً من القوات داخل المدينة للانقضاض عليهم.

أدرك قادة الإفرنج تلك المكيدة فأعادوا أدراجهم وعسكروا في أراضي المسلمين بالقرب من قلعة شيناف (Schenav)[1] التي هاجموها بإقدام وتصميم، وقد علم تنكريد أن هناك مؤامرة من القادة الآخرين تحاك ضد قواته فانسحب مع قواته إلى سميساط وتوقف على ضفاف الفرات، وعلى أثر ذلك انضم الجيش الإفرنجي إليهم وخرج جميع سكان الرها والمقاطعة الذين كانوا محاصرين داخل المدينة حتى النساء والأطفال للالتحاق بالإفرنج.

إن اثنين من الإفرنج اقترفا ذنباً غير مسبوق أثناء تلك الأحداث، فقد استسلما إلى معسكر مودود وارتدا عن الدين المسيحي واعلموهم بأمر هروب وانسحاب الآخرين، فقام مودود باتباع أثرهم، وسفك دمائهم في كل مكان، وقضى على سكان المدينة والأرياف، ووصل إلى ضفة النهر، وقتل كل سكان البلاد الذين صادفهم بوجهه، واحتجز النساء، والأطفال في حين بلغ الإفرنج الضفة المقابلة. إن المؤمنين فرّوا كقطيع النعاج، وعرضوا تحت سكين الجزار، فقد أنزل بهم مودود عقاب السماء حتى أصبحت مياه الفرات حمراء من كثرة الدماء، وغرق كثيرٌ في النهر، أما الأخرون الذين لا يعرفون السباحة فلم يستطيعوا الوصول أيضاً إلى

---

[1] شيناف، قلعة تقع في الشمال الشرقي على مسيرة ٣ ساعات مشياً عن حران. ونرى في ص١٦٢- ١٦٥ أن الأمير العربي الذي كان سيداً لتلك القلعة يدعى ماني، وهو اسم نسخة متى الرهاوي على صيغة مِني.

الرها في الأحزان . وبعد فترة وبفضل حماية الرب، انتزعت بيروت من أيدي المسلمين، وقتل الإفرنج سكانها بحد السيف، وأخذوا الكثير من الغنائم، وقد ساعد جوسلين على احتلال المدينة وأبلى بلاءً حسناً [1] .

سار جوسلين منها على رأس جيش من أجل نجدة الرها برفقة ملك القدس وبرتراند كونت طرابلس، وذهبوا جميعاً إلى تنكريد في إنطاكية، وأقنعوه بعد إلحاح بالموافقة على مرافقتهم، وتابعوا تقدمهم حتى وصلوا بلد الأمير الأرمني كوغ فاسيل الذي أعطى أوامره إلى ميليشياته بالتجهز والتوجه إلى سميساط، وشارك في هذه الحملة القائد الأرمني أبو الغريب [2] (Abelgharib) الذي كان يسكن في مدينة بير [3] (Bir). اجتمعت هذه القوات وشكلت جيشاً كبيراً، وصل إلى أراضي الرها، وبوصول خبرهم لقائد الأتراك مودود رفع الحصار وتوجه إلى حران، بينما وصل الإفرنج إلى أسوار الرها وعسكروا هناك، وفي صباح اليوم التالي ومع بزوغ الفجر تأهبوا لبدأ المعركة، فوضعوا الصليب

---

1 يحدد وليم الصوري، ج١، ص ٥٤٠، تاريخ سقوط بيروت في ٢٧ نيسان ١١١١م، بعد سنتين من سقوط طرابلس، أما فوشيه الشارتري، ص ١٤٥- ١٤٦ يحددها عام ١١١٠، وحسب ابن الاثير، الكامل، ج١٠،ص٤٧٥- ٤٧٦. بدأ الحصار في شهر شعبان ٥٠٣هـ /شباط ١١١٠م. ودام خمسة وسبعين يوماً .

2 أبو الغريب أو أبو الخريب، كان ابن فاساج والحفيد الأخير للأمير غريغوري العظيم من عائلة الأرساسيد من البهلافوني، وكان له شقيق يدعى ليجوس يتكلم عنه متى الرهاوي في الفصل ٧٤ .

(CF. Dulaurier, Bibliotheque historique arme'nienne).

3 بير : وردت في العربية باسم البيرة وهي قلعة حصينة في بلاد الرافدين تقع على الضفة الغربية للفرات وإلى الشمال الغربي من حران وإلى الشرق على مسيرة يوم واحد من قلعة الروم وإلى الغرب من بلدة سروج (أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٦٨).

وقيده بالسلاسل وسجنه في قلعة ايدزياتس [1] (Aidziats) ضمن مقاطعة دارون وعاد الإفرنج يجرون أذيال الخيبة والعار؛ لأنهم كانوا السبب في تدمير المؤمنين بدلاً من إنقاذهم. أما بطل المسيح الصنديد تنكريد، حشد قواته وذهب إلى مقاطعة حلب وهاجم قلعة الإثارب[2] وبعد حصار طويل احتلها وعفى عن حاميتها[3].

من ابن عمه سليمان بن ايلغازي عام (١١٢٣/٣/١م – ١١٢٤/٢/٢٨م) واتخذها مقراً له بعد أن كان مقره قلعة خرتبرت التي تقع ضمن أرمينيا الرابعة إلى الجنوب من الفرات الجنوبي وتدعى اليوم خربوت . انظر الرويضي، إمارة الرها الصليبية، ج٢، ص ٢٣٠، ٤٧٣- ٤٧٤، الرويضي، بلك بن بهرام الأرتقي، بحث منشور في أبحاث ودراسات في التاريخ العربي، منشورات الجامعة الأردنية، ٢٠٠١، ص ١٣١- ١٦٤، وليم الصوري، ج١، ص ٥٩٣، ج٢، ص ٦٢٣].

1 [يقصد بها حصن زياد] .

2 الأثارب، اسمها في الأرمني تيرب، وهي قلعة تقع بالقرب من حلب باتجاه الشمال، حسب البغدادي، مراصد الإطلاع، ج ١، ص ٢١ .[ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٨١، ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٨٩] وتعرف باسم سيريب وسيريبيوم عند وليم الصوري، ج١، ص ٥٨٠، وعند البرت الكس ساريبتا سيرونيروم القديمة (Albert d'Aix,XI, XLIII)

3 ابن الأثير يؤكد تلك الأحداث عام (٥٠٤/١١١٠) حيث أن ألفان من العامة قتلوا على أيدي الإفرنج وسبوا وأسروا الآخرين، وكان تنكريد قد منع وصول المؤن إلى المحاصرين حتى أصبحوا في وضع غاية في الصعوبة، فعملوا حفرة في سور القلعة، لإيجاد مخرج باتجاه معسكر تنكريد، وعندما انتهوا من عمل الفتحة خرج شاب أرمني إلى تنكريد طالباً الأمان، وأخبره بما يحدث في الداخل فاستعد تنكريد للدفاع وقاتلهم بضراوة حتى احتل القلعة، ثم سار إلى حصن زردنا فحاصره حتى احتله وفعل بأهله مثلما فعل بأهل الأثارب [ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٨١- ٤٨٢].

الضفة الأخرى، وأن عدداً كبيراً ألقوا بنفوسهم في القوارب فغرق خمسة أو ستة من تلك القوارب التي كانت مليئة بالناس لأن كل شخص كان يريد الحصول على مكان فيها، وفي هذا اليوم خربت وهجرت كل مقاطعة الرها . هذه الكارثة التي تنبأ بها الأنبياء القدماء في كتبهم "مساكين الذين يصرخون، مسكينة أمة ابجار (Abgar)".أما الإفرنج فوقفوا على الضفة الغربية وراقبوا تلك المشاهد المأساوية دون التمكن من تجنب حدوثها، واكتفوا بذرف الدموع بغزارة. وبعد هذا النصر العظيم عاد مودود إلى حران ومنها إلى بلاده مصطحباً معه حشدا من الأسرى وكثير من الغنائم لا تعد ولا تحصى .

وأثناء تلك الأحداث قبض أمير الشرق الكبير[1] على بلك[2]

---

1 ليقصد متى الرهاوي بالسلطان أمير الشرق الكبير بالأمير سقمان القطبي صاحب أرمينية وميافارقين وخلاط وحصن زيادة، وغيرها من مناطق شمال ديار بكر، وكان قد أسس إمارة له في أرمينيا عندما اتيحت له الفرصة أثر الخلافات بين أمراء الجزيرة الذين الحقوا الدمار والخراب في المنطقة عام (١١٠٨م) وكان قد أحسن لسكان المنطقة بعد ما عانوه في ظل الأمراء الذين سبقوه، انظر تاريخ الفارقي، ص ٢٧٤-٢٧٥ . تاريخ ابن القلانسي، ص ١٦٤ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٧١ . ابن شداد، محمد بن علي (ت ١٢٨٥م/ ٦٨٤هـ)، الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، الجزء الثالث في قسمين، الخاص في الجزيرة الفراتية، تحقيق يحيى عبادة، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨م/ ١٣٩٩هـ، ج٣، ق ١، ص ٤٢٢- ٤٢٣].

2 [نور الدولة بلك بن بهرام الارتقي الذي كان يقيم نيابة عن عمه سقمان بن ارتق في مدينة سروج، وكان يشكل منها خطراً بارزاً على مدينة الرها وأريافها، الأمر الذي جعل بلدوين الأول يعمل على انتزاعها منه . عمل بلك تحت قيادة عمه ايلغازي بن أرتق، وحقق عدد من الانتصارات على الإفرنج رفعت من شأنه وشجعته لتوسيع حركة الجهاد الإسلامي من الجزيرة الفراتية إلى بلاد الشام الشمالية، فاستولى على حلب

من الأسماك الميتة على الشاطئ متجمعة مثل حزم الأخشاب، ولوحظ أن الأرض صار فيها انشقاق عميق ومخيف.

LVI / ٥٦ في سنة ٥٦٠ (٢٢/ شباط ١١١١ – ٢١ / شباط / ١١١٢)

قام مودود باجتياح جديد على رأس جيش من الأتراك، فقد هاجم قلعة تل غوران [1] (Thelgauran) (تل قراد) وقضى على حاميتها بعد أن سقطت بيدية، وقتل أربعين أفرنجيا وجدهم فيها، واستولى على حصن كادتيل [2] (Kaudethil) وواصل إلى شناو (schenow) بالقرب من الأمير العربي ماني، ثم توجه نحو أراضي الرها مروراً بقلعة دوشليمان [3] (Dchoulman)، حيث كان في انتظاره قوات مساندة جلبها الأمير الكبير أحمد يل [4]

---

1 تل غوران أو تل كوران ضيعة محصنة في بلاد الرافدين تقع على مسيرة يومين جنوب آمد (Indjidji, Description de l'Arménie moderne, P.229) . لويعرف باسم تل قراد عن المؤرخين العرب من إقليم شبختان شرق الرها، انظر تاريخ ابن القلانسي، ص ١٧٤؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ١٥٨].

2 كودتيل، ضيعة تقع إلى الجنوب الشرقي من البيرة، على مسيرة ست ساعات في بلاد الرافدين واليوم خربة . [تقع ضمن إقليم شبختان شرق الرها، الرويضي، إمارة الرها الصليبية، ص ٣٩٨].

3 دوشلمان، قرية تقع إلى الجنوب الشرقي من الرها، يسكنها العرب [وهي من ضمن إقليم شبختان شرق الرها، الرويضي، إمارة الرها الصليبية، ص ٣٩٨].

4 أحمد يل بن إبراهيم بن وهسوذان الروادي الكردي صاحب مراغة وغيرها من أذربيجان، تم قتله على يد الباطنية عام ٥٠٨ أو ٥٠٩ أو ٥١٠ (١١١٤- ١١١٦)، [ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥١٦] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص ٥٣ . أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٠٨ . انظر ذكر وفاته عن طريق Quatremère(Étienne), Mémoire sur les Ismaëliens, dans les Mines de L'Orient, t.IV في أطروحته عن الإسماعيلية، مجلد ٤، ويحدد تاريخ وفاته ٥٠٩ أو ٥١٠ (١١١٥- ١١١٦).

LV /٥٥ في العام نفسه هاجم الأتراك مقاطعة عين زريه ودمروا كل شيء فيها حتى بلدة مرعب (Marabe) . إن القائد الأرمني العظيم ثوروس ابن قسطنطين بن روبين اتخذ موقف الدفاع في وجه الفرس ولم يخاطر بمقاتلهم، وأخذ الأتراك معهم عدداً لا يحصى من الأسرى وكثيراً من الغنائم، وقفلوا راجعين إلى بلادهم بعد أن دمروا كل شيء رأساً على عقب.

وفي السنة نفسها حدثت ظاهرة رهيبة في أرمينيا في مقاطعة فاسبورغان[1]، حيث شهد في يوم من أيام الشتاء منتصف ليلة ظلماء ضوءا سطع من أعلى قبة السماء مرسلاً ألسنة من اللهب، هذه النار سقطت في بحر فاسبورغان[2]، فارتفعت أمواج البحر وهاجت تدوي بخوار عظيم وضربت النار الشواطئ، وجعلت الأرض تهتز بعنف، وغطت النار سطح البحر حتى أخذ لوناً أحمراً كالدم، ولوحظ في الصباح أكواماً مكدسة

---

1 فاسبورغان [بسفرجان]، واحدة من خمس عشرة مقاطعة في أرمينيا الكبرى، وكانت هذه المقاطعة مترامية الأطراف يحدها من الشرق بيرسارميني، ومن الجنوب بلاد جوردجايك وإلى الغرب دوروبيران ومن الشمال مقاطعة أراراد . (انظر ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ١٦٠، ٤٢٢) وتعرف عند البيزنطيين أسبراكانيا، أسبُراكان، فسبراكان.

2 ان بحر فاسبورغان يسمى باسم المقاطعة التي يحدها من الشرق، ويسمى من قبل الأرمن باسم اغثامار او بزنونيك وأرسيسابلوس عند القدماء والآن يعرف باسم بحيرة فان .

(CF. Koch (Karl), Karte von dem Kaukasichen Isthmus und von Armenien, en 4 feuilles. Berlin, 1850)

أثناء ذلك مات سقمان أمير الشرق فجأة في الطريق، وكانت هذه الميتة التي يستحقها، كتبها له الرب لمعاقبته على جلب الدمار والموت لمقاطعة الرها [1] .

LVII / ٥٧ وفي هذه السنة انتقم الرب إلى الدم البرئ الذي سفك، بمعاقبة قتلة كاكيج (kakig) وشاهنشاه بن اسشود البجراتيد، وكان انتقام الرب على يد الأمير الأرمني ثوروس بن قسطنطين بن روبين . وكان قتلة كاكيج ملك أرمينيا يسكنون في عهد ثوروس قلعة جونتروس جافيس [2] (Guentrosgavis) ، وكانت هذه القلعة محاطة بشخصيات قوية

اعترف بشرعية ذلك الإدعاء: بقراط سيد الراواندان، وكوغ فاسيل أمير كيسون، والأمير أوشين أمير لامبرون، والأمير روبين ثورس الأول (ليون الأول) ويذكر البيرت اكس قائمة اسماء امراء المسلمين : الامير مودود والأتابك طغتكين و أحمد يل الكردي و سقمان القطبي وبرسق بن برسق، وأمراء آخرون، ويحدد البرت اكس نهاية اجتياح الأمير مودود للبلاد في ٢٩ أيلول، ويذكر ابن العديم أن قوات حلفاء المسلمين خلال تقدمها نحو إنطاكية وصلت إلى معرة النعمان في ٢٩ صفر ٥٠٥/ ١١١١/٩/١٤م) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٧٠ .

1 سقمان القطبي شن حملة على حلب مع عدد من الأمراء والحلفاء إلا أن المرض الذي أصابه أمام المدينة جعله يقفل راجعاً، فمات في بالس، فوضعه اتباعه في تابوت لنقله إلى بلاده، ولكنهم فوجئوا بهجوم من ايلغازي، فقاموا بالكر عليه وهزموه وانتزعوا منه الغنائم التي كانت بحوزته وذلك عام (٥٠٥هـ / ١١١١/٧/١٠ – ١١١٢/٦/٧م) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٨٦) .

2 قلعة جونتروس جافيس أو جيزيس دارا هي نفس قلعة كيفسترا التي يذكرها الجغرافي سترابون Strabon(Strabon, Géographie, éd. Dübner et ch. Müller, dans la Bibliothèque des auteurs grecs de Didot ,XLL,1) ويحدد مكانها على بعد ٣٠٠ ستاد من قيصيرية وبالقرب من طيان عند جبال طوروس عند توجهنا نحو بيلا سليسيا ، حيث يقع ممر جوجلاج (Coglaguus) وتعرف اليوم

والسلطان أمير الشرق [1] وأبناء برسق[2] [ابن برسق] اجتمع هؤلاء وتوجهوا إلى الرها ، وبعد قضاء بضعة أيام حولها ، توجهوا إلى سروج، ثم عبروا نهر الفرات حتى وصلوا قبالة قلعة تل باشر وكان يقيم خلف أسوار تلك القلعة الكونت الإفرنجي الصنديد جوسلين، وقد ضايق الأتراك بأعدادهم الكبيرة وبهجماتهم المتكررة المحاصرين داخل القلعة ، إلا أنهم فشلوا . إن الأمير الفارسي أحمد يل كان يسمع منذ زمن طويل عن شجاعة جوسلين فعقد معه صداقة حتى أصبح كالأخوين، ومن هناك سار مودود مع القوات الفارسية باتجاه إنطاكية وتوقف في مكان يدعى شيزر [3]، عندها جمع تنكريد حوله كل الإفرنج فالتحق به بلدوين ملك القدس، وبرتراند كونت طرابلس، وبلدوين كونت الرها ، التقى الكفار والمسيحين في شيزر ولكنهم لم يتقابلوا ، فانسحب مودود سراً إلى بلاده، وعاد الإفرنج أدراجهم بسلام [4] .

---

1 يقصد متى الرهاوي سقمان القطبي، وابن العديم يؤكد أن سقمان القطبي شارك في الحملة آنفة الذكر [الحملة الأولى للأمير مودود]، ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ١٥٤ . [تاريخ ابن القلانسي، ص ١٦٩] .

2 برسق أحد أبناء برسق الذي رافق السلطان طغرلبك والشحنة الأولى في بغداد . [أبناء برسق بن برسق الذين شاركوا في الحملة هم إيلبكي وزنكي، وكان لهما همذان وما جوارهما ، انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٨٥] .

3 شيزر، مدينة سورية تقع على النهر العاصي إلى الشمال الغربي من حماه، وكانت تعرف قديماً باسم لاريس، كاسارا ، انظر وليم الصوري، ج٢، ص ٦٩٥- ٦٩٧ . وفي اليوناني سيزر، سيتز عند (Nicétas, historiæ Byzantinæ) نيكتس كونيتس.

4 يعطي البرت اكس عند ذكره للحملة قائمة باقطاعيين إمارة إنطاكية الذي جاءوا لنجدة تنكريد ، ويذكر من بينهم قادة سليسيا من الأرمن ويعني ذكرهم أن أمراء إنطاكية نظروا إليهم كأسياد لأولئك القادة، ومما لاشك فيه أن التاريخ اللاتيني

بينما تظاهر ثوروس أمامه أنه ذاهب إلى دياره، وما أن توارى القاتل عن الأنظار، ورجع ثوروس أدراجه مع قواته وتقدم أثناء الليل إلى أسوار القلعة، ووضع كمائن من المشاه، وتوارى مع فرسانه في الأرياف للقيام بغارة مع طلوع الفجر . وعندما نزل جنود الحامية وجدوا أنفسهم أمام جنود ثوروس، فهربوا متسلقين التلة التي تربض عليها القلعة وجنود ثوروس تلاحقهم، فقام الجبناء بإغلاق باب القلعة، إلا أن جنود ثوروس قاموا بضرب الباب من الخارج، وفي الوقت نفسه بدأوا الهجوم وأشعلوا النيران على السقف، وأخذ اللهب يشتعل بقوة، وعندما شاهدت الحامية من الداخل الحريق قاموا بإحداث فتحة من الجانب الآخر، وأخذوا بالهروب منها، وفي وقت قصير استولى جنود ثوروس على القلعة، وقاموا بأسر الجبناء، وحينها ذهب الجنود إلى ثوروس يحدثونه عن هذا النصر الذي فاجأه وأسعده، وكان أول شيء قاموا بالبحث عنه عند دخولهم القلعة، الخزينة، لأن ذهب وفضة البلاد كدست فيها. فقال ثوروس لأبناء ماندال: "ارجعوا إلي سيف وملابس كاكيج ملك أرمينيا ". فأطاعوه وأعطوه ما أراد، وحينما رأى تلك الأشياء ذرف ومن معه الدموع بغزارة، ثم طلب منهم أن يدلوه عن مكان الكنوز إلا أنهم رفضوا، فأمر بتعذيبهم أحد الأخوة الثلاثة توسل إلى ضابط أرمني أن يأخذه إلى مكان زلق حتى يتمكن من سكب الماء وقد انتهز تلك الفرصة وقام برمي نفسه من على صخرة عالية فتقطع أشلاءً، وأمر ثوروس بتعذيب واحد من الاثنين اللذين بقيا لأنه قال باستعلاء : " أنت أيها الأرمني، نحن أسياد الرومان، ماذا ستجيب قائدنا بتعذيبك رومانيا ؟ اغضب هذا الكلام ثوروس فتغير لون وجهة، وأخذ بقبضته مطرقة وضرب اليوناني صارخاً " وأنتم والآخرون منكم من تكونوا حتى تقتلوا البطل

أسوارها مرتفعة ومنيعة من جميع الجهات . إن أبناء ماندالي (Mandale) الثلاثة لا يزالون على قيد الحياة، وكان أحدهم متحالفاً مع ثوروس، ونتيجة للعلاقة الحميمة التي تربطهم، وعدوا ثوروس أن يسلموا له القلعة، لأنها تقع من ضمن ممتلكات ثوروس بجوار قلعة تدعى تزيغن دشور (Tzeguen-Dchour) (نهر السمك) مقابل جبل كامير (kamir) (كبادوس) . ذهب ثوروس مع فرقة ضعيفة لزيارتهم وعندما وصل إلى أراضيهم أعلمهم بوصوله، فقام أحد القتلة، وكان قد أَخرج من السجن، وأرسل لاستقبال ثوروس، فاستقبله أحسن استقبال وقدم لثوروس هدية خنجراً، وثياباً ثمينة، وزوده بالماء والطعام معاً، عندها قال له ثوروس : "لديّ وعد منكم، بتسليمي القلعة، سلموني أياها وعندما أرجع تستطيعون أن تختاروا المكان الذي يناسبكم من ممتلكاتي "،ولكن الاخر أنكر كل شيء وقال له : " نحن لا نستطيع أن نسلمك القلعة لأنها إرث آبائنا ومسكن عائلتنا " . أدرك ثوروس حينها أنهم خدعوه فرد الهدايا وأضاف قائلاً: " اذهب وارجع إلى ديارك ومن الآن احذروا مني " . ذهب القاتل[1]،

باسم كولك يوجا، وسيسرون، Cicéron, Epistolæ ad Atticum et ad familiares , dans L'édition de J . Casp . Orelli , Zurich , 1826-1837. V,epist, 18 يحدد موقعها في منطقة كبادوس بالقرب من جبال طوروس . وفي الجدول التاريخي لهيثوم كونت جوريجوس Aucher,le R.P. Jean-Baptiste, Traduetion arméninne de la relation des Tartares de Héthoum P.J.B.) المنشور من قبل . (Haythonus monachus), in-8°.Venise.1842 (Aucher في ترجمته الأرمنية لتاريخ التارتار (Tartares) يحدد موقع قلعة جينتروسجو .

[1] يصف الرهاوي قاتل كاكيج (II) بقاتل الرب، حيث أنه يقارن بين قتل الملك وصلب اليهود للمسيح .

ومنه نزل وتوجه إلى سانت مارتر (Saint -Martyrs) [القس الشهيد] ليس بعيداً من السور . أما بطل المسيح المنتصر الكونت جوسلين فتقدم على رأس ثلاثمائة فارس ومائة من المشاة باتجاه سروج ودخلها، وبسرعة قام الأتراك بملاهاتهم من إحدى زوايا المدينة بقوة قوامها ألف وخمسمائة فارس يوم سبت إلياس.[1] "انقض عليه جوسلين وهزمهم، وأسر خمسة من قادتهم واستولى على أمتعتهم ففر الكفار وتوجهوا نحو مودود في الرها، وعندما علم هذا الأخير بالخبر تقدم باتجاه جوسلين في سروج لكن جوسلين غادر خلسة إلى الرها ودخلها وأقام مودود سبعة أيام في سروج ثم قفل راجعاً إلى الرها، فلحق به بعض الخونة [2] على الطريق، وقالوا له : "اصفح عنا ونسلمك مدينتنا اليوم " لقد فرح كثيراً بذلك الاقتراح، وكان هؤلاء الناس قد عانوا من شدة المجاعة، ويبدو أنهم من شدة الضيق لم يدركوا ما كانوا يفعلون فقاموا بإرشاد مودود أثناء الليل مع خمسة من رجاله وسلموا له الرها، وقاموا بإيصالهم إلى البرج الذي يشرف على المدينة من الجهة الشرقية، وقام الرجال الخمسة بالسيطرة عليه، ثم استولوا على برجين آخرين، ولكن الرب لم يُرد الخسارة للمخلصين له فأرشد جوسلين قبل ذلك لنجدة الرها، المدينة المباركة، إن هذا الشجاع بطل الرب قام

الشمالي لهذه المقاطعة كان مأهولاً بشعوب همجية وحسب التقاليد ينحدرون من الأشوريين، هاجروا إلى تلك الأماكن أي أرمينيا بعد أن قتل آباءهم ادراملك وسرازار أبناء سنحاريب ملك آشور CF. Moise, Histoire d'Arménie, I.XX III.

1 إن سبت الياس هو الأسبوع الذي يأتي بعد عيد العنصرة (عيد الخمسين) وخلال الأسبوع يراقب الأرمن موعد حلول الصوم ويسمونه أسبوع النبي إلياس، في هذه السنة جاء عيد العنصرة في ٦/٩ وسبت إلياس في ٦/١٥ .

2 [انظر تفاصيل هذا الخبر عند مؤلف سرياني رهاوي، زكار، ج٢، ص ٤٧٣- ٤٧٥] .

ملك أرمينيا المقدس، وماذا سيكون جوابكم لأمة الأرمن؟". واستمر في تعذيبه منتزعاً منه تأوهات حتى هلك . لقد انتصر ثوروس بفضل الرب، والعدالة الإلهية لم تترك قاتل كاكيج من غير عقاب لأنه ينحدر من سلالة جدة روبين، وبعد أن أوكل لجنده مهمة حراسة الحامية التي أصبحت تحت سيادته أمر بمصادرة جميع أملاك أبناء ماندال وكنوزهم التي اشتملت على أقمشة منسوجة بخيوط ذهبية وصلبان من الفضة بأحجام كبيرة وتماثيل مصبوبة بالذهب، وحمل تلك الغنائم الثمينة إلى قلعة فاهقا (Vahga) مصطحباً معه بعد أن أوكل إلى قواته مهمة حماية القلعة التي سقطت بين يديه

LVIII / **٥٨** في سنة ٥٦١ (٢٢ شباط ١١١٢ – ٢٠ شباط ١١١٣) حشد مودود هذا الحيوان المفترس مصاص الدماء قواته وتقدم بها إلى الرها في وقت لم يكن يتوقع فيه حصول مثل هذا الشيء، ظهر فجأة أمام المدينة في اليوم الذي تلى عيد الفصح وهو يوم عيد الأموات الذي يصادف بداية شهر سهمي[1]، وصول مودود قبالة جوبين (Goubin) ومنها إلى أبواب الرها مع جميع قواته، وأقام ثمانية أيام ثم عاد إلى قمة جبل ساسون[2] (Sacoun)

---

1 يوم عيد الفصح وأعياد أخرى مثل عيد الغطاس، تجلي المسيح، صعود العذراء، ارتفاع الصليب ؛ جميعها في الكنيسة الأرمنية، مكرسة للصلاة من أجل الموتى . في عام ١١١٢م صادف عيد الفصح في ٤/٢١ واليوم التالي ٤/٢٢ صادف الاثنين يوم الأموات يوافق اليوم الأول من شهر سهمي في السنة الأرمنية ٥٦١ والتي تبدأ في يوم ١١١٢/٢/٢٢م .

2 ساسون أو ساسونك لفظ بالعامية لكلمة سانسونك، وهو اسم مقاطعة جبلية مهمة في بلاد ما بين النهرين الأرمنية الواقع في إقليم أغي تزنيك (Aghetznik) والجزء

(Mecour) بالإضافة إلى توريد [1] (Thourer) وأورمين[2] (Ouremen) وبعدها رجع تنكريد بهدوء إلى إنطاكية .

LX / ٦٠ في السنة نفسها في ٢٤ من شهر أرك (السبت ١٢/١٠) مات الأمير كوغ فاسيل، لقد كانت وفاته خسارة، وعم الحزن في كل أمتنا[3]. وكان قد تجمعت عنده كل فلول الجيش الأرمني، وقوات البجراتيد والبهلافوني، وضم بلاطه أمراء من أصول ملكية، ونبلاء عسكريين من الأرض عاشوا بسلامٍ وأمن وشرف عائدٍ على رفعة منزلتهم، وانتقل مقر البطريركية إلى داخل ولاياته، وتجمع الرهبان والأساقفة والخوارنة والأطباء من حوله، وأمضوا حياتهم عنده وعوملوا معاملة حسنة، وبعد موته دفن هذا الأمير في جارمير فانك (Garmir-Vank)، وكان أبوه الروحي ومرشده السنيور بازيل بطريرك أرمينيا؛ وكمصاريف لجنازة تناسب مكانة فاسيل استلم الدير ألف تاهجان (Tahegans) وخصص مائة وخمسين أو أكثر للقداس والصلوات، وأعدت ولائم من الطعام دون انقطاع للفقراء. تلقى تنكريد هبات كثيرة من الأشياء الثمينة حملت إليه من بيت فاسيل كالفضة والأقمشة المقصبة بالذهب وخيول وبغال، وأرسل

انظر ابن العديم، بغية الطلب، ج١، ص ٢٤٩ . أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٦٤-٢٦٩ . ابن شداد، الأعلاق، ج١، ق ٢، ص ٤١].

1 توريز، مدينة تقع إلى الجنوب الغربي من حصن منصور Tchamitch , Histoire d'Arménie, t.III, index

2 أورمين، مدينة تقع شمال نهر الفرات Tchamitch , Histoire d'Arménie, , t.III, index

3 [يقصد متى الرهاوي الأمة الأرمنية].

فجأة يساعده الكونت بلدوين على رأس جيش من الإفرنج ووصلوا إلى أسوار المدينة من أجل مقاتلة الأتراك، لقد هاجم البرج بقوة وبسالة، وقام برمي الكفار من فوق الأسوار، وقتل أيضاً الخونة الذين سلموا البرج والأعداء الذين تمركزوا فية . أنقذت شجاعة جوسلين وقواته في هذا اليوم مدينة الرها وقام هذا الأمير يمتلكة الغضب بسبب الوشايات الدنيئة بسفك دماء بريئة من سكان المدينة، فقتل، وحرق وعذب الكثير منهم، وقد كان هذا الظلم أمر فضيعاً بنظر الرب . أما مودود فك الحصار وذهب إلى حصن تل موزن [1] واستولى عليه، ومنه توجه إلى خراسان يجر أذيال الخيبة والعار .

LIX / **٥٩** وفي السنة نفسها قام تنكريد كونت إنطاكية بحشد قواته وتوجه إلى أمير أرمينيا كوغ فاسيل، وقام بمهاجمة رعبان وبعد هجمات قوية احتل المدينة، ومنها توجه إلى كيسوم وتوقف عند أطراف السهول الداخلية بالقرب من ثيل (Thil)، وقام فاسيل من جانبه بحشد خمسة آلاف رجل، ومرت عدة أيام ولم يتقاتلوا وبعدها تصالحوا، وتحقق السلام وأعاد فاسيل رعبان إلى تنكريد، وأخذ فاسيل مقاطعة حصن منصور [2]-Macan)

---

1 تل موزن، مدينة قديمة مهدمة، تقع بين رأس عين وسروج على مسافة عشرة أميال من رأس العين البغدادي، مراصد الاطلاع، ص٢١٣ لوتل موزن من ضمن الحصون الواقعة في إقليم شبختان، شرق الرها، انظر : الرويضي، إمارة الرها الصليبية، ص ٤٠٩].

2 [حصن منصور، بني في مستوى من الأرض على نهر صغير يرفد الفرات من الشمال، وهو إلى الشمال من نهر سنجة (الأزرق)، وسميساط تحيط به من الشمال والغرب جبال السلسلة وهي الحد الفاصل بينه وبين ملطية، وللحصن أرض واسعة وقرى عامرة

تقياً، ورعاً، شخصية معطاءة مليئة بالإحسان، وكان شخصاً لا يكل من عمل الخير للمسيحيين، وكان متواضعاً مع الآخرين، وشديد العدل في تطبيق التعاليم الإلهية، توفي تنكريد في إنطاكية وتم دفنه في الكنيسة الرئيسية للمدينة، كنيسة القديس بطرس التي وضع أساسها في السابق الرسل، القديس بطرس والقديس بولص، وبناءً على رغبته قاموا بتنصيب ابن أخته روجر [1] خليفة له، وكان محارباً مقداماً، وقام البطريرك وجميع قادة الإفرنج بتنصيبه على العرش، ومنحوه حكم إنطاكية .

وفي السنة هذه قتل الأتراك قائدين من قادة جيش فاسيل : تيغران العظيم،وأبلاسات في بلاد ليون حفيد روبين [2] .

LXII / ٦٢ في سنة ٥٦٢ (٢١ / شباط ١١١٣ – ٢٠ شباط ١١١٤م)

تقدم الأمير مودود قائد الفرس السفاح على رأس جيش لا يعد ولا يحصى لملاقاة الإفرنج، فوصل إلى حران مدينة المسلمين، وكان بلدوين كونت

---

1 روجر، ابن ريتشارد دو برنسيبا ابن عم شقيق تنكريد، لقد حكم إمارة إنطاكية خلال فترة القصور الشرعي لابن بوهيمند، وليم الصوري، ج١، ص ٥٤٧.

2 ليون الأول كان شقيق ثوروس وابن قسطنطين بن روبين، ثوروس مات من غير أن يترك أولاداً فخلفه ليون عام ١١٢٩م، وحسب كلمات متى الرهاوي (بلاد ليون) فإنه يعني به سليسيا التي كانت تسمى من قبل العرب في زمن الحروب الصليبية بلاد ابن لاون أو بلاد الأرمن المعروفة الآن ببلاد سيس ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٣ . أبو الفدا، المختصر، ص ٤٥ . Reinaud (Toussaint), Chroniques arabes, dans la Bibliothèque des croisades de Michaud. 4 partie,in-8°.Paris, Imprimerie royale, 1829.P. 257. Anville (D'),géographie ancienne abrégée, gans ses Oeuvres complgtes, e'd. de Manne, t.II.in-4° t.II.P.95.

تاج زوجة فاسيل إلى زوجة تنكريد، وحصل حكام الأقاليم الأخرى على كمية كبيرة من الهدايا، وطال الفقراء حظ وافر من تلك العطايا .

أعطيت إمارة فاسيل إلى فاسي دغا (الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب) [1]، وكان يافعاً يتمتع بمعرفة عالية بهي الطلعة، فطن، راجح العقل، مقاتل شجاع، كان عمره ٢٥ عاماً، وتم تتويجه وجلوسه على عرش فاسيل، وأعلن الجيش ولاءه له، ودعا السنيور باسيل مجلس الشعب للإجتماع وسلمهم جميع السلطات، وهذا بث السعادة في أرجاء الأمة الأرمنية .

LXI / ٦١ في السنة نفسها في ١٨ من شهر ماريري (الخميس ١٢/٥) مات مسموماً أعظم مؤمن، تنكريد كونت إنطاكية [2]، وكان رجلاً

---

1 جملة توراتية منسوخة عن إنجيل يوحنا (١٨/١) وتعطي المعنى هنا كابن حقيقي وشرعي، أي أن فاسيل دغا، ورث كوغ فاسيل الذي تبناه واعتبره ابنه .

2 إن صموئيل الآني وجيراجوس مؤرخان من القرن الثالث عشر كتبا سيرة تنكريد، يؤكدان أن تنكريد مات مسموماً على يد بطريرك إنطاكية، أن المركز الذي يحتله برنارد دوفالنس أسقف أرتا (Arta) في إبير (Epire) وحتفظ به حتى عام ١١٢٩م، وكان قد التحق بالحملة الصليبية بصفة كاهن . أما القاصد الرسولي ادهيمار دومونتيل أسقف بُي (Puy) . ويذكر أبو الفدا، توفي باسيل الأرمني صاحب بلاد الأرمن، فقصدها صاحب إنطاكية الإفرنجي ليملكها فمات في الطريق وملكها سيرجال . أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٤٥ . ويحدد فوشيه الشارتري وفاة تنكريد يوم ١١/٢٦ بالعبارة الآتية " وقد رأت الشمس إشارة البرج ثلاث عشرة مرة مضاعفة . انظر فوشية الشارتري، ص ١٥٠ .]ابن الأثير يذكر رواية مشابهة لرواية أبي الفدا غير أنه يحدد تاريخ وفاة تنكريد، ٨ جمادي الآخرة ٥٠٦ هـ، وأن الذي ملك إنطاكية بعد تنكريد ابن اخته سرخالة، انظر ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٣[.

العظيمة صحراء جرداء، كأرملة، هذه المدينة التي كانت في السابق كالأم جمعت الكل من شعوب مشتتة، وممن ذهبوا مع الصليب لاستقبال الإفرنج عندما أتوا يتوسلون إليهم، والآن كان جزاء مدينة الرها على ما قدمته من جزيل العطاء، تلك الأعمال المشينة والإساءة للمؤمنين.

LXIII / ٦٣ في الفترة هذه كان الأتراك قد استقروا في حران، فقاموا بعبور الفرات وتقدموا باتجاه القدس بقوات هائلة لمهاجمة ملك مدينة القدس وكل أمة الإفرنج وعلم بلدوين بنبأ هجوم مودود. ونعلم أن بلدوين توقف على حدود مملكة القدس ويحمل العار من خيانته لسكان الرها، فكتب أمراً بإعادة السكان إليها، وخلال ثلاثة أيام عاد الجميع إلى منازلهم.

عسكر الكفار بالقرب من مدينة طبريا ليس ببعيدٍ عن بحيرة طبريا، وأرسل ملك القدس يطلب المساعدة من روجر كونت إنطاكية، ومن ابن سانت داجيل [1] كونت طرابلس، ومن كافة قوات الإفرنج، واستجاب جميعاً للنداء، في حين قامت قوات القدس المتعجرفة بالتقدم باتجاه قوات الأتراك لكي تتجنب وصول قوات إنطاكية وحتى تحظى بشرف النصر ولكن الرب غضب من ذلك التصرف المغرور، فالتحم الجيشان، وهزم الأتراك المسيحيين وجعلوهم يولون الأدبار، وقتلوا العديد

---

[1] إن كونت طرابلس الذي يتحدث عنه متى الرهاوي هو بونز ابن برتراند وحفيد ريموند دوسانت جيل، وعليه فإن متى أخطأ بتسميته ابن سانت جيل لأن برتراند مات عام ١١١٢م، وأن بونز تزوج من سيسليا أرملة تنكريد وهي البنت الصغرى لـ فليب الأول، ملك فرنسا، وذلك حسب رغبة تنكريد في لحظاته الأخيرة من حياته [انظر وليم الصوري ،ج١، ص ٥٤٧].

الرها في أثناء ذلك موجوداً مع قواته في مدينة تل باشر . أن بعض الإفرنج وهم أناس مفسدون، اعتادوا على اجتزار الشر فقاموا باختراع الأكاذيب وقالوا للكونت إن هناك مجموعة من السكان اتفقوا على تسليم الرها إلى الأتراك، فصدق الكونت تلك الافتراءات واستمع لكلام تلك الألسنة الكاذبة، فقام على الفور بارسال بابين [1] كونت سروج إلى الرها، وأمره باخراج جميع سكانها حتى لا يبقي أحد منهم فيها . وفي نفس اليوم قاموا بقتل الأبرياء من الناس الذين لم يكن بمقدورهم مقاومتهم، وعاملوا الناس وكأنهم جميعاً مذنبون .

في العشرين من شهر سهمي، يوم الأحد، وقت الظهيره [2] حدثت في الرها كارثة كبيرة ؛ الأب أنكر ابنه ونبذ الابن أباه فعم الحزن والدموع والعويل والتأوهات كل مكان، وانتشر في كل بيت الحداد والألم واليأس وصرخات الباكين. فقد أخرجوا السكان من منازلهم وطردوهم من المدينة وأمروا بحرق الذين بقوا مختبئين في منازلهم ولم يبق أحد باستثناء أربعة رجال لجأوا في المساء إلى كنيسة القديس تيدور التي كانت محصنة داخل القلعة تحت حراسة الجنود . لقد كان يوماً عصيباً على الرها وما من أحد شاهد تلك المصيبة إلا ورثى نفسه وقدره، ولم يتبق فظاعة إلا وارتكبها الإفرنج .

إن هذا يتوافق مع ما ذكره الرسل القدماء " الويل لشعب ابجار"، نفي أولئك التعساء المبعدون إلى سميساط . وأصبحت الرها تلك الحاضرة

---

[1] يذكره البرت باسم (Albert d'Aix, XI, XL. Paganus de sororgia) .

[2] ٢٠ من شهر سهمي في السنة الأرمنية٥٦٢ يوافق ٥/١١ من التقويم اليولوسي .

وبينما كان يقيم مودود في دمشق راودته فكرة قتل طغتكين أمير المدينة للاستيلاء عليها، وعندما وصل أمر تلك المكيدة إلى مسامع الأمير، أخرج سجينا محكوما عليه بالإعدام من أصل فارسي، ووعده بالعفو والتكريم إن قتل مودودا، وأعطاه في نفس الوقت خمسمائة تاهجان، وعند خروج مودود من المسجد الذي ذهب إليه لأداء الصلاة وبينما كان مودود واقفا في وسط صحن المسجد بالقرب من عمود أحمر تقدم الفارسي نحوه وطعنه في خاصرته اليسرى فأرداه قتيلاً، هكذا كانت نهاية ذلك الوحش المفترس، أما القاتل، فقد تم قتله في نفس المكان بلا رحمة، ورجعت قوات مودود إلى بلاد فارس[1].

١٥١- ١٥٢ يحدد تاريخ المعركة ١١١٣/٦/١٢م. حيث يذكر " طلعت الشمس ثلاثة أضعاف الأربعة في برج السرطان، عندما بعثر هذا الجنس الذي لا دين له، الفرنجة غير المؤمنين". أما ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٩٦، وأبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٤٦ يؤكدان حدوث المعركة في ١٣ محرم ٥٠٧هـ / ١١١٣/٦/٣٠م) . وأن المسلمين عادوا إلى دمشق في شهر ربيع الأول (أيلول – تشرين أول) . انظر ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٣٤. [بشأن تفاصيل أدق، وبيان تضارب الروايات حول حملة الأمير مودود لأراضي مملكة بيت المقدس، انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٩٥- ٤٩٧ . تاريخ ابن القلانسي، ص ١٧٨- ١٨٨ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص ٤١- ٤٣، ٥٠- ٥١. ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ١٦٣- ١٦٤. انظر فوشيه الشارتري، ص ١٥١- ١٥٣. Alberti Aquensis, in R. H. C-H. occ. Vol. 4, p.694-696 أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٤٦ . وليم الصوري، ج١، ص ٥٤٧- ٥٤٩].

[1] حسب ابن الأثير وأبو الفدا وابن خلكان، قتل مودود من قبل باطني أو إسماعيلي وقت خروجه من الجامع الكبير في دمشق يوم الجمعة (١٢ ربيع ثاني ٥٠٧هـ/١١١٣/٩/٢١م) وقتل الباطني على الفور ومن أجل التعرف عليه قاموا بقطع رأسه وأرسلوه إلى جهات مختلفة إلا أنه لم يتعرف عليه أحد . [انظر ابن الأثير، ج١٠،

من قادتهم الكبار، وأبادوا كل مشاة الإفرنج، وقام أحد الكفرة الشجعان بالانقضاض على ملك القدس وضربه بالسيف على كتفه لكن الرب نجاه، وأثناء ذلك وصلت قوات إنطاكية وطرابلس، وعندما رأوا الأتراك يعاملون الإفرنج بقسوة أحمر وجه روجر كونت إنطاكية وانقض كالأسد عليهم فدحرهم، وأنقذ ملك القدس وجيشه، وبعد ذلك عسكر الكفار على منحدر جبلي لتنتهي بذلك المعركة. وبعد توقف دام عدة أيام انسحب مودود إلى دمشق، بينما عادت جيوش الإفرنج المختلفة كل منها من حيث أتت [1].

---

[1] اجتمع المسلمون وفيهم مودود صاحب الموصل، وتميرك صاحب سنجار، والأمير أياز ابن ايلغازي وطغتكين، وساروا لمحاربة الإفرنج، فتركوا إنطاكية على يمينهم وأخذوا الطريق المحاذي لمدينة أفامية ودخلوا سوريا ومروا إلى اليسار من دمشق، وتوغلوا في أراضي فينيقيا (لبنان) وساروا ما بين صور وقيصيرية فليب (بانياس) وبعدها داروا حول بحيرة طبريا عابرين مناطق نافتالي، وزبيلم نحو الجهة الجنوبية من البحيرة المذكورة، وهنالك جزيرة تقع بين جسرين في هذا الموقع يقامان على نهر الأردن، وكانت حصينة جداً. عسكر المسلمون فيها. وأثناء ذلك تحرك الملك بلدوين ليقيم معسكره بالقرب من الجسر المفضي إلى طبريا، فشاهدوا خمسمائة رجل من الأتراك، اندفع الإفرنج لمهاجمتهم إلا أنهم وقعوا في كمين من ألفي رجل انقضوا جميعاً على الإفرنج وقهروهم وأجبروهم على الفرار، وفر الملك بلدوين بعد أن فقد رايته وخيمته وكثيراً من المفروشات والأوعية الفضية، كما نجح البطريرك ارنولف بالفرار، وقد قتل ألفا ومائتي مسيحي من المشاة وثلاثين فارساً من بينهم الشجاع ريتشارد دو بروس، وبعد ثلاثة أيام وصل روجر كونت إنطاكية وبونز صاحب طرابلس واجتمعا مع بلدوين وجوسلين وتقدموا مع الإفرنج إلى المرتفعات المقابلة لموقع الأتراك، واستمر الجيشان من غير قتال لمدة ٢٦ يوماً حينها وجد المسلمون أنفسهم بعيدين عن ديارهم ونتيجة لقلة المؤن اضطروا للانسحاب إلى دمشق. ويشارك وليم الصوري، ج١، ص ٥٤٨ متى الرهاوي في تحميل مسؤولية هزيمة المسيحيين لملك القدس بسبب قلة صبره وعدم انتظار وصول حلفائه. أما فوشيه الشارتري، ص

٦٤ / LXIV في السنة نفسها، في شهر دري، يوم الخميس[1]، مات بطريك أرمينيا بازيل في حادثة من عمل الشيطان، ففي أحد الأيام صعد على شرفة منزله في قرية فارتاري (Vartaheri) الواقعة على الحدود البعيدة من بهسنى[2]، وقد صعد ليصلي مع تلامذته وأتباعه من الخوارنه والأساقفة، وفجأة انهار المنزل، ولم يُصب أحد بأذى سوى بازيل الذي ارتطم بالسور، لقد عاش بعد هذا الجرح ثلاثة أيام، وتم نقله إلى ديره في شوغر[3]. وقبل أن يلقط أنفاسه الأخير أعطى غطاء البطريركية[4]

---

1 إن شهر دري المبهم يوافق تلك السنة في الفترة ما بين ٥/٢٢ و ٦/٢٠ من السنة اليولوسية . [تقويم وضعه يوليوس قيصر يبدأ بـ ٤٦ ق.م] . وكان في تلك السنة العظمة الإلهية، وقد جاء يوم الخميس خلال الأسابيع ٢٢ إلى ٥/٢٩ و ٥ إلى ١٢ إلى ٦/١٩ وعليه فإنه من المستحيل تحديد أي من تلك الأيام الخمسة تاريخ وفاة بازيل .

2 بهسنى أو بهسنا، وهي موقع حصين في منطقة الفرات تقع على مسيرة يومين إلى الشمال الغربي من عينتاب بين رعبان وحصن منصور ليس ببعيد عن مرعش وسميساط، البغدادي، مراصد الإطلاع ،ج١ ،ص ١٨٣، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٦٥ . [تعرف في المصادر العربية باسم بهسنى وهي من أعمال حلب تقع على تخوم بلاد الأرمن الإسلامية ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٥١٦ . ابن شداد، الأعلاق، ج١، ق ٢، ص ٣، ٢٧] . إن تشاميتش Tchamitch , Histoire d'Arménie t.III, P.35 ، يذكر في حادثة موت باسيل أن العمود الرئيسي قد انكسر .

3 شوغر دير في الجبل الأسود يقع بين مرعش وسيس على مرتفع كثير الأشجار على مسافة يومين من مرعش وكنيسة شوغر القديمة بنيت من الحجر ولا تزال حتى اليوم (Indjidji, Description de l'Arménie moderne, P.375) ويسمى الدير أيضاً دير البازليين لأنه يخضع لحكم القديس باسيل انظر ص ١٩٢- ١٩٦.

4 غطاء الرأس واحد من سمات البطاركة الارمن، انتقل استعماله إلى الاساقفة وعلماء اللاهوت، وهو مصنوع من القماش الاسود، يغطي الرأس على شكل برنس مخروطي، ويغطي الاكتف.

ص ٤٩٦- ٤٩٧ . أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٤٦، تاريخ ابن القلانسي، ص ١٧٨- ١٨٨ . العظيمي، محمد بن علي التنوخي (ت ١١٦٠م/ ٥٥٦هـ)، تاريخ العظيمي، منشور في مجلة Journal Asiatioue, Juillet, Septemebre, 1938.، ص ٣٨٢ . ابن الأزرق، احمد بن يوسف بن علي الفارقي (ت ١١٨٤م/ ٥٨٠هـ)، تاريخ الفارقي (الدولة المروانية)، تحقيق بدوي عبداللطيف، مراجعة محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٩م/ ١٢٧٩هـ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ . البنداري، الفتح بن علي بن محمد (ت ١٢٤٥م/ ٦٤٣هـ)، تاريخ دولة آل سلجوق لعماد الدين الكاتب محمد بن حامد الاصفهاني، مطبعة الموسوعات، مصر، ١٩٠٠م/ ١٣١٨هـ، ص ١٥٨ . سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٤١- ٤٣، ٥٠، ٥١]. بينما يذكر متى الرهاوي رواية أخرى تدين طغتكين بمقتل مودود ويأخذ بها كل من وليم الصوري لج١، ص ٥٥٠] والبرت اكس [Alberti Aquensis, in R.H.C-H.occ, vol, P.695-696]، لوحتى ابن الأثير: يشير بين السطور بأصابع الاتهام إلى طغتكين، انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٩٧]، أما ابن العبري، فيضيف أن الأحداث تذكر أن الأمير رضوان هو من أرسل هذا الإسماعيلي، انظر ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٣٤، [حقيقة هذا ليس بغريب على الأمير رضوان وبخاصة أنه كان على خصومة ومعارضيه لما اشتهروا به من أعمال الاغتيال، انظر ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ١٢٢ . تاريخ ابن القلانسي، ص ١٣٣، ١٣٥، ١٤٢ . ابن العميد، جرجس (ت ١٢٧٤م / ٦٧٢هـ)، تاريخ الشيخ المكين جرجس بن العميد، ميكروفلم رقم (١٨٤٤)، مركز المخطوطات، الجامعة الأردنية، ص ١٨٤- ١٨٥. ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٤٩٩].

طفلاً[1]، وتقدم باتجاه الرها على رأس قوات كبيرة، ووصل إلى أسوار المدينة يوم الجمعة[2] ٢٤ شهر سهمي، ولم يتوقف عن مهاجمتها بقوة طيلة ثلاثين يوماً، ثم توجه إلى الفرات ودمر كل البلاد المحاذية له، ثم توجه إلى البيرة الواقعة على الفرات، وتجمعت كل القوات الإفرنجية على الجانب الغربي من النهر، ولم تتجرأ على منازلتهم. رجع البرسقي إلى الرها ومنها إلى نصيبين مدينة المسلمين. إن الأمير ايلغازي[3] وبلك جمعوا قواتهم وخاضوا

ص٥٥٤، ويذكرأبو شامة، ان السلطان محمد عين جيوش بك ولاية الموصل، واقسنقر البرسقي ولاية الحرب، ابو شامه، عبدالرحمن بن اسماعيل (ت ١٢٦٦م/ ٦٦٥هـ)، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ٢جـ، تحقيق محمد حلمي محمد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٦م/ ١٣٧٦هـ، ج٨، ق ١، ص ٦٩]. والبرت اكسس يسميه برجو لدوس Borgoldus Alberti, Aquensis, in R.H.C-H. Occ. Vol4.

1 مسعود المسمى غياث الدين أصبح سلطاناً، إن ابن الأثير وسبط ابن الجوزي يوافقان متى الرهاوي في أن الأمير مسعود رافق البرسقي في تلك الحملة. [ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٠١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ص ٤٦. الحسيني، علي بن ناصر (ت بعد ١٢٢٥م/ ٦٢٢هـ)، أخبار الدولة السلجوقية، ط١، تحقيق محمد اقبال، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ، ص ١٠٦. ابن شداد، الأعلاق، ج٣، ص ١، ص ١٣٣. أبو شامة، الروضتين، ج١، ق ١، ص ٦٩. ابن واصل، محمد بن سالم (ت ١٢٩٧م/ ٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٥جـ، ط١، تحقيق جمال الدين الشيال، جامعة فؤاد الأول، مصر، ١٩٥٣م/ ١٣٧٣هـ، ج١، ص ٢٩].

2 في تلك السنة في ٢٤ من شهر سلهمي المبهم الموافق ٥/١٥ / من التقويم اليولوسي، هذا التاريخ يتطابق مع التاريخ الذي يعطيه ابن الأثير في شهر (ذي الحجة ٥٠٨ هـ/ ١١١٤/٥م). [ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٠١]

3 نجم الدين ايلغازي بن راتق، كان يعمل أولاً شحنة لبغداد في عهد السلاجقة وبعد وفاة أخيه سقمان احتل ماردين وأصبح أحد أقوى أمراء سوريا، خاض معارك عديدة

وكرسيها إلى غريغوري (كريكوريس) ابن أبيراد هو ابن أخت السنيور فاهرام . دفن بازيل في شوغر في جنازة مهيبة ووضع في مقبرة البطاركة .

LXV /٦٥ في السنة نفسها نصب غريغوار ابن ابيراد في مقر الحبر الأعظم، وهو ينحدر من غريغوار ما جيستروس ابن فاساج البهلافوني، حيث أنه بعد وفاة باسيل عقد الأساقفة والخوارنه اجتماعاً في جارمير فانك (الدير الأحمر) الواقع ضمن حدود مقاطعة كيسون وبإرادة روح القدس قاموا بتنصيب السنيور غريغوار أولاً أسقفاً على الأمة الأرمنية، وفي نفس اليوم بطريركاً، ووضعوه على عرش القديس . وكان غريغوار شاباً يافعاً لم تنبت لحيته بعد، طويل القامة، جميل الوجه، متواضعاً .

LXVI /٦٦ في سنة ٥٦٣ (١١١٤/٢/٢١- ١١١٥/٢/٢٠) قام سلطان الفرس دافار ابن ملكشاه بتجميع جيش أوكل قيادته إلى الأمير العظيم اقسنقر البرسقي[1] فسار الأخير وبصحبته ابن السلطان الذي لا يزال

---

[1] أبو سعيد اقسنقر البرسقي الغازي المسمى قسيم الدولة سيف الدين، وهو غير برسق الثاني الذي يتكلم عنه في ص ١٧٤ الهامش ٢ . إن السلطان محمد جعل من اقسنقر البرسقي أميراً على الموصل بعد موت الأمير مودود واستمر حكمه حتى عام (٥٠٩هـ/ ١١١٥- ١١١٦م) ثم استبدل بالأمير جيوش بك، فذهب البرسقي إلى إقطاعه مدينة الرحبة وأقام فيها . وفي عام (٥١٢هـ/١١١٨- ١١١٩م) عينه السلطان محمود شحنة لبغداد وفي عام ٥١٥ (١١٢١- ١١٢٢) أعاده نفس السلطان لحكم إمارة الموصل وأعمالها وأضاف إليها الجزيرة وسنجار . أبو الفدا، المختصر، ص ٤٩، ٥١، ٥٧ [انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥١٤- ٥١٥، ٥٣٣، ٥٨٨. ابن الأثير، علي ابن ابي الكرم بن محمد (ت١٢٣٢م/ ٦٣٠هـ)، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق عبد القادر احمد، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣م، ص١٩، ولـيم الصوري، ج١،

سيتحقق " الناظر إلى الأرض، فترتعد"[1] إن الرب رمى نظرة غاضبة على مخلوقاته الذين لم يستطيعوا تجنب عقابه وإليكم ما حصل، في ١٢ من شهر ماريري، يوم الأحد، يوم عيد العثور على الصليب[2] أن ظاهرة مخيفة بدأت، علامة غضب لم يسبق لها مثيل في العصور السابقة ولا حتى في وقتنا الحاضر، ولم يكن لها شبيه حتى فيما أشار إليه الكتاب، بينما كنا غارقين في سبات عميق، فجأة سمعنا ضجيجا مرعبا، دويا في جميع أنحاء المعمورة، لقد كان زلزالاً شعر به الناس في السهول والأماكن الأكثر ارتفاعاً، فتصدعت الجبال والصخور الأكثر قساوة، وانشقت

---

1 سفر المزامير [١٠٤/٣٢].

2 يوم ١٢ من شهر ماريري المبهم الموافق لهذه السنة في ١١/٢٩/ من السنة اليولوسية في وقت عيد القديس اندرياس، يبدو أن متى الرهاوي أخطأ في ذكره لعيد العثور على الصليب لأنه عيد متغير في الكنيسة الأرمنية، فهو يقع ما بين ٢٣ و ١٠/٢٦، ولذلك فإن تاريخ عشية عيد اندرياس ليلة ٢٨ على ١١/٢٩/ والمؤكد من قبل جوتيه شانشلير Galterii Chancelier . Bongars, Jaeques , Gesta Dei per Francos , sive orientalium expeditionum et regni Francorum Hierosolimitani historia, 2 vol. In-fol. Hanau , 1611, t. Ier, P.442 وكاتب هذه الحوليات أخطأ عندما وضع ١١١٥م بدلاً من ١١١٤م . ابن الأثير وكمال الدين [ابن العديم] يذكرون نفس الحدث في شهر جمادي الآخرة عام ٥٠٨هـ/١١١٤/١١ . [ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٠٨، ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ١٧٣، تاريخ ابن القلانسي، ص ١٩١ . سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ص ٥٢. فوشيه الشارتري، ص ١٥٤- ١٥٥] .Galterii, Bella Antiochena, in R. H.C-H. locc . vol. 5, p.83-85، وليم الصوري يحدد نفس السنة ويثبت أن التاريخ الصحيح لتلك السنة كان يوم الأحد ١١/٢٩ الذي يصادف تجسيد ربنا المسيح من عام ١١١٤م وليم الصوري، ج١، ص ٥٥٤ . Voir Dulaurier ,la chronologie arménienne, t. Ier,II Partie Anthologie chronologique, N0 LXV.

مع قوات البرسقي معركة حامية، فهزموهم، وأخذوا ابن السلطان أسيراً، ولكن أطلقوا سراحه في وقت لاحق.

LXVI /٦٧ في نفس السنة نزل الغضب السماوي على المخلوقات، إن الرب نظر إليها بكل قوته وجبروته، وغضب على البشر الضالين الذين ابتعدوا عن الحق، وحسب قول الرسول " ليس هناك أحد في هذا الوقت لا أمير، ولا عالم، ولا قائد يطبق العدل، لا يوجد أحد يفعل ذلك. " إن الجميع اتبع طريق الظلال فتركوا تعاليم الرب، وخالفوا إرادته، فالأمراء والمقاتلون، سادة الشعوب، أساقفة، خوره، رهبان لم يبق أي منهم على الطريق القويم، جميعهم غرقوا في المعاصي والذنوب والرذائل، أمور اعتبرها الرب من أعظم الكبائر، ويبدو أن ذلك التهديد من قبل النبي

ضد الإفرنج، مات في (رمضان عام ٥١٦هـ/١١١٢/١١م) حسب ما ذكر [ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٢٣- ٢٢٤ . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٢٩- ٦٠٤ . أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٥٩ . سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ص ١٠٢- ١٠٣] جميعهم يتفقون مع التاريخ الذي يذكره متى الرهاوي بينما يضيف سبط ابن الجوزي أن آخرين يحددون تاريخ وفاة ايلغازي عام (٥١٥هـ/١١٢١- ١١٢٢م) وهذا التاريخ يتوافق مع التاريخ المحدد من قبل وليم الصوري في عام ١١٢١م يوم عبد تجسيد المسيح . [انظر وليم الصوري، ج١، ص ٥٨٧] . وفي عام (٥١١هـ/١١١٧- ١١١٨م) أرهق سكان حلب بسبب الاضطرابات التي حدثت في حكومة حلب تحت قيادة السلطان شاه بن رضوان وليس له من الحكم شيء، وإنما كان بيد الأتابك المختلفين مما أثار مخاوف أهل حلب من الإفرنج، وأدركوا ضرورة تسليم المدينة إلى إيلغازي، فاستخلف ابنه حسام الدين تمرتاس للدفاع عنها . أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٥٠- ٥١، [الرويضي، إمارة الرها الصليبية، ص ٤٣٨- ٤٣٩، تاريخ العظيمي (Jarnal)، ص ٣٨٤. تاريخ ابن القلانسي، ص ١٩٩ . ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ١٨٥- ١٨٦].

تضيئه، وتوقفت بركات الرب عن معبده، ووقع الآباء تحت نير العبودية وزج بهم في السجون، ودمرت المذابح والمعمدانيات، واختفى سر الصليب المقدس خلف الظلال، وانعدمت رائحة البخور، ومنع ذكر الرب في كل أرجاء ابلاستا، وجرى في أماكن أخرى تدمير الكنائس الصغيرة، وأصبح عمل الأباء في الكنائس يبعث على الإزدراء، وأبطلت المناظرات الدينية واضطهدت الحقيقة، ورفضت العدالة وحظرت الرحمة والشفقة، وغيب حكم الرب . إن هذه الآلام من صنع أمة الإفرنج المسعورة؛ لأنه لم يعد هناك وجود لقادة محاربين مشهورين، وان إماراتهم تولى فيها المسؤولية أمراء غير جديرين بها، والسبب الذي دفع الإفرنج إلى تعذيب واضطهاد المؤمنين كان يكمن وراء الجشع والطمع [1] .

٤٢/ XLII في العام نفسه أنهارت كنيسة صوفيا من الجانب الغربي، وقد دمر جزء كبير من هذا البناء .

٤٣/ XLIII في العام نفسه ظهر في الأفق مُذَنّبٌ ذو هيئة مخيفة تثير الدهشة، غير أن المذنب بعث الهلع والرعب في قلوب الناس، وقد ظهر المذنب في الجهة الجنوبية الغربية، وغطى ذنبه جزءا كبيراً من القبة السماوية . وقد حدث ذلك في ٢/١٣ ليلة عيد الفطر حيث ارتفع المذنب نحو

---

[1] إن تلك الجرائم تعرض الأرمن ضد الإفرنج، وقد لفقت من قبل متى الرهاوي في هذا الموضع ومن قبل جماعة في مواضع أخرى، وهي تصريحات تستحق التنويه كونها تشكل جزءا من الاتهامات التي نشرها الغربيون ضد المسيحيين الذين لا يستحقون أن يكونوا مسيحيين، ونراهم مكرمين من قبل المؤرخين اللاتين، إن تلك الكراهية المتبادلة تفسر التصرف العدائي لقادة الإفرنج وخاصة كونتات الرها نحو الأرمن من خلال المقاييس القاسية التي استخدموها ضدهم، الترجمة الفرنسية .

التلال شقين، ورجت الجبال، والتلال، وانهارت، ووصلت أصواتها إلى مسامع الناس مجلجلة كرعد، الوضع أشبه ببحرٍ هائج، فهرع الخلق في شتى الاتجاهات من هول الموقف وكأنه غضب من الرب؛ ولأن الجبال والسهول أصدرت أصواتا كقرع أصوات البرونز وتهاوت واهتزت كأشجار تهزها الرياح.

كانت تأوهات الناس تخرج بضجة مخنوقة وكأنها أنين إنسان مريض له فترة من الزمن، إن ذعر الناس أودى بهم إلى التهلكة، وعم العويل الأرض في وسط هذه الاضطرابات، وأصبحت الأرض وكأنها محكوم يطلق تأوهات وعويلا مصحوبا بالدموع، وكانت الأصوات تُسمع بعد اهتزاز الأرض في تلك الليلة لمدة ساعة بالضبط، وأثناء الكارثة كل واحد فكر بما فعله في حياته، والجميع يصيح "هذه هي ساعة موتنا، أنه يوم الحساب". هذا اليوم المشهود يصادف يوم الأحد ورافقه علامات محدودة، صوت مميز بنبرة فار [1]، ووقف زوال القمر؛ وهكذا اجتمعت كل علامات يوم القيامة، وأصبح كل واحد من الناس مصابا بالذعر، وكأنهم تحت قبضة الموت، فاقدين الأمل وشهدت هذه الليلة خرابا كثيرا

---

[1] فار : أنها نبرة من ثمان نبرات موسيقا الكنيسة الأرمنية، ونبرة فار لها صوت نائح يصادف حدوثه يوم الأحد، ووقت زوال القمر، وهو يشبه نفس الأفكار الخرافية التي تشكل شعوب الظاهرة الجسدية المروية من قبل حولية متى الرهاوي ؛ في الحقيقة أن ليلة السبت على الأحد مكرسة بذكرى بعث السيد المسيح الذي يجب أن يكون شاهداً حسب المعتقد الأرمني القديم حول البعث بشكل عام ويوم الحساب.

(Jean Otznetsi، dit le Philosophe، patriarche d'Arménie, VIII siècle, Diseours synodal, dans ses oeuvres complètes, In-8°. Venise, 1834, P. 40.)

من المدن والأقاليم، جميعها من ضمن البلاد التي بيد الإفرنج، أما المدن الأقرب التي يملكها الكفار لم يحصل لها أي ضرر، فدمرت سميساط وحصن منصور وكيسون ورعبان، وكان الدمار في مرعش عظيماً، فُقد أربعون ألف شخص لأنها كانت مدينة كثيفة السكان، ولم يستطع أحد الهروب، كما حدث ذلك في مدينة سيس[1]، حيث هلك فيها عدد كبير من السكان، لقد دُمر عددٌ من القرى والأديرة، وهلك عدد كبير من الرجال والنساء. ففي دير البازليين (شوغر) في الجبل الأسود المشهور تجمع عدد من الرهبان وعلماء اللاهوت من أجل بركة الكنيسة، وبينما كانوا منشغلين بعمل القداس الإلهي، تهدم البناء عليهم، فطمرت الأنقاض ثلاثين راهباً واثنين من العلماء، وبقيت رفاتهم مطمورة تحت الأنقاض حتى اليوم. وحصل حادث مماثل بالقرب من مرعش؛ دمر دير كبير لليسوعيين[2]، دفن

---

1 سيس، مدينة رئيسية في سليسيا تقع في سهل على بعد ٢٤ ميل شمال عين زربه، على ضفاف نهر يتصل بـ جيهان، ويبدو أن المدينة موجودة منذ القرن العاشر الميلادي، إن الملك ليون II اتخذها مقراً لقادة الأرمن، فعمل على توسيعها بشكل كبير وإنشاء فيها مباني جميلة، استمرت عاصمة لأرمينيا الصغرى حتى انتهاء تلك المملكة عام ١٣٧٥م على يد المصريين. [لعله يقصد بها المماليك].

2 فيه قائمة الإقطاعيين والبارونات الذين ساهموا في عام ١١٩٨ في تتويج ليون II، أن القائد الأعلى لجيش سيمباد يذكر جوزيف الإرشيفيك الأرمني لإنطاكية ورئيس دير اليسوعيين، انظر

(Chronique de sempad, ed de M.Osgen-Ovannisiants. Moscou, in-12, 1856, p.99 et Thomas de Medzoph, auteur arménien du XV siècle, Histoire de Timour at des Timourides, publiée par l'archimandrite Garabed Schahnazarian, in-12,Paris,1860;traduite

تحت أنقاضه كل رجال الدين . وعندما توقفت الهزات الأرضية بدأ الثلج بالسقوط، فطمرت المنطقة بطبقة سميكة منه، ومات عالم اللاهوت اللامع غريغوار الملقب بـ ماش جافور[1] (Maschguavor) في المكان نفسه . فكان حادث أليم أحزن كل المؤمنين عقاباً على خطاياهم؛ لأنهم ضلوا عن طريق التعاليم الإلهية واتبعوا طريق الضلال، وابتعدوا عن القواعد التي جاءت في الكتب المقدسة، واتبعوا الحماقات، كتلك الحماقات الموجودة منذ أيام نوح وما زلنا نحصد نتائجها، ولكنهم يستحقون العقاب على ما صنعت أيديهم، لقد عاشوا يتصنعون بملاذاتهم حتى أنزل الرب عقابه عليهم بسبب ما اقترفوه من جرائم كبيرة .

LXVIII / ٦٨ توفي في السنة هذه عالم اللاهوت القديس الأرمني مجريج[2] (Meghrig) الرجل التقي الورع، عاش في عزلة متنسكاً لمدة خمسين عاماً، كان عمره سبعين عاماً عندما أنهى حياته المهنية، قضى أيامه في تقشف وممارسة أعمال البر والتقوى، وكان يقتات الأغذية الجافة

---

en analyse et par extraits par M.Félix Nève. In-8°. Bruxelles , 1860. P.110.)

1 ماش جافور أو ماش جور كلمة تعني باليوناني جلد النعاج مع شعرها المدبوغ، يصنع منه الملابس، وكان يطلق على اسم دير في سليسيا، سمي بهذا الاسم لأن رجال الدين كانون يلبسون جلود الحيوانات، وكان قد تم ترميم هذا الدير من قبل الأمير الروبيني ثوروس I .

2 يسمى كيورك أو كيفورك (جورج)، لقب بـ مجريج (المعسول) بسبب لطافة وعذوبة شخصيته . وقد سمي أيضاً سيفانيتسي وذلك لأنه كان راهباً في دير الرسل القديسين في جزيرة سيفان في وسط بحيرة كيغام والتي تدعى اليوم جوكتشا . Tchamitch,) (Histoire d'Arménie, t. III, P.16

فقط، وبأخلاقه وورعه كان مساوياً لقديسي العصور القديمة، وطوال حياته كان يمضي كل أحد واقفاً في صلاته، أرمني التولد، وأصله من إقليم فاسبورغان من قرية كبيرة تدعى أناليور (Analiour) نذر نفسه منذ طفولته لحياة الأديرة، فكسب اسماً مشهوراً عن جدارة، وارتفع إلى قداسة عالية، فأصبح قدوة لكثير من المسيحيين ومرشداً لأرمينيا كلها؛ أعاد الناس إلى طريق النور ووهبهم إياه وأمدهم بالصبر، وبعلاقتهم مع الأب في السماء، هذا الرجل الصابر المؤمن الذي اختاره الأب في السماء[1] دفن في ولاية عين زارب في دير ترازارغ (Trazarg) الكبير[2] والذي تم ترميمه من قبل ثوروس.

LXIX / ٦٩ حدثت عام ٥٦٤ (٢٢ شباط ١١١٥- ٢٠ شباط ١١١٦) ظاهرة مرعبة في مدينة آمد، مدينة المسلمين، وقد حدثت بسبب العديد من الجرائم الفظيعة والمشينة التي ارتكبتها تلك الأمة. ففي أثناء الليل ضربت صاعقة جامع آمد الرئيسي ولقوة الصاعقة اشتعلت النيران في الجامع، فاشتعلت الحجارة كما يشتعل الخشب، فهرع السكان لإطفاء النار فلم يستطيعوا السيطرة عليها، بل على العكس ازدادت حتى وصلت ألسنة اللهب عنان السماء وأحرقت النار الجامع تماماً، هذا المكان النجس[3]

---

1 إنها جملة مقتبسة من شاراغان (Scharagan) أو تراتيل الكنيسة الأرمنية.

2 يقع دير ترازارغ بالقرب من سيس تحت السلطة الكاثوليكية المباشرة. وفي الوثائق اللاتينية لملوك أرمينيا الصغرى نسخ هذا الاسم بشكل تم التلاعب بالكلمات تحت صيغة ترس أركوس (Tres arcus) أن ترس أرسس (Tres arces). آثار هذا الدير لم تعد موجودة، الترجمة الفرنسية.

3 [تم ترجمتها حرفياً للتعريف بالألفاظ التي يستخدمها المؤلف ضد المسلمين السلاجقة].

المخصص لتجمعهم . هذا ما حدث في مدينة آمد التي بنيت في السابق من قبل تيجران (Tigrane) ملك أرمينيا [1] .

LXX / ٧٠ في السنة نفسها قام الأسباسلار (قائد عام) الفرس، الأمير برسق بتجميع قواته ووصل قبالة الرها ، وبعد أن توقف عدة أيام، عبر الفرات حتى وصل إلى حلب [2]، ومنها استولى على شيزر مدينة المسلمين، وبعدها دمر تل باشر وأراضي إنطاكية ، فتجمعت كل الأمة الإفرنجية في إنطاكية عند الكونت روجر، وتحرك ملك القدس وبلدوين كونت الرها ، واجتمعوا في مقاطعة تل باشر، وفي الوقت نفسه وصل إلى معسكر

---

1 تيغران الأول من سلالة الهايسن، السلالة الأرمنية الأولى التي حكمت حسب تشاميتش (Tchamitch, Histoire d'Arménie) في القرن السادس ق.م وحسب شهادة (Moise , Histoire d'Arménie, I, XXX) دكرناغيرد (Dikranaguerd) كانت ضيعة قام تيغران بتوسعتها وتجميلها، اقطعها لأخته ديكرانوهي (Dikranouhi) زوجة استياج (Astyage) ملك مديس (Medes)، وقد سماها على اسمها دكرناغيرد، وهي كلمة جذورها فعل أرمني بمعنى (عمل، شيد، بنى) وفي الفارسية كردن، وهي المدينة المشهورة تيغرانو سيرتا (Tigranocerta) أو آمد حسب كتاب اليونان واللاتين، ويبدو أنها من القرن الرابع الميلادي حملت اسم آمد أو أميت لان هناك مؤرخاً أرمنياً من القرن نفسه , Faustus de Byzance auteur arménien du Iv siècle, Histoire d'Arme'nie ou Bibliothe'que historique de 315 à 390).Constantinople ; In-4° , 1730 ; et In-8° , Venise , 1832 . Traduite par M . Emin . dans la Collection des historiens anciens et modernes de L'Arménie , t. I , p. 209-310 , In-8°) . paris , 1867,III,X يسميها بنفس الاسم الأرمني، وهي اليوم في دياربكر بنفس الاسم CF. Indjidji Description de l'Arménie ancienne P.74-84, et Indjidji, Description de l'Arménie moderne P. 211-219

2 هذه الجملة يقصد بها الأمير برسق . ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٠١.

الإفرنج الأمير ايلغازي بن ارتق مع عدد كبير من القوات لدعم روجر، وذلك لأن ايلغازي كان العدو اللدود إلى برسق [1]، ووصل أيضاً طغتكين أمير دمشق، وانضم إلى المسيحيين وعقدوا معهم حلفاً وصداقة قوية، وذلك ضمن قسم رسمي، وفعل أمير حلب[2] مثل سابقيه؛ استمرت جيوش الكفار

---

[1] يبدو أن متى الرهاوي خلط بين برسق بن برسق وبين اقسنقر البرسقي، وهذا الأخر هو الذي أراده ايلغازي بالتحديد، وحسب ما ورد عند ابن الأثير وسبط ابن الجوزي، أن السلطان محمد ولى اقسنقر البرسقي على حكم الموصل، وأمره بالزحف نحو الإفرنج، [وكاتب سائر أمراء بلاد الشام والجزيرة بطاعة الأمير البرسقي ومساعدته على مجاهدة الإفرنج، فطلب البرسقي من إيلغازي بالانضمام إليه مع قواته، إلا أن ايلغازي حاول في البدء الامتناع، مما أضطر البرسقي لمهاجمة أراضي الأراتقه وارغم ايلغازي على الإذعان له، فأرسل قواته الأرتقية تحت قيادة ابنه أياز للاشتراك مع قوات الموصل، غير أن البرسقي بعد الانتهاء من حملته على الرها عاد إلى ايلغازي بحجة عدم الاشتراك معه ضد الإفرنج، انتهى الأمر باعتقال اياز بن ايلغازي ومهاجمة أراضي الأراتقة، فاستنجد ايلغازي بابن أخيه ركن الدولة داود بن سقمان أمير حصن كيفا، فالتقى الطرفان، واقتتلا وانتهى ذلك اللقاء بهزيمة البرسقي ونجاة إياز من الاعتقال. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٠١- ٥٠٣. سبط ابن الجوزي مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ص ٥٢. أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٢٢٧. [وعندما علم السلطان محمد بنبأ هزيمة قائدة اقسنقر البرسقي، أرسل إلى ايلغازي يتوعده على موقفه من حملة البرسقي فخاف ايلغازي وتوجه إلى دمشق للالتقاء بالأتابك طغتكين أمير دمشق الذي كان هو الآخر قد ساءت علاقاته بالسلطان بسبب اتهامه بتدبير مؤامرة قتل الأمير مودود، وكان السلطان قد علم بقدرات برسق بن برسق فأرسله لتأديب ايلغازي وطغتكين[.]انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٠٣- ٥٠٩. ابن منقذ، الاعتبار، ص ١٩٤[.

[2] يلقب هذا الأمير بـ لؤلؤ وكان مخصياً. وقد أوكل إليه مهمة حكم حلب بعد وفات تاج الدولة رضوان عام (٥٠٨هـ/١١١٣- ١١١٤م)، [٢٨ جمادي الآخرة ٥٠٧/ ٩ كانون أول ١١١٣م) وكان رضوان قد ترك ولدين هما آلب أرسلان الأخرس وسلطان شاه،

والإفرنج متقابلة لمدة أربعة أشهر دون أن يتجرأ جيش منازلة الآخر، وبعد ذلك انسحب برسق خلسة ودون علم الإفرنج، وعندما علم ملك القدس وكونت طرابلس والأمير ايلغازي وطغتكين وأمير حلب بانسحاب برسق عاد كل منهما إلى بلاده، غير أن برسق بمغادرة المسيحيين سار باتجاه إنطاكية وبنيته تدمير أراضي هذه المدينة . وأثر هذه الأخبار رجع كونت الرها إلى إنطاكية واصطحب معه روجر وسبعمائة فارس، وتقدم باتجاه برسق في ولاية حلب، وانقض عليه على حين غرة وحقق نصراً كبيراً عليه وأجبره على الفرار، وأسر الإفرنج ضباطاً كبارا، وأخذوا الغنائم الكثيرة من معسكر الأتراك، وهرب الكفار بعد تلك الهزيمة مكللين بالخزي والعار.

LXXI / **٧١** في السنة نفسها، شن كونت الرها بلدوين الحرب على فاسيل دغا الأمير الأرمني الكبير.

LXXII / **٧٢** حاصر بلدوين قلعة رعبان، وواصل هجماته عليها لوقت طويل، من غير أن يحقق مناله، مع أنه دكها من جميع الجهات.

وكان الوصي عليهما الأتابك لؤلؤ الخادم، وحكم لؤلؤ الإمارة باسم آلب أرسلان الذي كان عمره ١٦ عاماً وكانت أمه ابنة ياغي سيان أمير إنطاكية، في السنة اللاحقة [١١١٤/٥٠٨م] قتل آلب أرسلان من قبل ضباطه في قلعة حلب [بتآمر من لؤلؤ] وأمام مكانة أخيه سلطان شاه . وعندما علم لؤلؤ بأن السلطان محمد أرسل جيشاً إلى سوريا بقيادة برسق بن برسق خشي أن تنزع منه حلب، فانضم إلى حلف طغتكين، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٤٧ . [انظر ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٩، ٥٠٨ . تاريخ ابن القلانسي، ص ١٨٩- ١٩١ . سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٤٦- ٤٨، ٥٢].

LXXIII / ٧٣ ذهب فاسيل دغا إلى الأمير الأرمني العظيم ليو بن قسطنطين بن روبين شقيق ثوروس من اجل الزواج من ابنته. ثوروس دعا فاسيل لزيارته، فقام باحتجازه غدراً، واقتاده إلى الرها عند بلدوين كونت الرها تلك المدينة، فقام بلدوين بتعذيبه بقسوة وانتزع منه تنازلاً عن حكم مدنه، وبهذا انتزع كل البلاد من السيطرة الأرمنية، وانسحب فاسيل إلى جوار حماه ليون ومن ثم إلى القسطنطينية، حيث استقبل بحفاوة مع القوات التي كانت برفقته من قبل الإمبراطور الروماني.

LXXIV / ٧٤ في عام ٥٦٦ (٢٠ شباط ١١١٧ – ١٩ شباط ١١١٨) جمع كونت الرها بلدوين دي بورغ قواته، وتحالف مع كونت سروج، وسارا معاً لمحاربة قائد الأرمن أبوالغريب (Abelgharib) شقيق ليكوس (Ligos) وابن فاساج (Vacag) وهما شجاعان مقدامان، هذان الأخوان هاجما الفرس، واسترجعا بالقوة العديد من الأماكن، ومن بينها مدينة البيرة التي اتخذها مقر إقامتهم . لقد كانوا من المقاتلين الشجعان والمشهورين، وكان تحت إمرتهم ألف مقاتل، فنظر الكونت إلى أملاكهما بعين الحسد، فلم يستطع مقاومة هذا الشعور بالحسد الإجرامي، فتقدم على رأس قواته وهاجم بير، لقد كان قاسياً على المسيحيين أكثر من قساوته على الأتراك، واستمر حصاره إلى أبي الغريب لمدة عام، كان حصارا قاسيا، جعله يدون فيه كل صنوف المعاناة في ظل هذا الموقف الصعب، رأى أبو الغريب أنه لا يوجد له أمل فسلم البيرة وكل الولاية إلى بلدوين ولجأ إلى ثوروس حفيد روبين في عين زربه؛ أعطى الكونت البيرة والأراضي

التي تتبع لها إلى وليران[1] (Waleran) أمير الإفرنج . ويعدها تتبع بقسوة العديد من قادة الأرمن وأسقطهم الواحد تلو الآخر، وكان أكثر قساوة عليهم من الفرس أنفسهم، فأعدم أولاد الأمراء، أو تركهم فريسه للأتراك أو قام بنفيهم ببربرية، ودمر إمارة كوغ فاسيل وأجبر النبلاء اللجوء إلى القسطنطينية، ودمر القائد الأرمني الشجاع بقراط[2] (Pakrad)) الذي كان يقيم إلى الشرق من سليسيا بالقرب من قورس[3]

---

1 وليران أوغاليران، وهو ابن عم جوسلين كورتناي، حسب وليم الصوري، ويصفه فوشيه أنه ابن أخ بلدوين دي بورغ، ومن المحتمل أن يكون مخطئا، لأن هذا المؤرخ يتكلم عن غاليران بمناسبة أسر بلدوين لفوشيه الشارتري، ص ١٩٣، ١٩٥)، ويصفه فوشيه الشارتري ابن أخ بلدوين دي بورغ ومن المحتمل أن أخاه غاليران في خرتبرت عند الأمير بلك، ويبدو جلياً أنه اختلط عليه الأمر بين هذين الأخيرين، لوبالرجوع إلى فوشيه الشارتري ووليم الصوري، يؤكدان أن صلة قرابة غاليران بشكل عام من جوسلين دون أن يحددا نوع هذه الصلة . انظر فوشيه الشارتري، ص ١٩٣، ١٩٥ . وليم الصوري، ج١، ص ٥٩٠ . بينما يؤكد نيكولسون ولامونت أن غاليران ابن عم جوسلين وانظر تفاصيل عن حياة غاليران مقالة لامونت Robert ،Nicholson Lawrence, Joscelyn I, Prince of Edessa, The University of Illinois Press, Urbana, 1954,p. 62-63

2 يقصد بقراط أو بنكراس سيد الراوندان، انظر الهامش، ص ٨٣- ٨٤ .

3 قورس، أو كورس المعروفة قديماً باسم سيرهوس (Cyrrhus) عاصمة سيريستيك، وهي قلعة حصينة في سوريا في الجبال الشمالية لحلب Tchamitch, Histoire d'Arménie, t. III, p. 40 وعند وليم الصوري، ج١، ص ٥٠٨، ج٢، ص ٧١٦، وتعرف اليوم باسم قورس. (في المصادر الجغرافية تعرف باسم قورس، تقع إلى الشمال الغربي من مدينة عزاز وهي من أعمال حلب من جند قنسرين وتعد من مدن العواصم مبنية على ربوة تشرف على نهر عفرين، انظر الرويضي، إمارة الرها الصليبية، ص ١١٨- ١١٩).

وانتزع منه ولايته . وهزم قسطنطين سيد كركر[1] الذي مات بصورة مأساوية في السجن الذي حبس فيه في قلعة سميساط، وفي ليلة الزلزال وجد على ضفاف الفرات، وقد ألقي به من أعلى إلى أسفل مربوطاً بتاجية عمود كانت في سجنه، فلقي حتفه غرقاً، وقام بوهيمند من جهة بطرد القائد الأرمني أمير الأمراء الذي كان يحكم مدينة مرعش، وقد لقي العديد من الشخصيات المرموقة حتفهم في السجن جراء التعذيب واقتلعت أعين عدد كبير منهم وقطعت أيديهم وأنوفهم وأعضاؤهم التناسلية، ومنهم من قضى حتفه وهو معلق على الصليب، وقاموا بتعذيب الأطفال الأبرياء نكاية بأهاليهم . إن تلك الأفعال المشينة الحاقدة كانت تعبيرا عن الرغبة الجامحة، وباعث الطمع في الاستيلاء على الكنوز التي يمتلكها القادة الأرمن، كما أنهم استعملوا كل الوسائل والطرق الخبيثة من أجل إلحاق الضرر بتلك الأقطار، ولم يكن احتلالهم هذا إلا تعبيراً جلياً عن الروح الحاقدة الشريرة التي يمتلكونها، وحبهم الشديد لكل الأعمال الشريرة، لم يترك مجالاً للرحمة في قلوبهم . لقد أردنا حصر جرائمهم غير أننا لم نتجرأ على فعل ذلك لأننا كنا تحت سلطتهم .

LXXV / ٧٥ وفي سنة ٥٦٧ (١١١٨/٢/٢٠ – ١١١٩/٢/٢١م) عاد بلدوين دي بورغ كونت الرها منتصراً إلى القدس . وفي فترة الصيام الكبير قام ملك المدينة المقدسة بلدوين شقيق جودفري بحشد قواته وتوجه باتجاه مصر لإخضاع برابرتهم تحت سيطرته، إلا أنه وجد البلاد صحراء، وقد فر سكانها منها، فقفل راجعاً أدراجه، ومرض في طريق العودة

[1] موضوع قسطنطين حاكم مدينة كركر موجود في ص ٨٥ هامش (١) .

ومات، وقبل موته أوصى أن يرسل إلى بلدوين في الرها ليحكم مملكة أورشليم حتى يأتي أخوه يوستاس (Eustache) من بلاد الإفرنج وعند قدومه يسلم بلدوين إلى يوستاس التاج .

وضع رفاة الملك في هودج ونقل إلى أورشليم، ودفن قبالة كنيسة المهد . لقد كان بلدوين إنساناً صالحاً متواضعاً، يميل إلى القدسية، ومن كان برفقة الملك [بلدوين البولوني] في حملته هذه عندما وجدوا بلدوين [دي بورغ] قد وصل إلى أورشليم دهشوا وفرحوا في آن واحد، لأنهم اعتبروا وصوله دليل على العناية الإلهية بهم .

وحسب وصية الملك قاموا بمنحه الوصاية على العرش، غير أن بلدوين الطامع بمركزٍ أعلى لم يقبل تلك المهمة، ولكنه تعهد أن ينتظر عاماً مشترطاً أنه إذا انقضت هذه المدة وتأخر شقيق الملك عن القدوم فإنه سيكون حراً في اعتلاء العرش، وقد أبدت أمة الإفرنج تأييدها لهذا الشرط. ويوم أحد الشعانين اقتيد كونت الرها إلى معبد سليمان وأجلس على العرش، وفي نهاية العام وضع التاج على رأسه [1] .

---

1 صادف عيد الفصيح يوم ١١١٨/٤/١٤م . وليم الصوري، ج٢، ص ٥٧٠- ٥٧٣، ٥٨٦، يذكر أن أحد الشعانين كان يوم ١١١٨/٤/٧م وصادف يوم دخول بلدوين إلى أورشليم، وقد جاء بقصد زيارة الأماكن المقدسة وأداء المناسك فيها، وكان رؤساء الأساقفة وأعيان المدينة قد عقدوا اجتماعاً من أجل تعيين خليفة لـ شقيق جودفري . وقام جوسلين كورتناي الذي وعده بلدوين دي بورغ من غير شك بـ كونتيه الرها، بإضفاء كل أنواع المديح والدعم لبلدوين دي بورغ، وفي الأحد التالي يوم عيد الفصح تم الإعلان عن الحاكم الجديد وحظي بالمسحة المقدسة في كنيسة القيامة، وبعد عامين عام (١١٢٠) يوم عيد الميلاد تم تتويج بلدوين دي بورغ ملكاً بشكل مهيب وبرفقته زوجته مورفيا في كنيسة بيت لحم .

لقد كان هذا الأمير من أكثر الإفرنج منزلة، محاربا باسلا، ومثلا في حسن الأخلاق، وعدواً للخطيئة، يتحلى باللطف والتواضع ؛ لكن هذه الصفات كان يشوبها صفة الجشع بحذاقة في الاستيلاء على ممتلكات الآخرين، وحب المال، والبعد عن الكرم، إلا أنه كان ملتزماً في عقيدته [الكاثوليكية] وذا شخصية قيادية حازمة ؛ وقد خرج من الرها ملكان، وكان كل واحد منهما يدعى بلدوين .

LXXVI / ٧٦ تميز العام هذا بموت سلطان الفرس دافار (Daphor) ابن ملكشاه، لقد كان أميراً قاسياً، وذلك لأنه في آخر أيامه قام بعمل غريب وغير مسبوق من قبل حيث أنه عندما شعر باقتراب نهايته فكر في مصلحة أبنائه، فأمر بإحضار زوجته كوهر خاتون [1] (Kohar-kathoun) إلى قصرة وكانت ابنة الأمير إسماعيل [2]، وقام بقتلها في مخبأ القوات وبحضوره، وذلك حتى لا تعاود الزواج وتبعد أبناءه عن العرش، والإرث الذي خلفه لهم ؛ لأنه ينحدر من أصول ملكية قوية، وكان يمتلك جيشاً كبيراً . وكان قد جمع أربعمائة فتاة من كل الأمم، وأبقى هذه الفتيات، واقفات

1 كوهر في الأرمنية، وجوهر في الفارسية، وتعني لؤلؤ (خرز)، حجر كريم، وخاتون في المنغولية والتركية الشرقي تعني السيدة النبيلة، أميرة، ملكة .

2 قطب الدين إسماعيل بن الياقوتي شقيق زبيدة خاتون، الزوجة الأولى لملكشاه . وقد بعث من قبل هذه الاميرة سنة١٠٩٠م إلى ماراند في اذربيجان لتنصيبه هناك حاكما، غير أنه قتل سنة ١٠٩٤ من قبل اثنين من ضباطه، وقد كان ابن عم وصهر ملكشاه في نفس الوقت، كما يروي فارتان Vartan, auteur arménien du XIII siècle, في كتابه تاريخ العالم الذي لم يطبع بعد Abrégé d'histoire universelle [يبدو أن المترجم اطلع على هذا الكتاب ولم يكن قد نشر بعد].

أمامه يرتدين أجمل الحلي من الحجارة الكريمة واللؤلؤ المرصع بالذهب يتلألأن بزينتهن الرائعة التي تجملها الألوان الزاهية .

لقد كان هدفه من قتل الملكة الكبيرة تفادي زواجها من أخيه [1] الذي كان يحكم بلقب سلطان داخل بلاد فارس في مدن اوزغان [2] (Ozgan) وخيزن [3] (Khizn) التي تبعد مسيرة ثلاثة أشهر عن مملكة أصفهان (Asbahan) وبعد إجراء عملية القتل قام دافار بوضع ابنه البكر محمود [4] على العرش وأعطاه حكم فارس، وقام أيضاً بتعيين ابنه الأصغر

---

1 يقصد سنجر شقيق محمد (دافار)، وكان بركيارق – [شقيقهم الثالث] قد أعطى سنجر عام ١٠٩٧م حكم خراسان، وقد خشيّ دافار من طموحات سنجر . وعندما مات دافار قام سنجر بمهاجمة ابن أخيه محمود في العراق الفارسي، والتقيا بالري بالقرب من ساوة فانهزم محمود، ثم عقد الصلح بينهما على أن يخطب للسلطان سنجر كسلطان في صلاة الجمعة، ويأتي اسم محمود ثانياً، أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٢٥، ٥٤

2 أُوزْكَنْد (Ozkend) [كند تعني القرية في لغة أهلها] مدينة تقع في بلاد ما وراء النهر بالقرب من فرغانه (Ferghana) على الضفة الجنوبية لنهر إياكسارت أو سيحون إلى الشمال الشرقي من سمرقند. [وللمدينة سور وعدة أبواب وبساتين ومياه جارية . انظر ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٢٨٠].

3 غِزنه، غَزنه أو غزنين عاصمة مقاطعة زبل ستان في المملكة الحالية لـ كابول، وكانت في السابق حاضرة سلالة الغزنويين (Ghaznevides) القوية، وامتدت حدودها إلى أجزاء من أراضي الهند . فارس وترانس أوكسيان (Transoxiane) . وكان أول حاكم لها يدعى يمين الدولة أبو القاسم محمود، وقد حكم في بداية القرن الحادي عشر.

4 مغيث الدين أبو القاسم محمود حكم من ١١١٨ إلى ١١٣١ . [ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٥٢٥، ٦٧٠].

ملكا [1] وسلطاناً على المدينة الأرمينية كنتزاج (Kantzag) وترك له كل إمبراطورية الشرق، وكان له ولدان آخران ولكن ليس من كوهر خاتون [2] (Kahor-Khatoun).

مات في نفس العام خليفة الفرس (العرب) [3] الذي يمتلك عرش محمد [المقصود الرسول ﷺ] في بغداد .

LXXXII / ٧٧ حشد في العام هذا كونت الإفرنج العظيم روجر حاكم إنطاكية قواته لمهاجمة مدينة عزاز [4] التابعة للمسلمين التي لا تبعد عن حلب، وانضم إلى تلك القوات الأمير الأرمني ليون بن قسطنطين بن روبين، وقد حاصر روجر عزاز مدة ثلاثين يوما من غير أن يستطيع إجبار الأتراك على التراجع عن المكان أو دخوله إلى المدينة، بعدها ترك مهمة

---

1 لقب الأمير طغرك هو ملك، ومن الخطأ أن يصفه متى الرهاوي بلقب سلطان لان لقب سلطان أعلى مرتبة من لقب ملك، وقد تولى عرش فارس وحكم ما بين ١١٣٢-١١٣٤م . [انظر ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٥٤٧] .

2 مات السلطان محمد بتاريخ (٢٤ ذي الحجة ٥١١هـ / ١١١٨/٤/١٧م) عن عمر يناهز ٣٦ سنة قمرية، وأربعة أشهر وستة أيام، أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٥٠. [ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٢٥] . ما يعادل ٣٥ سنة شمسية وشهر وعدة أيام.

3 إن لقب خليفة الفرس أعطي من قبل متى الرهاوي، ويقصد به خليفة بغداد، المستظهر بالله أبو العباس أحمد ابن المقتدر بأمر الله، ويفسر ذلك بأن مدينة بغداد كانت تحت سيطرة سلاطين السلاجقة الذين كانوا يتمتعون بلقب شاهنشاه أو والي، ولم يكن الخليفة في الإسلام يمارس السلطة الدنيوية إلا بصورة اسمية . وقد مات المستظهر في (١٦ ربيع الثاني ٥١٢ هـ/ ١١١٨/٨/٦) ابن الأثير، الكامل ،ج ١٠، ص ٥٣٤ . أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٥١ .

4 عزاز وعزاز، قلعة حصينة تقع في الشمال الغربي على بعد مسيرة يوم من حلب، البغدادي، مراصد الإطلاع، ج٢، ص ٢٥٥ .

الهجوم للأرمن، فدعا روجر ليون، وقال له : " غداً تذهب للقتال لكي تبرهن قليلاً عن قدرة الأرض " . فقام ليون بإعطاء الأوامر لجنده الذين كانوا في المعسكر، بالتجمع حوله، وقام هذا المقدام بطل المسيح بحثهم الواحد تلو الآخر على حسن التصرف، وفي اليوم التالي تحرك الأتراك لمهاجمة الإفرنج، وفي الحال أمر ليون جنده بحمل السلاح لصد المسلمين، وعندما رأى الأرمن إشارة الهجوم انقضوا على الكفار، وزأر ليون كالأسد ودحرهم حتى أبواب المدينة، وقام بقتل وأسر عددٍ منهم، ولم يعاود الكفار بعد ذلك للهجوم .

اكتسب ليون في ذلك اليوم سمعة بسبب شجاعته، وأصبح اسمه موضوع ثناء عند الإفرنج، ومنذ هذا الوقت أحب روجر القوات الأرمنية، وبهجماته المتتالية أجبر عزازا على الاستسلام، واستخدم الرأفة مع السكان، ولم يسئ إليهم، وتركهم ينسحبون بسلام .

تولدت العداوة بين ايلغازي وروجر بعد أن كانت مستقرة، فأصبحا عدوين لدودين، لأن حلب وعزاز من أملاك ايلغازي . هذا الأمير التركي ابن ارتق الذي كتم غيظة في قلبه .

LXXVIII / **٧٨** في بداية عام ٥٦٨ (١١١٩/٢/٢٠- ١١٢٠/٢/١٩) حشد ايلغازي جيشاً عظيماً، ربما أنه كان يُعدُّ في تلك الفترة القائد الأعلى للمسلمين[1]، تدافع الجميع لنصرته، وسار على رأس ثمانين ألف رجل لمقاتلة روجر كونت إنطاكية، وقد وصل مع تلك القوات الضخمة تحت أسوار الرها، وتوقف هناك أربعة أيام دون أن يهاجم المدينة، ثم توجه إلى نهر

---

[1] Fulcherii, Historia Iherosolimitana, Cop. XLVI

الفرات، واجتازه، وسار بسرعة، وكأنه فرس ضاق نفسه جراء العدو السريع، فقد دمر العديد من الأماكن؛ لأن تلك المقاطعات المحتلة من قبل الإفرنج لم تكن مستعدة لهذا الاجتياح المفاجئ، فاحتل القلاع والقرى والأديرة، وقتل السكان حتى الشيوخ والأطفال، ثم واصل إلى بزه [1] (Bezah) وتوقف فيها . أما روجر المغتر بقواته فلم يتخذ بأي شكل استعدادات للدفاع واثقاً كل الثقة بقواته ومفتخراً كل الفخر بسلالته التي ينحدر منها واستهان بقوات الأتراك، وتجاهل أشكال الحيطة والحذر في مثل تلك الظروف، وهكذا ودون أن يحيط نفسه بقواتٍ كافية، ودون أن يستدعي حلفاءه [2] من الإفرنج، سار يملؤه الغرور لمقاتلة الكفار. وكان

---

1 بزه بالعربية بزاعا وبزاعة، بوزا أو بيزا، مدينة تقع على بعد مسيرة يوم إلى الشمال الشرقي من حلب، وتتبع إلى أراضي حلب، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٦٧ . البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص ١٥٠، Nicétas ,historiæ Byzantinæ, ..P.15

2 يناقض متى الرهاوي، وليم الصوري ،ج١، ص ٥٧٩ . الذي يروي أن روجر عندما علم أن ايلغازي وبرفقته طغتكين ودبيس ملك العرب، تقدموا نحو أراضي إنطاكية على رأس جيش مكون من ستة آلاف رجل وعسكروا بالقرب من حلب، طلب النجدة من جوسلين كونت الرها، وبونس كونت طرابلس وبلدوين ملك أورشليم، غير أن الآخرين سمعا متأخرين بأن روجر سيلاقي الكفار . وحسب رواية ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٥٤ . اجتمع إلى ايلغازي، عشرون ألفاً من العساكر والمتطوعة للغزاة، وكان بصحبته أسامة بن مبارك بن شبل الكلابي، والأمير طغان أرسلان ابن المكر صاحب بَدْليس وأرزَن. أما ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص١٨٧، أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٥٢ . يحدد عدد قوات ايلغازي، بأكثر من أربعين الف رجل والإفرنج كان عددهم ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل، وقد حدثت المعركة بالقرب من الآثارب في مكان يدعى تل عفرين، وحسب وليم الصوري، حدثت بين الجبال في مكان مغلق من جهة، وقد حدثت يوم (١٥ ربيع الأول ٥١٣هـ/

تحت أمرته مائة فارس إفرنجي وخمسمائة فارس أرمني وأربعمائة من المشاة، ولحق به عشرة آلاف رجل من الرعاع الصعاليك المتطوعين، وهم خليط من الناس [1].

وفر الأتراك جميع الإمكانيات التي تضمن لهم النصر، ووضعوا العديد من الكمائن، وكانت أراضي مدينة الإثارب مسرحاً للصراع وأحاطت حشود الفرس بالمسيحيين ولم تدع لهم منفذاً واحداً للهرب، وقتل جميعهم بحد السيف، وهلك روجر كونت الإفرنج مع أتباعه، واستطاع عدد قليل منهم النجاة بحياته وعم بطش الفرس، بدأ من الفرات حتى

١١١٩/٦/٢٦م) . [والصحيح أن وليم الصوري، ج١، ص ٥٨٠- ٥٨٢ يذكر موقع المعركة، حقل الدم بالقرب من الأثارب وكان يوم حدوث المعركة ١١١٩/٦/٢٨م] . وحسب ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ١٨٩ ، حدثت المعركة يوم (١٧ ربيع الأول /٦/٢٧) بالقرب من بيلات ليس بعيداً عن أودية سرمدا إلى الجنوب الشرقي من إنطاكية CF.Gauthier Le chancelier, P. 455 فوشية الشارتري ، ص ١٨٦ . ويذكر ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٣٧ حدثت سنة (١٤٣٠ باليوناني ١/ أوكتوبر / ١١١٨- ٣٠ ديسمبر ١١١٩) وعقد أهل حلب هدنه مع روجر لمدة أربعة أشهر فقط، ريثما أقبل الحصاد ورُفعت البيادر، وما أن انتهت الهدنة حتى عاود روجر وحاصر المدينة، فاستغاث الحلبيون بالأمير ايلغازي، فتقدم على رأس سبعة الألف تركي ناوش الإفرنج حتى كسرهم وقتل روجر في المعركة، وأجتاح الأتراك أراضي إنطاكية، وقتلوا عدداً كبيراً من الرهبان في الجبل الأسود واستمروا في أعمالهم حتى اللحظة التي قدم بها الملك بلدوين .

1 اختلط الأمر على متى الرهاوي من حيث عدد المشاة الذين كانوا برفقة روجر وبين ما ذكره وليم الصوري، حيث يذكر أن عدد قوات روجر بلغت سبعمائة فارس وثلاثة آلاف من المشاة المدربين بالإضافة إلى تجار كانوا يتبعون الجيش للمتاجرة بسلعهم . وليم الصوري، ج١، ص ٥٨٠ . [ويضيف وليم الصوري أن جيش ايلغازي يتكون من ثلاث فرق قوام كل فرقة عشرون ألف مقاتل] .

المحيط [البحر المتوسط]، فأراقوا الدماء، وأسروا الكثير، وسحق الجيش المسيحي تماماً، وقعت تلك الكارثة في السادس من شهر كاغوتس (Kaghots)[1] عشية أحد الدسم الذي يسبق عيد تجلي المسيح .

عاد بلدوين ملك القدس إلى إنطاكية، وحشد ما تبقى من القوات وسار لملاقاة الأتراك ؛ وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر آراتس (arats) أي في السادس عشر من شهر آب حدثت معركة جديدة في نفس المكان السابق، واستطاع المسيحيون قتل عدد من الأتراك، ومن ثم هرب الجيشان، لأن كلاهما لم يستطع التغلب على الآخر، وكلاهما تعرضاً للخسائر وتجاوزت خسائر الكفار خمسة آلاف رجل، ولم يكن القتال وحده السبب في كثرة الخسائر، وإنما ارتفاع الحرارة ساعد أيضاً . وقد حمل ملك أورشليم سيفه بشدة على الكفار، وبعدها انسحب الإفرنج إلى بلادهم، وعاد الملك بلدوين إلى المدينة المقدسة [2] .

---

[1] يجب قرأة ٩ كاغوتس بدلاً من ٦ الذي يصادف يوم ٦/٢٨ . والواقع أن عيد تجلي المسيح عيد متغير عند الكنيسة الأرمنية، وقد وقع تلك السنة يوم الأحد ٧/٦ ويوم السبت عشية أحد الدسم أو في أسبوع الصيام الذي يسبق هذا العيد ويصادف يوم ٦/٢٨.

(CF Dulaurier , la chronologie arménienne, t. Ier II Partie, Anthologie chronologigue, N^0 . VV) .

[2] ذهب الملك وكونت طرابلس للإنتقام من مقتل روجر، فوصلا إلى مكان يدعى جبل النقرة، وحالما علم ايلغازي بوصولهما أرسل إليهما عشرة آلاف فارس من النخبة لإعاقة تقدمهما، وقسمت هذه الفرقة إلى ثلاث مجموعات، تقدمت الأولى منها إلى الساحل إلى ميناء القديس سيمون [ميناء السويدية]، وزحفت المجموعتان الثانيتان ضد الملك بوساطة طرق مختلفة، وحدث أن صادف ملك أورشليم إحدى هاتين المجموعتين فهاجمها وردها على أعقابها وهزمهم شر هزيمة، ثم عاد بلدوين إلى إنطاكية، بينما استطاع ايلغازي الاستيلاء على الأثارب وزردنا، حينئذ عزم الملك على ملاقاته فزحف

في العام نفسه مات إمبراطور الرومان الكسس [كومنين]، أميرٌ فاضل، حكيم، مقاتل شجاع، رحيم مع كل المؤمنين باستثناء أمتنا التي كرهها بشدة .

مع قواته نحو الروج، حيث اعتقد أنه سيجد العدو بالقرب من الأثارب، وعبرها وأقام معسكره على هضبة دانيت، وفي اليوم التالي تقدم ايلغازي مع جيش كبير لمهاجمة معسكر الملك، وكان عدد قوات الملك سبعمائة فارس، قسمهم إلى تسع كتائب في حين تصور الكفرة أن شجاعة وإقدام مشاة الإفرنج شكلت خطراً كبيراً على قواتهم، ولذلك بذلوا جهوداً بطولية لإبادتهم، وقد لاحظ الملك أن قوات المشاة تتعرض لمحنة تفوق قوتها وأن طليعة الجيش احتاجت للمساعدة فانقض وبرفقته أربع كتائب كان يحتفظ بها على قوات الكفار فولاهم الأدبار وحقق النصر عليهم، وقد كلفه هذا النصر سبعمائة من المشاة ومائة فارس . أما ايلغازي وطغتكين ودبيس فقد ولوا الأدبار وتركوا رجالهم في ساحة المعركة؛ وبعد يومين عاد الملك بلدوين إلى إنطاكية، وقد وقع هذا النصر عشية عيد صعود العذراء إلى السماء . وليم الصوري، ج١، ص ٥٨٣- ٥٨٥، فوشيه الشارتري، ص ١٨٧- ١٨٨.

إن تاريخ ٨/١٦ المحدد من قبل متى الرهاوي يتطلب تفسيراً وتوضيحاً . ففي سنة ٥٦٨ من التقويم الأرمني (١١١٩/٢/٢٠ – ١١٢٠/٢/١٩) يصادف عيد صعود العذراء المتغير عند الأرمن ما بين ١٢- ٨/١٨، وقد صادف العيد بالنسبة إليهم يوم ٨/١٧ . غير أن متى الرهاوي لم ينتبه إلى أن المعلومة التي استقاها هنا تصلح وتحسب حسب تقاليد الكنيسة اليونانية واللاتينية، حيث أن عيد صعود العذراء لا يتغير ومحدد بتاريخ ٨/١٥، وعليه فإنه في الحقيقة أن العيد صادف يوم ٨/١٤ وليس في ٨/١٦ والذي يثبت ذلك أنه في عام ١١١٩ في ٢٥ من شهر اراتسس يتوافق مع ٨/١٤ . كما أن فوشيه الشارتري [ص ١٨٨، هامش ٢٣]، يتفق مع نفس التاريخ ١٩ كالندس من أيلول، ويجب الملاحظة أنه في نفس الوقت يحدد وليم الصوري ج١، ص ٥٨٥، تاريخ المعركة ولكن يؤخر التاريخ سنة عن متى الرهاوي وفوشيه الشارتري، حيث يحدد سنة ١١٢٠ بدلاً من ١١١٩ .

صحيح أنه كان مشهوراً، ولكنه خالف وصايا الرب، فقد أمر بعمل التعميد مرتين، ورفض بازدراء هذا الأمر المقدس مع أنه أقر في مجمع نيقية دعم مبادئ مجمع خلقدونيا [1]. وعمد دون تأنيب ضميره إلى تعميد الأرمن ثانية دون أي اعتبار من خشية الروح القدس التي أقرت هذا الطقس المقدس. وأنكر تعاليم الحواري القديس بطرس الذي قال " التعميد مرة ثانية لمن قام به من قبل، هو صلب ابن الرب من جديد، واستهل بعمل سيء " [2].

في العام نفسه اعتلى العرش جون ابن وخليفة الكسس المولود في حكم والده ،وهو أمير متميز بشجاعته العسكرية، وتسامحه وحلمه،

---

[1] إن الفترة التي عقد فيها مجمع خلقدونيا (٤٥١) كان الأرمن منشغلين في دعم الحرب ضد ازدجرد (يزد جرد II) ملك فارس، وقد حال بينهم وبين المشاركة في هذا المجمع ولم يكن لهم اتصال مع اليونان. أن اتباع ايتيش والديوسكور وحتى المذاهب ادينت من قبل المجمع، وقد انتشرت الأخبار في أرمينيا ووصف الآباء في مجمع خلقدونيا بأنهم جددوا خطأ النساطرة، فانزعج الأرمن من تلك الأمور الخاطئة، ورفضوا ما جاء في المجمع، واعترفوا بمبدأ توافق طبيعتي يسوع المسيح، كما عرفه القديس سيريل الإسكندري، وقد اعتمدوا أيضاً على ارتيش وعدداً من المخالفين (الهراطقة) الذين لعنوه، أن موقفهم أسيء فهمه بين الكنيسة اليونانية واللاتينية وهو معلق إلى يومنا هذا.

(Voir Msêr Krikorian, de smyrne, catéchisme intitulé: Exercice de la foi chre'tienne, suivant la profession de foi orthodoxe [de L'Église arménienne] (en arménien), in-12. Moscou, 1850; ou verage qui aparu avec L'approbation et le Seau de Feu M, Nerses, Precedent catholicos d'Armenie).

[2] هذه الرواية مزورة، الترجمة الفرنسية.

وقد أظهر تحامله على الأرمن، وطالب بقسوة أشد من أبيه واجب إعادة التعميد، رافضاً التعميد الروحاني واستبداله بطقس ديني منقوص [1].

LXXIX / **٧٩** في العام نفسه أعطى بلدوين ملك أورشليم تل باشر والرها إلى الكونت جوسلين وأرسله إلى الرها، وأثناء فترة موت تنكريد كان بلدوين قد انتزع من جوسلين بيته وأملاكه، وبعد أن غنمه زجه في السجن، وقام بتعذيب هذا المقاتل النبيل بتجويعه وإنزال أشد صنوف العذاب به، ومن ثم سحبه من سجنه، وعامله كأنه رجل مجرم، وطرده وجعله يخدم في بلادٍ غريبة؛ أما ملك أورشليم [بلدوين البولوني] فاستدعى جوسلين بالقدوم إليه، واستقبله بحفاوة، واقطعه مدينة طبرية والأراضي المحيطة بها، ومن هنا قاوم جوسلين ببسالة أعداء الصليب، وعندما مات بلدوين [البولوني]، خلفه على العرش بلدوين دي بورغ الذي أرجع جوسلين إلى الرها، وأوكل إليه مهمة تشكيل سدً منيع ضد هجمات الفرس، والواقع أن جوسلين كان قائداً معروفاً بين الإفرنج بذكائه، وأظهر مشاعر الود والإنسانية تجاه سكان الرها، وتخلى عن الشخصية القاسية التي عامل بها السكان من قبل [2]، لقد حكم بلدوين دي بورغ إنطاكية وكل سليسيا وأورشليم وامتدت أراضيه حتى تخوم مصر.

---

1 متى الرهاوي، يتأخر هنا سنة، وحسب Zonaras, historiæ Byzantinæ Nicétas , historiæ Byzantinæ الكسس كومنين مات في ١٥/٨، وابنه جون الذي يدعى أيضاً جون الجميل خلفه مباشرة.

2 سابقاً كونت الرها بلدوين دي بورغ استقبل في عام ١١٠٢ ابن عمه جوسلين كورتناي، وهو نبيل فرنسي من مقاطعة غاتيناس (Gatinais) ومنحه ممتلكات واسعة من كونتيته، واشتملت هذه الهبة على كامل ممتلكات بلدوين الواقعة غرب نهر الفرات، وقد تضمنت مدن قورس ودلوك وقلاع تل باشر وعين تاب والراوندان مع

LXXX / ٨٠ في بداية عام ٥٦٩ (١١١٢/٢/٢٠م – ١١٢١/٢/١٨م) قام الأمير ايلغازي من جديد بحشد قواته، وقد عدوا بمائة وثلاثين ألف رجل، وتقدم لمقاتلة الإفرنج، ووصل بسرعة تحت أسوار الرها؛ وقد غُطيت السهول المجاورة بجنده، وعسكر أربعة أيام قبالة المدينة، قام خلالها بتدمير كل الأرياف المجاورة ثم مر بمدينة سروج واجتاز خفية الفرات بعدد كبير من قواته. ومن تل باشر حتى كيسوم أسر عددا من الرجال والنساء وقتلهم دون رحمة وأحرقهم وشوى أعداداً لا تحصى من الأطفال ببربرية لا سابق لها. وعند عبوره الفرات بقواته أباد سكان العديد من القرى، وقتل القساوسة والرهبان، إما بحد السيف أو حرقاً. أن الكونت جوسلين الذي كان يقيم آنذاك في أراضي مدينة رعبان الحصينة، ذهب مسرعاً إلى كيسوم وبهسنى وانضم إلى قواته، واتبع الأتراك، وعند الفجر انقض

أماكن أخرى، واحتفظ الكونت لنفسه بالمنطقة الواقعة وراء نهر الفرات (الشرق) كونها أكثر قرباً من ممتلكات العدو، واحتفظ بمدينة سميساط مع أنها ضمن الأراضي التي منحها إلى جوسلين، وليم الصوري، ج١، ص ٥٠٨. وفي وقت لاحق تنكر جوسلين لمن أحسن إليه في وسط رغد العيش الذي كان يتمتع به، وأنه لم يحرك ساكناً لنجدة بلدوين مع أن جوسلين كان يعلم تماماً أن بلدوين وأتباعه كانوا في أضيق حال، والمؤرخ اللاتيني [وليم الصوري، ج١، ص ٥٥٢- ٥٥٣] يذكر ما أشار إليه متى الرهاوي بلدوين البولوني الذي منحه بدوره طبرية، وقد تبين ص ٢١٢ هامش (١) كيف بسط جوسلين نفوذه على بارونات سوريا، وكيف رجح انتخاب بلدوين دي بورغ رغم الخلاف بينهما كملك على أورشليم، وبعد أن وصل بلدوين إلى العرش رغب طوعاً أن يكافئه عن خدماته راجياً أن يعوضه عن الإساءة التي ألحقها به فيما مضى، وعهد إليه بالمسؤولية الكاملة عن كونتية الرها بحكم أنه الرجل الوحيد الذي يعرف المنطقة بشكل جيد، وحالما أدى جوسلين يمين الولاء أعطي الراية وسلّم ملكية الرها، وليم الصوري، ج١، ص ٥٧٣- ٥٧٤.

عليهم وقتل منهم ألفا، فانسحب ايلغازي مع قواته وعسكر بالقرب من عزاز، وجراء تلك الأحداث توجه ملك أورشليم إلى عزاز على رأس كل جيوش الإفرنج لمنازلة الأتراك، ووصل جوسلين إلى إنطاكية لدعم جيش الملك، وأقام الكفار والمسيحيون عدة أيام دون قتال، بعدها انسحب ايلغازي إلى جارميان[1] التي تقع ضمن أراضي ملطية، وعاد الملك إلى أورشليم وجوسلين إلى الرها[2].

٨١/LXXXI في سنة ٥٧٠ (١١٢١/٢/١٩- ١١٢٢/٢/١٨) كان أمير منطقة كنتزاغ (Kantzag) ويدعى غازي ،وكان رجلا دمويا، سفيها، شريرا، وكان جاراً للجورجيين وصديقاً وتابعاً لحاكمهم[3]، صنع عملاً

---

1 إن تسمية جارميان أو جورميان أطلقت على جزء من أراضي ملطية، وربما يعود ذلك إلى العصر السلجوقي، وقد جاءت التسمية بسبب كثرة أمراء التركمان في المنطقة.

2 صراع ايلغازي مع الإفرنج يرويه كل من ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٦٨، ٥٨٧ وأبو الفدا، المختصر، ج ٢، ص ٥٤، ٥٦، وابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٢٩٥ . فمن أحداث عام ٥١٤ هـ (١١٢٠/٤/٢- ١١٢١/٣/٢١م)، حيث كان جيش ايلغازي يتكون أساساً من التركمان وأن المعركة وقعت في منطقة ذات البقل على أراضي المدينة الصغيرة، سرمين الواقعة ضمن أعمال حلب . كما أن جوسلين لم يتوان من الانتقام من الكفار كما يرويه نفس المؤرخين المتفقين مع كاتب الحوليات الأرمني .

3 إن الصفات التي يشير إليها متى الرهاوي يقصد بها الأمير غازي التابع لملك جورجيا، ويظهر جلياً أن هذه الشخصية لا يجب الخلط بينها وبين أمير ماردين المشهور ايلغازي، والواقع أن المؤرخين عادة يطلقون عليه باسم غازي، وليم الصوري، ج١، ص ٥٧٩. ويشير أيضاً باسم ايلغازي، انظر وليم الصوري، ج١، ص ٥٧٩ . وكذلك ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٣٦- ١٣٨ يذكره باسم ايلغازي وليس باسم غازي، ومع أنه يذكر غازي بن الدانشمند في رواية أخرى . على أنه ايلغازي غير أن ابن العبري يرجح

شنيعاً، فقد جمع ثلاثين ألفا من الأتراك، وتوغل في الأراضي الجورجية، وأسر عدداً من السكان انتزعهم من بيوتهم، ثم عاد وأقام معسكره في البلاد التي كان يقيم فيها، وعندما علم بهذا الاعتداء تافيت (دافيد) ملك جورجيا[1]، أرسل قواته لطرد الأتراك، فانطلقت خفية وانقضت على الأتراك وأبادت ثلاثين ألف رجل، واستولت على نسائهم وأطفالهم وقطعان لا تعد ولا تحصى من النعاج والخراف، وعادوا محملين بالغنائم. أما الأتراك الذين هربوا من الجورجيين، وأثقلتهم الهزيمة، فشقوا ثيابهم ونثروا التراب على رؤوسهم، ولبسوا ثياب الحداد والرؤوس مكشوفة، وعادوا إلى كنتزاغ حاملين فاجعتهم إلى سلطانهم ملك بن محمد دافار ساكبين الدموع وملتمسين عطفه، وذهب جزءاً آخر عند العرب في مقاطعة جارميان عند الأمير ايلغازي بن ارتق يرون له الفاجعة باكين مصيبتهم . فأمر هذا الأمير [ايلغازي] مدفوعاً بقوته وغطرسته بتجنيد جيشاً، واستدعى جميع الأتراك من بلاد اليونان حتى الشرق بالإضافة للموجودين في بلاد جارميان، وقد وصل تعداد جيشه إلى مائة وخمسين ألف رجل، وأرسل إلى مناطق الوسط من بلاد العرب يطلب مساعدة ملك تلك الأمة صدقة بن دبيس[2]

الذي قام بهذه الحملة هو ايلغازي وليس غازي بن الدانشمند] . بينما يكتبه المؤرخ (Gauthier Le chancelier) باسم الغازي .

1 داوود الثاني الملقب بالمصلح، وهو أحد ألمع قادة جورجيا، كان ابن جيورجي II من عائلة البجراتيد تولى العرش عام ١٠٨٩م واحتفظ به حتى عام ١١٢٥، مدى ٣٦ عاماً.

2 يخطئ متى الرهاوي هنا، حيث أن المقصود هنا أبو الأعز دبيس ابن سيف الدولة صدقة، حسب ما ورد عند المؤرخين المسلمين . [ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص ٣٤٧٨، ٣٤٨٦، ٤٨٨٧ . ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت ١٣٧٢م/ ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ١٤جـ، ط٦، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٥م/ ١٤٠٥هـ، ج ١٢، ص ٢٠٩ . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٥٦]. بالإضافة للحملة الواقعة على

الذي وصل على رأس عشرة آلاف جندي. كان هذا الأمير محارباً مقداماً، دمر مدينة بغداد، قاتل بنجاح ثلاث مرات دافار سلطان الفرس، وقد كان من طائفة الرافضين، يقذف محمدا ودينه[1]، ونصب خيمة في وسط أثيوبيا

الفرات . مات والده صدقة في شهر رجب ٥٠١هـ/١١٠٧/٨/٢٢- ١١٠٨/٨/١٠) في معركة خاضها ضد السلطان محمد (دافار)، والواضح أن متى خلط بين الأب صدقة والابن دبيس . وتسبت إلى الابن الحروب التي خاضها صدقة الأب ضد السلطان محمد. في عام ٥١٧هـ/ ١١٢٣م) انتصر الخليفة المسترشد على دبيس فهرب وقصد غُزّية من عرب نجد فلم تستقبله فقصد قبيلة المنتفق، فاتفق معها وقصدوا البصرة معاً فدمروها، ثم فارق البصرة وعبر إلى سوريا حيث الإفرنج، ونجح باقتناعهم في محاصرة حلب والاستيلاء عليها،] وعندما فشل هذا التحالف التحق دبيس بالملك طغرل ابن السلطان محمدا، [ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٦٠٧- ٦١٠]. وقصد البصرة للمرة الثانية في عام ٥٢٣هـ/١١٢٩، أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٦٣ .[ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٦٥٥]، وقد قتل بأمر من السلطان مسعود قرب مدينة خوى بوساطة غلام أرمني يوم ١٤/ذو الحجة ٥٢٩هـ/ ١١٣٥/٨/١٢م ،[أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٧٤ ،ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٤٩] . ويسميه وليم الصوري، ج٢، ص ٥٧٩ دبيس .

[1] الرافضون، طائفة تلعن أبو بكر وعمر وعثمان، ويرفضون لقب وشرعية الخلفاء، إلا أنها ترى أن علي وسلالته وحدهم الخلفاء الحقيقيون للرسول، إن هذه الطائفة التي ينتمي إليها المسلمون الشيعة في بلاد فارس، فقد نشأ عنها طائفة الباطنية؛ الإسماعلية أو الحشاشين، وعرف رئيسها من قبل مؤرخي الحوليات الصليبية ومن ماركو بولو باسم شيخ الجبل، إن طائفة الإسماعلية تقوض في أساساتها بعض القضايا الدينة . CF. Silvestre de sacy, Exposé de la religion des Druzes, 2 vol in-8, ibid. 1838, introd P.XLVII, XLVIII et LXIV, Sale (George), The Koran, commonly called the Alcoran of Mohammed, translated from the original Arabic, a new edition, in-8°.London, 1838, 58. إن الذي يفسر صفة الشاتمين لمحمد ما ينسبه متى الرهاوي إلى دبيس الذي كان في حرب مستمرة مع الخليفة المسترشد الذي استولى على أراضي دبيس، وقد مات المسترشد في شهر (ذو القعدة ٥٢٩هـ/١١٣٥/٩/٨م) على

والهند، وتزوج من ابنه الأمير الفارسي الغازي[1]. الذي وصل في هذه السنة إلى كنتزاغ مع قوات كبيرة متجها نحو جورجيا .

٨٢/LXXXII عبر ملك (ابن السلطان محمد السلجوقي)، وسلطان كنتزاغ (غازي) على رأس أربعمائة ألف فارس وراجل أراضي جورجيا من جهة مدينة دفخيس (تفليس) عبر جبال تيغور [2] . وعندما علم ملك جورجيا ؛ ديفيد بن باكاراد (باغرات) ابن كوركي (جورجي) [3] باقتراب الأتراك، تحضر وتقدم لمقاتلتهم مع جيش بلغ تعداده أربعين ألف مقاتل مقدام، وكان تحت إمرته خمسة عشر ألف رجل من النخبة، جهزه بهم ملك القفقاس، وخمسة آلاف زوده بهم الألنس [4]، ومئات من الإفرنج، وحدثت

يد عدد من الإسماعلية بناء على طلب السلطان سنجر، كما يؤكد ذلك Noveiri (schehâb-Eddin Ahmed), auteur arabe des XIII et XIV siècle,Encyclopédie hislorique, mss. de la Bibliothèque impériale, ancien fonds arabe,n 645et 683 ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٤٩ .

1 الأميرة هي كوهر خاتون .

2 جبل تيغور أو ديرغور يقع إلى الجنوب الغربي من تفليس .
(CF. Brosset, Histoire de Géorqie , depuis l'antiquité jusqu' au XIX siècle, traduite du géorgien, 4 vol. In-4° . Saint-Petersbourg , 1849-1858, p. 236. Note 1; et Saint-Martin.Mémoires historiques et géographiques sur l'Arménie, t, II.P. 233.)

3 يجب أن يقرأ ابن كوركي (جورجي II) ابن باكاراد (باغرات IV) .

4 الألنس أو الأليناس شعوب سكنت في الشمال الشرقي من أرمينيا الكبرى وكان يحدهم من الغرب جورجيا ومن الشمال بلاد المساجيتيس (المسكوتك) ومن الشرق بحر قزوين، وبنيت لهم أول مستعمرة على ضفاف نهر الدانوب، ومنها ذهبت هذه الشعوب عام ٤٠٦م برفقة السيوف والوندال ودمروا ألمانيا وانتشروا في بلاد الغال

المعركة يوم الخميس ٨/١٥ في أسبوع الصيام الذي يُترقب فيه عيد أم الرب[1]، لقد كانت معركة سريعة، دوى الجبلان اللذان دارت المعركة بينهما من تصادم الجيشين، ولكن الرب هب لنجدة الجورجيين، فأثمرت جهودهم البطولية في هزيمة الأتراك، فكانت مذبحة رهيبة، غطت الجثث الأنهار والوديان وتكدست حتى قمم الجبال التي اختفت وتوارت تحت أجساد القتلى، لقد ترك الأتراك أربعمائة ألف قتيل في مكان المعركة، وأسر ثلاثون ألفا؛ هذا وقد غطت الخيول وأسلحة القتلى السهول على مدى البصر؛ وطارد القفقاس والجورجيون ثمانية أيام فلول العدو حتى حدود مدينة آني . وعاد سلطان الفرس ملك والغازي إلى بلادهم يحملون العار . أما الكفار الذين نجو بأرواحهم بشق الأنفس فلم يتجاوزوا العشرين ألفا، وهذا الجزء اليسير الذي بقي من ذلك الجيش الذي لا يحصى[2] .

(فرنسا) وشبه الجزيرة الإسبانية، هذه الشعوب هي الأوس أو الأوست، وهي تقيم الآن في أواسط بلاد القوقاز .

1 يجب قرأته يوم ٨/١٤ وذلك لأن عيد صعود العذراء عند الكنيسة الأرمنية يصادف في تلك السنة ١٧ وأن يوم الخميس من أسبوع الصيام يسبق هذا العيد، وكان يصادف يوم هزيمة الأتراك على يد الجورجيين والذي يصادف يوم ٨/١٤ وهذا التاريخ ٥٧٠ من التقويم الأرمني ١١٢١م وقد أكد هذا التاريخ من قبل كرنوا غراف صموئيل Samuel D'Ani من مدينة آني، وكذلك من

Brosset, Histoire de Géorqie, p. 336 CF. Dulaurier , chronologie arménienne, t^{e}. II^{c} Partie,Anthologie chronologique , n^{0}LXVIII

2 في رواية الحملة ضد جورجيا من السهل معرفة كيف أن متى الرهاوي بالغ في عدد الكفار وظروف انهزامهم، فشهادة ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٦٧، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ١٤٦٩م/ ٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، ٧م، ط٣،دار الكتاب اللبناني، بيروت، (١٩٥٦م - ١٩٥٨م/ ١٣٧٦هـ-

في نفس السنة انتزع ديفيد تفليس من الفرس وسفك الدماء، ووضع خمسمائة رجل على خازوق الواحد تلو الآخر، ماتوا في هذه العقاب المهول [1].

١٢٧٨هـ)، ج٥، ص ٥٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق ١، ص ١٥١، ابن العبري، تاريخ مختر الدول، ص ٢٠١- ٢٠٢ جميعهم يتناقضون مع رواية متى في عام ٥١٤ هـ (١١٢٠- ١١٢١م) تحالف الجورجيون (الكرج) وهم الخزر مع القفجاق وقصدوا أراضي المسلمين، فتحالف الأمير ايلغازي ودبيس بن صدقة والملك طغرل ابن محمد الذي كان يحكم أران ونَقْجُوان إلى آرس، فاجتمعوا مع ثلاثين ألف رجل لملاقاة الكرج والتقى الجيشان بالقرب من تفليس وعندما تحضروا للمعركة تقدم من القفجاق مائتا رجل ظن المسلمون أنهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم، فرموا المسلمين بالنشاب مما ادى إلى انتشار الفوضى بين صفوف المسلمين، حيث أن من كان في الخلف ظن أن المسلمين ينسحبون، فقاموا بالهرب وتبعهم الكرج والقفجاق فقتلوا أكثرهم وأسروا أربعة آلاف رجل، ونجا الملك طغرل وايلغازي ودبيس لوعاد الكرج ونهبوا بلاد المسلمين وحاصروا مدينة تفليس وشددوا الحصار حتى ملكوها عنوةً.

[1] ورد العديد من الاختلافات حول تاريخ سقوط مدينة تفليس على يد الملك ديفيد II، فالمؤرخون المسلمون ومنهم أبو الفدا، المختصر، ج٢، ص ٥٣. وابن كثير، البداية، ج ١٢، ص ١٨٥، يذكران سقوط تفليس عام ٥١٤ (١١٢٠- ١١٢١).أما ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٦٧، و الذهبي، محمد بن احمد (ت ١٣٧٤م/ ٧٤٨هـ)، العبر في من غبر، ٤ج، تحقيق محمد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٤، ص ٣١، وياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٦. يحددونها عام ٥١٥ (١١٢١- ١١٢٢م)، أما الذهبي، محمد ابن احمد (ت ١٣٧٤م/ ٧٤٨هـ)، دول الاسلام، ٢جـ، ط٢، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند، ١٩٤٤م/ ١٣٦٤هـ، ج٢، ص ٢٨. وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ١٠١، يحددانها عام ٥١٦هـ / (١١٢٢- ١١٢٣م)، بينما ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ٢٠٢، يذكر أن الحصار دام من عام ٥١٤ حتى ٥١٥هـ، وهذا ما ذهب إليه ابن الأثير أيضاً. المؤرخ الأرمني صموئيل الآني يتفق مع متى الرهاوي ويحددها عام ٥٧٠ من التقويم الأرمني، أما المؤرخ الأرمني Orbêlian (Étienne), de la famille des princes Orbêlians, archevêque de siounik', auteur arménien du XIII siècle, Histoire de

LXXXIII / ٨٣ في شهر آب من السنة نفسها، ضربت صاعقة مسجد بغداد الكبير [1]، فأحرقته، وكان المسجد يمتاز بجماله، شيده الأمير طغرل [بك] شقيق الأمير ألب أرسلان أثناء غزوه بلاد فارس. هذا الأمير حارب إمبراطورية [الفرس] عشرين عاماً قبل أن تخضع لسيطرته ويحكمها. وعند مجيئه إلى بغداد شيد ذلك المسجد حتى لا يضطر الأتراك دخول الجوامع التي يرتادها العرب؛ إلا أن النار أجهزت على مسجد الأتراك النجس [2] مكان اجتماعاتهم.

---

la province de Siounik', par l'archimandrite Garabed Schahnazarian. 2 vol. In-12, Paris, 1859. t. II. P.124 يحددها عام ٥٧٢ من التقويم الأرمني ١٩/٢/١١٢٣- ١٨/٢/١١٢٤م.

1 [الحجاج بن أرطاة الذي خط مسجدا جامعا مع بغداد بأمر من أبي جعفر المنصور عندما أمر ببناء مدينة بغداد عام (١٤٦هـ/ ٧٦٣م) والمتعارف عليه في تخطيط المدن الإسلامية بناء المسجد أولاً. انظر الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ج٧، ص ٦١٤- ٦٢٣، ٦٥٠- ٦٥٢. والمسجد الذي بناه طغرل غير المسجد الجامع في بغداد كما يشير متى الرهاوي، والواقع أن السؤال الذي يطرح في هذا المقام هل هناك صواعق تحدث في شهر آب، (فصل الصيف)، ومع أن المصادر الإسلامية لا تشير إلى حريق المسجد الذي يذكره متى الرهاوي فلعل متى الرهاوي أخطأ في أمرين أولهما تحديد الفترة الزمنية للصاعقة هذا إن كان هناك صاعقة في الأصل، وهو الأمر الثاني ولعل حريق المسجد كان بفعل فاعل وبخاصة أن الفترة كانت مليئة بالاضطرابات بين العرب والسلاجقة في تلك الفترة وبخاصة أنه كان هناك سياسة فصل بين السلاجقة والعرب حتى في المساجد وهذا ما أشار إليه متى الرهاوي في نفس الرواية.]

2 [وهذا وصف المؤلف متى الرهاوي، وتم ترجمة العبارة كما هي في الأصل.]

LXXXIV / ٨٤ في سنة ٥٧١ (١١٢٢/٢/١٩ - ١١٢٣/٢/١٨) قام ايلغازي القائد الأعلى لقوات الفرس [1] بحشد قواته، وزحف بها نحو الإفرنج، فاتجه أولاً إلى حلب، ثم توجه إلى مدينة المسلمين شيزر وعسكر بجوارها، مما جعل بلدوين ملك أورشليم يهرع لمواجهة تلك الحملة، وانضم إليه جوسلين كونت مدينة الرها ووحدا قواتهما وعسكرا قبالة معسكر الأتراك ومضى فصل الصيف دون اشتباكات، وبحلول شهر أيلول انسحب الجيشان وعادا أدراجهما إلى بلادهم، فدخل الأمير ايلغازي حلب، وعاد ابن أخته [2] بلك الفارس المقدام سراً إلى ولايته هنتزيط [3] (Hantzith). وعندما علم جوسلين ووليران برحيله، قاما بتقفي خطاه على رأس مائة من الفرسان، وتمكنا من إدراكه في أراضي الرها عند قرية دفتيل (Daphthil)، وكان بلك قد عسكر مع ثمانمائة فارس من فرسانه في موقع يحيط به نهر ومستنقعات من جميع الجهات، وتمترس في هذا المكان الحصين، فانقض الإفرنج على الأتراك غير آبهين كالمجانين، فلم يستطيعوا عبور تلك المستنقعات والأودية العميقة التي يتمترس فيها الأتراك.

---

1 [المقصود هنا : الأراتقة].

2 إن بلك ليس ابن أخت ايلغازي كما يدعي متى الرهاوي وإنما هو ابن أخيه بهرام، لويعرف باسم بلك بن بهرام بن أرتق والملقب بـ (نور الدولة) وهو من الأراتقة الأوائل، ومن كبار أمرائهم، انظر تفاصيل أكثر الرويضي، بلك بن بهرام الأرتقي، (أبحاث ودراسات)، ص ١٣١- ١٦٤ . انظر ترجمته، ص ١٧٠ هامش (٢)].

3 لهنْزيط : بلدة تعد من الثغور الرومية بالقرب من مرعش، ياقوت، معجم، البلدان، ج٥، ص ٤١٨، البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت ١٠٩٤م/ ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم، ٤ جـ، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧م/ ١٣٦٦هـ، ج٤، ص ١٣٥٥].

فحشد بلك قواته، وقام الكفار [الأتراك] برمي وابل من سهامهم على خيول الإفرنج فولت الأدبار، وأسروا جوسلين ووليران، بعد أن قطعوا المسيحيين إرباً إربا، واقتيد الكونتيان مثقلين بالسلاسل إلى مدينة خرتبرت [1] (Kharpert) وأُودعا في سجنها، واقتيد خمسة وعشرون جندياً من مرافقيهم إلى سجن بالو [2] (Palon). تلك الكارثة التي حدثت في ١٣ أيلول [3]، أغرقت صفوف المؤمنين في حزنٍ وذعر شديد.

---

1 خَرْتَبِرْتُ: اسم أرمني، وهو الحصن المعروف بحصن زياد، يقع في أقصى ديار بكر من بلاد الروم، بينه وبين ملطيه مسيرة يومين يفصل بينهما الفرات. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٥٥.

2 بالو أو باعو قلعة حصينة على الضفة الشرقية لنهر الفرات، وهي المركز الإداري لإمارة بلك في وادي بالو الواقعة ضمن ولاية خوزان في أرمينيا الرابعة، وتبعد بالو مسيرة ثلاثة أيام إلى الشمال من مدينة آمد. Indjidji , Description de l'Arménie moderne , P.225. Indjidji ,Description de l'Arménie ancienne. P.46

3 وكان برفقة ملك القدس جوسلين وأعيان إنطاكية، وقد تقدموا وبنيتهم القيام بهجوم جديد على ايلغازي، وذلك عندما أصابته فجأة انفجار دماغي حسب شهادة وليم الصوري، ج١، ص ٥٨٧، وكذلك (Gauthier Le Chance Lier, P. 466)، ولكن حسب ابن العديم، زبدة الحلب، [ج١، ص ٤٠٥] توفي ايلغازي نتيجة عسر في الهضم. ويحدد وليم الصوري، [ج١، ص ٥٨٧] تاريخ وفاته عام ١١٢١م بدلاً من عام ١١٢٢م وهو عادة ما يفعل ذلك في بعض الأحيان، وحدد ابن الأثير، الكامل [ج١٠، ص٦٠٤]، [وابن العديم، زبدة الحلب، ج١٠، ص ٤٠٦]. وأبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، [ج٢، ص ٥٩] تاريخ وفاة ايلغازي في شهر رمضان عام ٥١٦هـ/ تشرين ثاني ١١٢٢م.

في الفترة نفسها مات الأمير ايلغازي العظيم ابن أرتق تاركاً إدارة ولاياته ورعاية بيته وولديه سليمان وتيمور طاش [1] إلى ابن أخته [2] الأمير بلك . ونقل رفاته في هودج من حلب إلى حران (Kharan) ومنها إلى مدينة ميافارقين (Movpharghon/Meafarkin) حيث تم دفنه، وتوج بلك نفسه أميراً على عدد كبير من الأقطار .

٨٥ / LXXXV في عام ٥٧٢ (١١٢٣/٢/١٩ -١١٢٤/٢/١٨) حشد بلدوين ملك أورشليم قواته من جديد للانتقام من الأمير بلك وإنقاذ جوسلين ووليران من الأسر، فوصل الملك مع قوات الإفرنج إلى مدينة رعبان، وكان الأمير بلك، قد وصل إلى مشارف تلك الولاية وجعلها مسرحاً للسلب والنهب وأخذ الأسرى، وكان كلّ جيش منهم يتجاهل وجود الآخر . تقدم بلدوين مع فرقة ضعيفة إلى قنطرة شندش (Shendche) [3] وعبر النهر من ذلك الجسر، وعسكر في موقع يدعى شندشيج Schendchig . وكمن بلك مع

---

[1] خلف ايلغازي على ماردين ابنه حسام الدين تمرتاش، وشمس الدولة سليمان ميافارفين، بينما بقيت حلب من نصيب ابن أخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار ابن أرتق حتى تم الاستيلاء عليها من قبل ابن عمه بلك أبو الفرج، تاريخ الزمان، ص ٢٠٢ . [سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١، ق ١، ص ١٠٣، ١١٧، ابن شداد، الأعلاق، ج٣، ق ٢، ص ٥٥٥، تاريخ ابن القلانسي، ص ٢٠٢، ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٤٠٧]

[2] انظر ١٧٠ هامش (٢) .

[3] Shendche تعرف بالعربية سَنْجَه وتعني النهر الأزرق وهو نهر عظيم يجري إلى الشمال الغربي من مدينة سميساط، ويصب في نهر الفرات غير بعيد عن مدينة سميساط، ويعود بناء جسر سنجه إلى العصر الروماني، ويعده كتاب العرب من عجائب الدنيا، انظر البغدادي، مراصد الإطلاع، ج٢، ص ٥٨ . انظر مقدمه أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٦ . ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٦٤- ٢٦٥ .

عددٍ كبير من قواته في مكان غير بعيد عن معسكر الإفرنج، وبعد أن نصبت خيمة الملك، أراد أن يستمتع بالصيد عن طريق الصقر، فانقض بلك وقواته فجأة على المسيحيين، وأحدثوا بهم مجزرة فظيعة وألقي القبض على الملك وابن أخته، إن تلك الحادثة وقعت في شهر هوري في اليوم الرابع بعد عيد الفصح.[1] وقام بلك باقتياد بلدوين إلى أبواب كركر (Gargar)[2]، حيث أمرَ له بتسليم هذه القلعة، ثم اقتيد الملك وابن أخته إلى خرتبرت مقيدين بالأغلال والأصفاد والقيا في السجن مع جوسلين ووليران [3].

---

1 يوافق شهر هوري في تلك السنة (٣/٢٢- ٤/٢٠)، وقد وقع عيد الفصح يوم ٤/١٥، وكانت الحادثة يوم الأربعاء ٤/١٨ . [انظر ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٣٩] .

2 [كَرْكَرُ : حصن بين سميساط وحصن زياد (خرتبرت) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٤٥٣] .

3 أراد الملك أن يطلق بنفسه على الأوضاع في أملاك المسيحيين الموجودة وراء الفرات، فذهب من تل باشر إلى الرها، وأقام فيها عدة أيام، [اتخذ خلالها تدابير عدة كانت لازمة بتوفير الحماية لها، وانطلق عائداً إلى غرب الفرات حيث بلدة رعبان ومنها إلى مدينة كيسوم] . وقد اختطف الملك أثناء الليل على غفلة من موكبة وبين مرافقيه، وذلك من قبل بلك الذي كان قد أعد الكمائن استعداداً لمواجهة الملك خلال مروره . هذا الحادث المؤسف انتقلت أخباره إلى الناس، فاجتمع كبار سادة المملكة ورجال الدين بالقرب من عكا، وأعطوا الولاية إلى يوستاس جرنيه (Eustache Grenier) قائد عام جيوش المملكة، وسيد صيدا وقيسارية . إلا أن جرنيه مات بعد فترة وجيزة، وفي نفس العام تم تعيين وليم دو بورس (بوريس) (Guillaume de Bures) سيد طبريا الذي حكم بمساعدة باين لوشانسيليه، وليم الصوري، ج١، ص ٥٩١ . [فوشية الشارتري، ص ٢٠٠] . ويذكر ابن العديم، زيدة الحلب، ج١، ص ٤٠٨ سار الملك بلدوين يوم الأربعاء ١٩ صفر / ٥١٧/ ١١٠٣/٤/١٨ ليقاتل بلك الذي كان محاصراً قلعة كركر، فالتقيا في مكان يدعى أروش (Wilken Geschichte der Kreuzzuge T. II, P.477) بالقرب من قنطرة سنجه، فهزم بلك الملك، وأسره، وقتل معظم عسكره ومقدميه مع أن جيش الملك كان أكثر عدداً من جيش بلك، وسلب خيمة الملك وبعد جمعة احتل كركر، وسجن بلدوين في خرتبرت مع جوسلين وجاليران .

/LXXXVI ٨٦ في نفس العام، وبعد خمسة أشهر، حدث أمر يثير الدهشة، إلا أنه ترك مأساة، إذ اجتمع خمسة عشر رجلاً في قلعة بهسنى وخططوا للقيام بعمل بطولي، وخالد، وساروا حتى وصلوا ولاية هنزيط، حيث قلعة خرتبرت التي يسجن بها ملك أورشليم وجوسلين ووليران، وبعد أن أمضوا وقتاً في مراقبتها تمكنوا من اكتشاف عدد حراسها وأماكنهم فاقتربوا من بوابة القلعة متخفين في ملابسٍ رثة كأنهم خارجون من مشاجرة، فقاموا باستقاء معلومات مع رجلٍ داخل القلعة، وبعد فترة وجيزة دخلوا إلى القلعة ووصلوا مكان السجن فقتلوا الجنود الحراس الذين واجهوهم، وأغلقوا الأبواب، وتقدموا مطلقين صيحاتهم العالية حتى وصلوا البرج الذي يحتجز فيه ملك أورشليم وجوسلين ووليران وبعض القادة الآخرين، وقاموا بكسر قيودهم والفرحة تغمرهم، وحرروا عدداً كبيراً من الجند، والرجال والنساء الأسرى، وتقدم لمساعدتهم بعض سكان البلاد . تخلص الملك ومرافقوه غير المحظوظين من قيودهم واستولوا على القلعة ومنزل الأمير بلك[1]. وعندما علمت قوات الكفار المتواجدة في المقاطعة بما جرى تركت مواقعها ولاذت بالفرار، وعند فجر اليوم الرابع

---

[1] إن تلك الخطوة الجريئة قام بها خمسون رجلاً من الأرمن الموالين لكونت الرها، وهاجموا قلعة خرتبرت بهدف تحرير الأسرى المسيحيين الذين أسرهم بلك، وتلك الحادثة الأكيدة تم روايتها من قبل وليم الصوري، ج١، ص ٥٩٢ . أما ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٣٩ . يذكر أن مجموعة من العمال الأرمن في القلعة عندما علموا بقلة عدد الحامية في القلعة، احتشدوا في بابها يتذمرون بسبب رواتبهم [ثم وثبوا وانتزعوا ما هناك من السيوف وفتكوا بالحراس الأتراك] . [انظر تفاصيل أكثر فوشيه الشارتري، ص ٢٠٠- ٢٠١ مؤلف سرياني رهاوي (زكار)، ج٢، ص ٤٨٥. (Ordericus Vitalis; Historiae Ecclesiastica, P. 247-249) يعطي ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٦١٤ . تاريخ الحادثة في شهر ربيع الأول ٥١٧هـ / أيار ١١٢٣م .

من الأسبوع (الأربعاء) غادر جوسلين خلسة وبرفقته عدد من المشاة إلى كيسون (Kecoun) ومنها إلى إنطاكية من أجل حشد قوات لنجدة الملك ومرافقيه في الأسر .

كان قائد الإفرنج في ذلك الوقت الكونت جيوفروي (Geoffroy)، محاربا باسلا ومؤمنا ورعا، دافع بساعده ضد الأتراك عن جميع المقاطعات التي كانت تحت نفوذ الإفرنج، أورشليم، إنطاكية، والرها . لقد حماها بمقدرته وفطنته وشجاعته .

وعندما علم الأمير التركي بلك الذي كان موجودا في حلب بتفاصيل تلك الضربة التي جعلت المسيحيين من جديد حكاماً على خرتبرت، ذهب مسرعاً كالنسر، ووصل إلى المدينة خلال خمسة عشر يوما وحاصر القلعة بقسوة، وقام فرسانه باستخدام الآلات لتقويض أسوار القلعة وهدم البرج الكبير، وكان نجاحهم قد أنزل الرعب في أوصال المسيحيين واقتسم الكونت وليران الخوف مع المسيحيين، فذهب لملاقاة بلك وسلمة خرتبرت، وقتل الأمير بلك في اليوم نفسه كل الأسرى، وكان عددهم يناهز خمسة وستين، وثمانين امرأة جميلة، وذلك بحكمه عليهم برمي أنفسهم من أعلى أسوار القلعة، وأخذته نشوته بإعادة تغليل الملك وابن أخته ووليران من جديد، وأثناء ذلك تقدم جوسلين على رأس جيش من الإفرنج لنجدتهم، وعندما علم جوسلين وجيوفروي بأمر تلك الأحداث قفلا راجعين يعتصرهما الألم، وبقيّ الملك وابن أخته ووليران في السجن [1] .

---

[1] وحسب ما ورد عند ابن العديم، زبدة حلب، ج١، ص ٤١٠- ٤١١ . أن بلك احتل قلعة خرتبرت يوم ٢٣ رجب ٥١٣/١٦/٩/١١٢٣م، وقتل كل من كان في القلعة ممن تآمروا عليه وجميع الإفرنج، ولم يستبق سوى بلدوين ووليران وابن أخت بلدوين، واقتادهم

٨٧/LXXXVII في السنة هذه، نشبت معركة بين الطيور في ضواحي ولاية ملطية؛ طيور اللقالق والكركي وطيور الشيق [1] (Aros) وانطلقت تتعارك وتتراكض في جميع الاتجاهات، واستطاعت طيور الكركي هزيمة اللقالق وقتلها، ولم يبق منها إلا القليل [2].

٨٨ /LXXXVIII في السنة نفسها مات الفيلسوف الأرمني العظيم بول[3]، هذا الراهب كان لامعاً، ومتعمقاً في دراسة العهد القديم والجديد،

إلى حران وسجنهم هناك. أما وليم الصوري، ج ١، ص ٥٩٣- ٥٩٤، فنقرأ عنده أن هناك برجا يرتفع على تلة تشرف عليها قلعة خرتبرت، لقد استطاعت قوات الأمير بلك أن تنقبه؛ فانهار محدثاً جلجلة رهيبة، مما أخاف الملك أن تنهار القلعة بنفس الطريقة، فأرسل إلى بلك وسلم القلعة دون شروط فأبقى بلك على حياة الملك وابن أخته ووليران، أما الأرمن الذين نفذوا المهمة حُكم عليهم بالموت تحت وطأة التعذيب الشديد (انظر التفاصيل، فوشية الشارتري، ص ٢٠٥- ٢٠٦، مؤلف سرياني رهاوي، (زكار)، ج٢، ص ٤٨٦. تاريخ ابن القلانسي، ص ٢١٠. ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٦١٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ١١١. تاريخ العظيمي، (Journal) ص ٣٩٢.

(Ordericus Vitalis; Historiae Ecclesiastice, P.252-254).

1 الحديث عن الطيور.

2 ذكرت تلك الحادثة من قبل ميخائيل السوري، وجيراجوس، وفارتان والعديد من المؤرخين الأرمن، وهناك نوع من التوافق مع ما يذكره ثيودولف أسقف أوريلنس في أعماله الشعرية Voir Aldéguler (D'), Histoire de la ville de Toulouse,4vol. In-8°. Toulouse,1830-1835, t. 1er, P.197

3 بول يدعى دارونتي (Doronasi) من مدينة دارون، سكن دير القديس لازار ويدعى أيضاً دير الأنبياء القديسين في موش (Mousch) من نفس الولاية غير بعيد عن مدينة أشديشاد (Aschdischad). ويعتبر بول من أشد خصوم الكنيسة اليونانية.

وكان يضاهي في عظمته الكهنه القديسين الأوائل، وكان يعد المستنير [1] الثاني لأمتنا، فكان كصخرة من الماس انكسر عليها كل جهود الهراطقة، فهو بطل الأرثوذكس، فكان طوال حياته يحارب بقسوة مفسدين الإيمان، أصله من مدينة دارون (Daron)، دفن في دير القديس لازار بالقرب من ساسون (Sacoun) .

LXXXIX/ **٨٩** في السنة نفسها، قتل ديفيد ملك جورجيا، ستين ألفا من الفرس، والقصة أن السلطان كنتزاج جاء على رأس قوات كبيرة وقام بإنشاء جسرٍ من القوارب الخشبية على نهر جور (Gour) (سيروس) [2] وعبر مع أملاك الستين ألف رجل وقادهم إلى بلاد الافخاز [3]، إثر تلك الأخبار قام

---

1 يخلط متى الرهاوي مع القديس غريغوار بطريرك أرمينيا الأول، الذي كان يلقب بالمستنير، وقد استنير بنور الإنجيل، حيث كانت هذه البلد في السابق غارقة في ظلمات الوثنية .

2 جور أو سيروس، أحد الأنهار المهمة في أرمينيا، تنبع مصادره من جبل برخار الذي يقع في ولاية ديك الواقعة شمال غرب أرمينيا، ويمر النهر في جورجيا ومنها إلى جوري وتيفليس، ثم ينحدر بعدها نحو الجنوب الشرقي، ويدخل في الأراضي الأرمينية، ويصب في بحر قزوين بعدة مصبات .

3 الافخاز، الأبخاز، الاباز، أباسجي، أفاسجي، شعب مسيحي يقيم منذ القدم في الجزء الشرقي من البحر الأسود، حيث يقيم الشراكسة في الشمال والمنجريلي في الجنوب على الجهة الغربية من القوقاز . وقد عرف قسماً كبيراً من هذا الشعب باسم أبادزا ويسكن مرتفعات السلسلة الجبلية نحو الشمال، وامتزج مع قبائل الشركس، والأبخاز في الساحل، اعتنقوا المسيحية عن طريق الإمبراطور جستنيان في القرن السادس ميلادي، ومنذ ذلك الوقت وهم يتبعون لأباطرة القسطنطينية، وملوك جورجيا، خضعوا لحكم الروس من أحد أفراد القبيلة القديمة الحاكمة شيروا شيدز، وهو الأمير ميخائيل، الترجمة الفرنسية .

ملك جورجيا بإرسال قوات، ودمر الجسر وقطع جيش الكفار ارباً ارباً، وفر السلطان إلى مدينة أوزغان (Ozgan) [1] (أوزكند) في بلاد فارس، حيث شقيق أبيه [2] .

كان الملك ديفيد شجاعاً، وقد أبلى بلاءً نادراً في الشجاعة وحروبه ضد الفرس، وأحرز انتصارات عديدة عليهم ودمر قواتهم، وانتزع عددا من مقاطعاتهم الرائعة بحد السيف وقوة ساعده، فقد استولى على مدن: دفكيس (Dephkhis) وتمانيس[3](Tmanis)، شيرفان[4] (Schirvan)، شاكي (Schaki)[5]،

---

1 انظر ص ٢٠٦ هامش (٢) .

2 السلطان سنجار (سنجر)، أ شقيق كل من السلطان محمد (دافار) والسلطان بركيارون السلجوقي في بغداد أ، انظر ص ٢٠٦ هامش (١) .

3 تمانيس أو تومانيس مدينة في أرمينية الكبرى تقع على تخوم جورجيا أقاصي الشمال الشرقي من مقاطعة كوكارك

Koukark Indjidji , Description de l'Arménie ancienne,P.517

4 شيرفان، العاصمة القديمة لمقاطعة شيرفان، وهي اليوم خربة، تمتد هذه المقاطعة من الشمال الشرقي لأرمينية بين نهر جور (سيروس) وبحر قزوين والمنحدرات الجنوبية لسلسلة جبال القوقاز، وتدعى تلك المدينة أيضاً أغوانك (Aghouank) أو البانيا (Albanie) شيرفان . ويعد تأسيس تلك الإمارة إلى قورش أنوشروان ملك الفرس في القرن السادس الميلادي (المشعووي) . وشيرفان تقع الآن ضمن ولاية شيماخاه، وهي جزء من قفقاسيا الشرقية الروسية، وقد قام القائد يرمولون بانتزاعها عام ١٨٢٠ من مصطفى فان آخر حكامها .

5 شاكي (Schaki) أو شاك مدينة أرمنية أطلق اسمها على ولاية تقع على الضفة الشمالية من نهر جور، Indjidji , Description de l'Arménie ancienne, P. 533. وأبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٩٩ . يحدد موقع شاكي بالقرب من منابع نهر سامور الذي ينحاز لكزيس أو لزجيس في داغستان الجنوبية، ويشبهها انفيل Anville,géographie ancienne abrégée, T. II, P. 122 بمدينة بانوس (banus) البطلمية، ويفصل نهر سامور إقليم كورين عن ولاية سامور، وجرى ليصب

شمكار [1] (Schamkar)، وأماكن أخرى . لقد كان قديساً وملكاً فاضلاً، وأبدى دائماً حسن نواياه نحو أمتنا وأصدقائنا، وقد حشد من حوله بقايا الجيش الأرمني وأسس في جورجيا مدينة أرمنية سماها كورا [2] (Kora)، وشيد عدداً من الكنائس والأديرة، وأغدق على أمتنا كل أشكال المواساة والسعادة ؛ كان له ابن شرعي أنجبته زوجته الأرمنية يدعى ديمتري (تميدر) [3] أما أخوه فيدعى تودورم .

في مصبين رئيسيين في بحر قزوين إلى الجنوب الشرقي من دير بند، وعاصمة ولاية شاكي هي نوخا .

1 شمكار أو شمكور، مدينة أرمنية تقع في الجنوب على ضفاف غور (Gour)، ويعزو جيراجوس Guiragos Cyriaque , de Kantzag, auteur arménien du XIII siécle, Histoire d'Arménie (300-1264) publiée par M.Osgan d'Erivan. In-12, Moscou, 1858, P.113, 114 إنشاء هذه المدينة إلى شات الخزر بن شيو خاقان في فترة حكم خوسرو ملك الفرس . " لقد بنى خمس أو ست مدن باسم شات، شاتار، شامكار، شاكي، شيرفان، شاماكي، وشايوران "، هذه المدن تتبع إلى بلاد الأغوان أو الألبان، إلا أن جون كاتيلكوس مؤرخ من القرن الحادي عشر، يذكر أن شامكور تتبع إلى مقاطعة أودي وإلى أقاصيها الشرقية، وهي الآن خربة منذ مدة طويلة . Indjidji , Description de l'Arménie ancienne, P. 532, et Alischan, Géographie politique, et Topographie de la Grande Arménie, 166

2 وتكتب أيضاً كورا وبالأرمنية الشعبية كوري، وهي مدينة في جورجيا إلى الشمال من غور وإلى الشمال الغربي من تفليس Mĕkhithar-Abbé , Dictionnaire, arménien وانظر وصف تلك المدينة في كتاب Brosset, Description géographique de la Géorgie , traduite du géorgien du Tsarévitch Wakhouscht , In-4° . Saint-Pétersbourg , 1842, P.245-247 . وتعرف اليوم باسم غوري في كارثلي .

3 ديمتري الأول ابن ديفيد الثاني المصلح، حكم جورجيا ٢٨ أو ٢٩ سنة من ١١٢٥ إلى ١١٥٤ أو ١١٥٥، انظر(CF. Brosset, Histoire de Géorqie, P.381) .

XC/٩٠ في عام ٥٧٣ (١١٢٤/٢/١٩م- ١١٢٥/٢/١٧م) حشد الأمير بلك قوات وزحف نحو الإفرنج، ثم سار بقواته إلى حلب وبعد عدة أيام شن هجوماً على المسلمين الذين يقطنون في مدينة منبج [1]، وأحدث أضراراً جسيمة في أسوار وصفوف المحاصرين جراء قذفها بنيران المنجنيقات، مما دعا الأمير المدافع عن القلعة أن يبعث بطلب النجدة من الكونت جوسلين والكونت جوفروي واعداً إياهما بتسليم المدينة حال وصولهما إلى جوسلين، فانطلق القائدين تلبية للنداء وبرفقتهما فلول قوات الإفرنج التي جمعها جوسلين، وانضم إليه مويس كونت دلوك، وعينتاب [2] ورعبان، تلبية للنداء.

---

1 تعود ملكية منبج إلى حسان بن كمشتكين البعلبكي، وحسب ما ورد عند ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٤١٤- ٤١٥ . ا ان بلك أمر ابن عمه تمرتاش بن ايلغازي مع قوة من عساكره بالتقدم إلى منبج حيث حسان بن كمشتكين لشيء بلغه عنه ا وأن يطلبوا من حسان الانضمام إليهم في الغارة على تل باشر، إلا أن بلك كان يضمر الضغينة إلى حسان، فقبض عليه ودخلوا منبج، وعصى عليهم الحصن الذي دخله عيسى شقيق حسان، فكتب عيسى إلى جوسلين قائلاً : ا إن وصلتني وكشفت عني عسكر بلك سلمت إليك منبج ا، ا وقيل انه نادى بشعار جوسلين بمنبج ا وحسب رواية سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان (٤٩٥- ٥٨٩هـ)، ج٨، ق ١، ص ١١٢، يذكر أن حسان كان متواجداً أثناء تلك الأحداث في حلب واعتقله بلك فيها .

2 . عينتاب، وتعرف بالأرمنية البطلمية، وهي قلعة حصينة في حوض الفرات إلى الشمال على مسيرة ثلاثة أيام من حلب ومسيرة يومين من مرعش وهي الآن ضمن ولاية أذنه، انظر (Indjidji, Description de l'Arménie moderne, P.377) لوكانت تعتبر مركزاً للمنطقة المحيطة بها، وهي حسنه واسعة الأرجاء ولها قلعة حصينة محفورة بالصخر في وسط المدينة على قمة جبل وتحيط بها الأبراج العالية في الخنادق العميقة، كثيرة المياه العذبة يخرج من ناحيتها نهر الساجور وأرضها زراعية واسعة، وكان يقصدها التجار والمسافرون ا . انظر أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٦٩ . ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١، ص ٢، ص ٢٦ . ابن شاهين، خليل بن شاهين

وعندما علم بلك بخبر وصولهم، تقدم لملاقاتهم على مشارف مدينة منبج، وبدا الموقف رهيباً لعدم تكافؤ الفريقين، لأن أعداد الكفار كانت أضعاف أعداد المؤمنين، فبدأت المعركة وكانت الغلبة لصالح المسيحيين بداية وأخذ الأتراك يتقهقروا، ثم صد الأتراك الهجوم فأسقطوا الجناح الأيمن للمسيحيين، بينما ظل الجناح الأيسر صامداً بفضل شجاعة جوسلين، أما في قلب جيش الأتراك قامت فرقة بمحاصرة كونت مرعش وعدد من المقاتلين بالإضافة إلى نبلاء جوسلين وأجهز الأتراك عليهم، فسقطوا شهداء كالأبطال وعندما علم جوسلين بخبر الكارثة التي حلت بقواته، فر هارباً مهزوماً على الأرض التي انتصر عليها سابقاً، ولجأ في اليوم التالي إلى مدينة تل باشر، وشهد ذلك اليوم سقوط عدد من شخصيات الإفرنج، فكانت كارثة قد حلت بالمسيحيين، وقد حدث هذا في العاشر من شهر سهمي الموافق الرابع من أيار [1] ، وبعد هذا الانتصار تقدم بلك إلى منبج، وأمر أتباعه البدء بالهجوم على منبج . وتعبيراً عن فرحته وابتهاجه بالنصر، نزع درعه الحديدي، فرماه في الوقت نفسه عابدٌ للشمس [2]، بسهم من القلعة أصاب فخذه إصابة خطيرة، فاستدعى تمرتاش

الظاهري (ت ١٤٦٧م/ ٨٧٢هـ)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق يولس واديس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م، ص ٥١ .

1 حدد هذا التاريخ من قبل مؤرخنا ما بين ١٠ سهمي و ٤ أيار وهذا خطأ، وتوافق ١٠ من شهر سهمي في التقويم الأرمني من عام ٥٧٣ ، ٢٨ إبريل . انظر :

(Voir Dulaurier, la chronologie arménienne, t; I, Z'Part, Anthologie chronolgiue , n0 LXX) .

2 تسمية أريفا باشر(Are'vabaschd)، وتعني عابد الشمس، أو أريفورتي Arevorti وتعنى ابن الشمس. الأرمن حافظوا قديماً على عبادة النار، وقد مورست هذه العبادة من قبل هذه الأمة قبل أن تعتنقهم المسيحية في بدايات القرن الرابع الميلادي. إن

ابن الأمير ايلغازي، وسلمه حكم مقاطعاته وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، وأثر تلك الأخبار انحلت قواته وتفرقت، أحدث موته فرحاً عارماً في نفوس الإفرنج، وعم الحزن وأعلن الحداد في البلاد التي كانت تعود حكمها

الاريفورتيين كانوا يتواجدون في بلاد الرافدين وخاصة في مدينة سميساط وقد اختلطوا مع المسلمين، الأمير جوريجوار ماجيستروس عاش في القرن التاسع الميلادي ذكر تلك الطوائف في رسالة موجهة إلى بطريرك السريان . وكان سكان سميساط يريدون اعتناق المسيحية في القرن الثاني الميلادي، كما يتضح ذلك في رسالة البطريرك القديس نرسيز شنورهلي إلى نائب الأسقف ورجال الدين في تلك المدينة .

(Nersès (saint) Lettre pastorale au clergé et aux fidèles d'Arménie, in-4°, Saint-Pétersbourg, 1788, P. 197-203, et traduct, dem . Cappelletti (L'abbé), Mose Corenese , traduction italienne de Moise de Khoren, In-8, Venise, 1841, et traduction italienne d'Elisée , In-8 , Venise, même année, t. II, P.269-275).

أما توماس دومتزوف Thomas de Metzoph مؤرخ من القرن الخامس عشر Ms. de La Bibliotheque imperiale de Paris, supplement armenien, n^0 31/2, f^0 16 يذكر غزو تيمور (تاميرلان) في بلاد ما بين النهرين فيذكر : " لقد وصل ماردين ودمرها ودمر رأس على عقب أربعة قرى يسكنها الأريفورثيين، شول (Schol) شمراخ (Schemrakh) شمرشاخ Schmerschakh وارشيول (Archeol) عند Indjidji, Archéologie arménienne, t. III. P.162 سافاري ومرعش ماراغي Maraghi عند نفس المرجع Indjidji, Archéologie arménienn " لكن بعد ذلك وبفعل جيل الشيطان تزايدت هذه الطوائف في ماردين وآمد " وكانت ديانة الأريفورثيين مرتبطة بالصابئة وكان مركزها في بلاد الرافدين، واشتهر معبدها الرئيسي ومدرستها في مدينة حران .

إليه من المدن الأرمنية، لأنه كان مشهوداً له بعطفه على الأرمن الذين كانوا تحت حكمه [1] .

XCI/ ٩١ وأثناء أحداث المعركة، كان ملك القدس وابن أخته ووليران ما زالوا محتجزين في حلب ؛ فقام جوسلين هذه المرة بالاتفاق مع الملكة بإجراء مفاوضات مع تيمورتاش بشأن عرض فدية لإطلاق سراح الملك، فاقترح أن يُسلم ابنه وابنة الملكة وخمسة عشر رجلاً مقابل إطلاق سراح الملك، وحددت الفدية بمائة ألف التايغان وتم إطلاق سراح الملك بلدوين من أيدي الكفار في شهر أيلول، وعند وصوله إلى إنطاكية عمت المسيحيين الفرحة . أما الكونت ووليران وابن أخ الملك بقيا في قبضة تيمورتاش حتى قضيا نحبيهما . وهكذا بمساعدة جوسلين انقض ملك القدس مرة أخرى من الأسر [2] .

---

1 ذكرت روايات عديدة ومختلفة عن الطريقة التي قتل فيها الأمير بلك، فحسب رواية ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٤١٦ . " أن السهم الذي أصابه كان من يد عيسى فأصابه في ترقوته اليسرى " أم ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٦١٩ . وأبو الفدا، المختصر، ج٢ ،ص ٦٠ . يؤكدان ما ذكر من قتله غير أنهما لا يذكران مصدر السهم . أما ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٣٩ يذكر ببساطة أن أحدهم رماه من السور بسهم قضى عليه . وحسب وليم الصوري، ج٢، ص ٦٢٣- ٦٢٤، يؤكد أن بلك قتل في ساحة المعركة التي شنت ضد المسيحيين تحت ضربات جوسلين، وقد قام بعد ذلك بقطع رأس بلك دون أن يعرفة، ويحدد فوشية الشارتري، ص ٢١٣، وفاة بلك في ١٩/٤/١١٢٤م .

2 قام الملك بلدوين هذه المرة أكثرمن ثمانية عشر شهراً في قبضة المسلمين، وحددت فديته بمائة ألف ميخائيلي، وليم الصوري، ج٢، ص ٦٢٨ ، ويؤكد ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٤١٩ . إن الملك بلدوين خرج من سجن شيزر في يوم الجمعة ١٧ رجب ٥١٨هـ / ٣٠/٨/١١٢٤م .

XCII/ ٩٢ في العام نفسه وبفضل مساعدة الرب، انتزعت مدينة كركر من أيدي الأتراك حيث أن حاكم تلك المدينة ميخائيل بن قسطنطين تجهز على رأس خمسين رجلاً للسيطرة عليها واشتبك مع الأتراك في قتال أنهكهم فيه، ورغم دفاعهم هلكوا جميعاً، لأنهم افتقدوا الامدادات، واستطاع استعادة مدينة كركر بالطريقة نفسها، وبالإمكانات نفسها انتزع ميخائيل قلعة بيبو [1] (Bebou) من الأتراك، فادخل هذا النصر البهجة والسعادة في نفوس المؤمنين [2].

XCIII/ ٩٣ في العام نفسه، قام ديفيد ملك جورجيا بارتكاب مذبحة جديدة بالفرس، فقد قتل ما يقارب عشرين ألف رجل، واستولى على آني، وأخذ من بين أسوارها أبناء منوتش [3] (Manoutche) واقتادهم إلى

---

1 بيبو، قلعة تقع على نهر الفرات.

2 يذكر تشاميتش (Tchamitch, Histoire d'Arménie, t. III, p. 51-52) إن قلعة كركر انتزعت بواسطة بلدوين وأعطيت إلى ميخائيل، غير أن الأتراك انتزعوها بعد ذلك وفي وقت لاحق سيطر الأتراك على تلك القلعة وعلى بيبو، والمحصلة أنهم طردوا من قبل اللاتين الذين أوكلوا القيادة إلى فاسيل شقيق البطريرك القديس نيرسيز شنورهالي. ونقرأ عند ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٤٩- ١٥٠ أن ميخائيل استولى على مدينة كركر التي بيعت للإفرنج من قبل بلك، ثم تخلى جوسلين عن مدينة كركر وأخذ بدلاً منها مدينة سفرس. وباع جوسيلين مدينة كركر إلى فاسيل شقيق بطريرك الأرمن نيرسيز، ثم سار ميخائيل إلى أراضي كيسون ودمرها فوقع في كمين دبره الإفرنج وفتكوا به.

3 منوتش (Manoutche) أمير مدينة آني، وهو من عائلة بني شداد، من القبيلة الكردية روادي.

(Brosset, Histoire de Géorqie, P. 344.)

دفكيس(dephkhis). وبهذا تحررت المدينة العظيمة من نير الظلم الذي وقع عليها خلال ستين عاماً . وقد تباركت الكتدرائية العظيمة التي حولها الكفار إلى مسجد باجتماع الأساقفة والخورة والرهبان والأرمن فيها وأقاموا احتفالاً عظيماً بهذه المناسبة رعاه الملك ديفيد بنفسه، فعمت السعادة أمتنا برؤية هذا المبنى المقدس ينتزع من طاغوت الكفار[1].

XCIV/ ٩٤ وفي العام نفسه وصل دوق من بلاد الإفرنج برفقة عدد كبير من القوات، وأقام معسكره أمام مدينة صور الواقعة على ساحل المحيط، وحاصرها لفترة طويلة بشدة وقسوة، فحاصرها بأسطوله بحراً وبجيش كبير براً، وأعد أبراجاً خشبية، ووجه المنجنيقات لمهاجمة أسوارها، فعانى المحاصرون من الجوع وجراء الهجمات المتتالية في الوقت نفسه، وأصبح موقفهم حرجاً مما أدى إلى استسلامهم بعد أن تعهد قائد

---

[1] كان سكان ولاية شيراج وخاصة سكان مدينة آني يحكمهم أبو السوار ابن منوتش، رجل جبان، غير قادر على حمايتهم من غزوات الأتراك المتواصلة، فقرر أن يترك تلك المدينة واقترح على أمير فارس أن يبيعه المدينة بمبلغ ستين ألف دينار، حسب شهادة المؤرخ فارتان، وعندما علم السكان بذلك اضطربوا وأبلغوا ديفيد الثاني ملك جورجيا بالأمر، فوصل هذا بسرعة وتسلم المدينة من السكان وسلم حكمها إلى أبي ليث وابنه إيفان من عائلة أوربيلان التي كانت في خدمة ملوك جورجيا، ثم رجع ديفيد إلى تفليس مصطحباً معه الأمير أبو السوار

(Tchamitch, Histoire d'Arménie,t. III. P.44)

(Brosset, Histoire de Géorqie , P. 351)

الإفرنج لهم ببقاء حياتهم، فسلموا له المدينة، ورحلوا إلى دمشق، وبعد عدة أيام قدمت صور ولاءها لقبر المسيح، وعاد الدوق مع جيشه إلى الإفرنج [1].

---

[1] سقطت مدينة صور يوم ١١٢٤/٦/٢٨م. لويشير وليم الصوري، ج٢، ص ٦٢٨ إلى ١١٢٤/٦/٢٩].

واستعاد بلدوين دي بورغ حريته بعد شهرين من هذا التاريخ ١١٢٤/٨/٢٨م، وليم الصوري، ج٢، ص ٦٢٧- ٦٢٨ . وأخطأ متى الرهاوي في تحديد فترة تسليم المدينة إلى الأمير بتاريخ يسبق الغزو للمدينة، والدوق الإفرنجي الذي يتكلم عنه هنا هو قاض أول في البندقية، يعرف بـ دومونيكو ميخائيل (Domenico Michieli)، وقد شارك في جزء جنوبي من حصار مدينة صور وذلك بإغلاق ميناء المدينة في سفينة، وكانت العمليات العسكرية في اليابسة تدار من قبل بونس (Bons) كونت طرابلس، وحاكم مملكة بيت المقدس خلال فترة أسر الملك بلدوين، وجلب الصليبيون من إنطاكية رجلا أرمنيا يدعى هافذك ويرفع وليم الصوري من شأن قدراته على إدارة رمي الحجارة، وحال وصوله خصص له راتباً محترماً من الخزينة العامة حتى يتمكن من إعالة نفسه، فانكب بجدية على العمل الذي استدعي من أجله وأظهر من البراعة لدرجة أن الحرب بدت وكأنها تتم بقوة متجددة . وليم الصوري، ج٢، ص ٦٢٣ .

لقد انتزعت صور من الخلفاء الفاطميين في مصر، وذلك أن سكان المدينة عندما شاهدوا وصول الإفرنج كاتبوا الأمير طغتكين في دمشق يطلبون منه أن يرسل إليهم أميراً من عنده يتولاهم ويحميهم، فأرسل إليهم والياً اسمه مسعود، وكان شهماً، شجاعاً، وفي الوقت نفسه كتب والي المدينة الفاطمي إلى الوزير الأفضل يعرفه صورة الحال وأنه لا نية للرجوع عن طاعة الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمي، وأنه متى وصل صورا من مصر من يتولاها ويذب عنها سيضعونها تحت تصرفه، فجهز الأفضل أسطولاً، وسيره إلى صور لتخليص أهلها من أميرها مسعود بالحيلة لكثرة شكاوي أهالي صور من سياسته معهم، فأرسى الأسطول في مصر وخرج الأمير مسعود لاستقباله فقبض قائد الأسطول على الأمير مسعود، ودخل قائد الأسطول مدينة صور ثم عاد الأسطول إلى مصر وبرفقته مسعود فأكرمه في مصر ثم أعيد إلى دمشق.

وعندما علم الإفرنج برحيل مسعود عن صور زاد طمعهم بها، فسار الإفرنج إليها في ربيع الأول من عام ٥١٨ هـ وضيقوا عليهم فأدى إلى ضعف الحامية ونقص المؤن

XCV/ **٩٥** في العام نفسه، استنفر ملك القدس بلدوين وجوسلين جميع قوات الإفرنج وزحفوا إلى حلب، وذهب جوسلين لملاقاة صدقة (صالح) بن دبيس [١] وصهر ايلغازي، وأقاموا صداقة وتحالفاً معاً، فقام ملك العرب بضم قواته إلى قوات جوسلين، وانضم إليهم أيضاً حفيد السلطان تتس [٢] وسلطان ملطيه ابن قليج أرسلان [٣]. شكلت هذه الوحدات المختلفة قوة ضاربة، تجمعت قبالة حلب، وبعد مدة طويلة عانى سكانها من نقص المؤن وهجمات المحاصرين لهم، فأرسلوا إلى الموصل يستنجدون في البرسقي، فحشد عدداً كبيراً من قواته، ووصل إلى مشارف حلب بعد ستة أشهر وعمل على دحر الإفرنج وأنقذ المدينة [٤] واستطاع المسيحيون الانسحاب من غير أن يتكبدوا أية خسائر وقام ملك العرب عند انسحابه باجتياح الموصل وسلب جميع أراضي البرسقي، وأقام البرسقي عدة أيام في حلب ثم قصد دمشق، وأقام حلفاً مع أميرها طغتكين.

وأشرف أهل المدينة على الهلاك، فأجبر أهلها في النهاية على تسليم المدينة، واستقر الأمر مع الإفرنج على خروج أهل المدينة حاملين معهم ما استطاعوا حملة من ممتلكاتهم، وملك الإفرنج البلدة في ٢٣ جمادي الأول ٥١٨هـ / ١١٢٤/٧/٨م، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٦٢٠- ٦٢٢. ويذكر ابو الفدا، تاريخ مختصر الدول، ج٢، ص ٦٠، كان تسليم المدينة في ٢٠/ جمادي الأول ٥١٨هـ / ١١٢٤/٧/٥م.]

1 يجب قرأة دبيس بن صدقه، انظر: الخلط الوارد حول الاسم في ص ٢١٧، هامش(٢).

2 وهو السلطان شاه بن رضوان [بن تتش].

3 ابن العبري، يذكر أربعة أبناء إلى قليج أرسلان الأول. وهم مسعود وملكشاه، وعَرَب وطغرل أرسلان، وقد خلف مسعود أباه وأقام في قونيه، وترك ملطيه إلى أخويه عرب وطغرل أرسلان، أما ملكشاه فقد أسره غازي بن الدانشمند عنده فتوارى عن الأنظار، ولهذا فإن طغرل أرسلان أو عرب هما اللذان يقصدهما متى الرهاوي على أنهما سلطانا ملطيه، ويرجح أن عَرَب هو المقصود، وهذا ما ذهب إليه المؤرخ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١١٨- ١٤١.

4 سيطر اقسنقر البرسقي على حلب في شهر ذي الحجة عام ٥١٨ هـ / كانون الثاني ١١٢٥م، ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٦٢٣.

XCVI/ ٩٦ وفي العام نفسه انقض غازي بن دانشمند أمير سبسطيه (Sebaste) على مدينة ملطية بشراسة، وألحق بها خسائر كبيرة، واستمر الحصار عليها مدة ستة أشهر، فوقع السكان ضحية المجاعة القاسية التي أخذت تتفاقم كل يوم حتى قضت عليهم بالآلاف، وجراء نقص المؤن الذي أرهقهم خرجوا من المدينة واستسلموا إلى معسكر الأعداء نهاية الأمر [١]. وانسحبت زوجة قليج أرسلان [٢] الحاكمة إلى مشار [٣].

XCVII/ ٩٧ في سنة ٥٧٤ (١١٢٥/٢/١٨م – ١١٢٦/٢/١٧م) قام قائد قوات الفرس البرسقي وطغتكين على رأس جيش من أربعين ألف رجل من النخبة، جاءوا من كافة أنحاء فارس وتوجهوا بتلك القوات الجرارة إلى عزاز، قلعة تعود إلى الإفرنج، فهاجموها بقسوة، وشن البرسقي هجوماً بكل فخر واعتزاز مزدرياً قوات المسيحيين، ووضع الكفار اثني عشر منجنيقاً، استطاعوا أن يهدموا بها سورين من أسوار القلعة، فأصبحت

---

1 [يحدد ابن العبري، تاريخ انقضاض الأمير غازي على ملطيه يوم الجمعة ١٣ حزيران ١١٢٤ وتاريخ دخوله للمدينة ليلة الأربعاء ١٠ كانون أول ١١٢٥، وبالرغم من مدة الحصار الواقعة بين التاريخين والتي تتوافق مع متى الرهاوي، إلا أن ابن العبري يحدد مدة الحصار بشهر واحد. ويضيف ابن العبري وصف دقيق للحال الذي آلت إليه مدينة ملطية والأوضاع التي سادتها أثناء حصارها، انظر ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٤٠].

2 كانت تدعى أرملة قليج أرسلان إيزابيل الثانية، وكانت من غير شك مسيحية وهذا ما يؤكده الاسم، انظر ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٤٠.

3 أعتقد أن مشار هي نفس المدينة التي يكتب أسمها مأسر، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ٢٤٧، ٢٥٨، ويذكرها باسم مسارا؛ وتحتل الآن موقع يعرف باسم ماشيري (Maschire) وميسيري (Misere) في خريطة آسيا الصغرى، وهي قرية تبعد ثمانية فراسخ إلى الجنوب الشرقي من ملطيه على طريق سميساط، ويحمل نفس الاسم مركز إداري لمقاطعة ليفا (Liva) التي تتسع لـ ولاية ملطيه.

عزاز في خطر كبير، وفقدت حاميتها كل أمل في النجاة، وأثناء ذلك علم ملك أورشليم أن برسق عاد إلى حلب، فذهب في الحال إلى إنطاكية وحشد قوات الإفرنج، فانضم إليه على وجه السرعة الكونت جوسلين وكونت طرابلس ابن سانت جيل ومهويس كونت دلوك، فأصبح جيش المسيحيين يتكون من مائة وثلاثين فارسا من الإفرنج وخمسمائة فارسا من الأرمن وأربعة آلاف من المشاة، وقصد ملك أورشليم في القوات قورس (Gouris) وأثر تلك الأخبار تقدم القائد الفارسي مع قواته، وعسكر بالقرب من حلب، وترك الإفرنج أمتعتهم في قورس، وقصدوا إلى عزاز، وعند وصولهم إليها لم تكن سوى أنقاض مدينة، ومن الممكن أن تسقط بأيدي الكفـــــار، وأن الفرس هاجموا الإفرنج، وقاموا بمحاصرتهم، وإنهاكهم، فأصبحوا في وضع حرج جداً لافتقادهم المؤن، وفقدوا الأمل بالنجاة، ولم يعد ينتظروا إلا الموت، وبدأ الأتراك يتحدون الإفرنج بكلام مليء بالتهديد والغطرسة، وفرضوا الحصار على الإفرنج من كل الجهات، ثم انقضوا مطلقين صيحات مرعبة كنسر ينقض على سرب من الحمام، فقاتل الإفرنج بعنف حتى ضاقت جميع السبل في وجوههم، فتملكهم الفزع والخوف، وغدا كل ما يتمنونه هو الموت، واعتقدوا أنهم يعدون ساعاتهم الأخيرة . وأثناء ذلك الموقف الرهيب خطرت للملك فكرة رائعة، فقال لقائد الجيش: " تزحف مباشرة إلى الأثارب حتى نجعل الأتراك يعتقدون أننا فارون فالذين يكمنون إلينا سيلاحقونا، ونحن بدورنا سنباغتهم بالعودة، وسنرى ماذا يفعل المسيح إلينا " . وكتب في الوقت نفسه إلى حامية عزاز: ما أن يتجمع الكفار لملاحقتنا، فعلى الحامية إعطاء

إشارة عمود من الدخان فوق القلعة . توجه الملك مع القوات نحو الآثارب، فتخيل إلى برسق أن الإفرنج يفرون، فأمر اتباعه أن يلاحقوهم، فاقتفى الكفار أثر الإفرنج وهم يطلقون الصيحات كالذئاب خلف النعاج ؛ وبعد ملاحقتهم مسافة حوالي ميلين قاموا برص صفوفهم لمهاجمة المسيحيين، وأثناء ذلك قامت حامية عزاز بإعطاء الإشارة المتفق عليها، فشاهد ملك أورشليم وضباطه الإشارة، فابتهلوا إلى الرب، وهم يذرفون الدموع ويتجهشون بالبكاء، وفي ظل آلامهم رفعوا أصواتهم متضرعين للرب يرجونه أن يأتي لنصرة عباده الضعفاء، وعلى الفور أمر الملك بنفخ الأبواق إشارة بدء الهجوم .

وبحركة منسجمة انقض المسيحيون على الكفار، يرجون عون الرب، مظهرين جهود بطوليه ؛ إن صلواتهم آتت أكلها، وتمكنوا من دحر الأتراك، وقتلهم بحد السيف، وشتتوا صفوفهم في السهول، وحمل الكونت جوسلين عليهم بقسوة كأسدٍ يطارد العجول، وانقض عليهم يقاتلهم، وحمل الملك وجيش المسيح من جهتهم على الأتراك وقطعوهم إرباً إرباً، وطاردوهم حتى أبواب حلب، وقد وقع خمسة آلاف قتيل من الأتراك، أما قائد الفرس (البرسقي) وطغتكين فقد عادوا يجرون أذيال الخيبة والعار، وقتل خمسة عشر أميرا في المعركة، بينما عاد المسيحيون تغمرهم السعادة وهم محملون بالغنائم الثمينة ؛ نشر هذا النصر الفرح بين المؤمنين،

لقد تحقق هذا النصر يوم الخميس ٢٤ من شهر دري [1] وبعد عدة أيام اصطحب البرسقي ابنة الملك وابن جوسلين إلى قلعة جبار [2]، ووضعهما فيها، ثم رحل إلى الموصل [3].

بعد سنة من المعركة، قامت مجموعة من أمته (البرسقي) يسمونهم الحجاج[4] ودخلوا قصره يلبسون ملابس الحجاج، فقتلوه طعناً

---

1 حشد البرسقي قواته في ١١٢٥/٦/١١ وحاصر كفر طاب، واستولى عليها، ثم توجه إلى زردنا ولكنه رفع الحصار عنها وزحف إلى عزاز، وأمام تلك القلعة فوجئ بالإفرنج الذين قتلوا من جيشه ألف رجل حسب ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٦٢٨- ٦٢٩ وألفين حسب وليم الصوري، ج٢، ص ٦٣٠- ٦٣٢، وقد هرب البرسقي إلى حلب فأناب ابنه عز الدين مسعود فيها، وبعدها عبر الفرات وقصد الموصل لحشد قوات جديدة.

2 قلعة جعبر تقع في بلاد الرافدين على نهر الفرات في الشمال بين الرقة وبالس، وتعود ملكية هذه القلعة كما يخبرنا ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٦٣٠. إلى شمس الدولة سالم بن مالك الذي مات في نفس العام (٥١٩هـ / ١١٢٥م) وأيام أبي الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٧٧، في القرن الرابع عشر ميلادي كانت القلعة مهجورة ومهدمة.

3 بعد الحديث عن عودة البرسقي إلى الموصل يضيف وليم الصوري، ج٢، ص ٦٣٢ أن الملك جمع مبلغاً ضخماً من المال، جمع بعضه من المغانم التي أخذت من المسلمين، وبعضه الآخر من المساهمة السخية التي جاد بها أصدقاؤه والموالون المخلصون له، وبالمقابل استرد ابنته البالغة من العمر خمس سنوات والتي كان قد أعطاها كرهينة. وعاد منتصراً إلى القدس، وشيد قلعة فوق مدينة جبروت أسماها بقلعة غلافينوس.

4 يقصد الحاج القاصد مكة لتأدية فريضة الحج على اعتبارها ركن من أركان الإسلام، وحسب ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ٤٢٩، وثب على اقسنقر البرسقي: ثمانية أشخاص في زي زهاد في المسجد، وهو قاصد المنبر وذلك يوم الجمعة :(٩/ ذي القعدة / ٥٢٠هـ - ١١٢٦/١١/٢٦) بعد عودته للموصل [أما ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٤١ يذكر أنهم عشرة أشخاص من الإسماعيلية]، أما ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٦٢٣- ٦٢٤. فيذكر في ٨/ ذي القعدة / ٥٢٠هـ/ قتل قسيم

بالسكاكين، لكنهم قتلوا على أيدي خدمه، وقد لاقى نفس مصيرهم كل من جاء في الطريق، ويلبس نفس الملابس، وقد بلغ عددهم ثمانين .

XCVIII / **٩٨** في العام نفسه أمير الشرق، قائد الفرس إبراهيم بن سقمان وأمير هنزيط داوود بن سقمان أبناء أرتق، قاما بحشد قوات كبيرة، وجاء جمع كبير من الأمراء بقوات تعزيز كبيرة، وزحفوا جميعاً إلى جورجيا، فذهب حاكم تلك البلاد لمواجهتهم فأنزل بهم مذبحة مريعة، وجعلهم يولون الأدبار، ونكل بهم أكثر من الأحداث السابقة، واستمر يلاحقهم مدة خمسة أيام حتى غطت دماؤهم السهول والجبال، وعانت البلاد من رائحة الجثث .

XCIX / **٩٩** في العام نفسه مات القديس ديفيد ملك جورجيا، وخلفه على العرش ابنه ديمتري، وهو أمير محارب رحوم كان ينافس أباه بأعمال

الدولة آقسنقر البرسقي بمدينة الموصل، على يد الباطنية يوم الجمعة في الجامع ،وكان يصلي الجمعة مع العامة في الصف الأول، فوثب عليه بضعة عشر نفساً، فقتل منهم ثلاثة واثخن في الجراح فمات ليومه، [والحقيقة أن يوم الجمعة يصادف ٩/ ذي القعدة وليس ٨/ ذي القعدة] ؛ وهذا ما يؤكده ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ٤٢٩، وحسب ابن خلكان، احمد بن محمد (ت ١٢٨٢م/ ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، جـ٨، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م/ ١٣٩٨هـ، ج١، ص٢٤٢، توفي في ٩ ذي القعدة ٥٢٠هـ، ويذكر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٢٣٠ [دخل يوم الجمعة جامع الموصل فوثب عليه ثلاثة في زي الصوفية فقتلوه]، وأقاموا ابنه عز الدين مسعود خلفاً له على الموصل، [ويذكر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٦٣٥، وليس كما هو وارد عند المترجم الفرنسي أن الذي يذكر هو ابن العبري]، ومن العجب أن صاحب إنطاكية أرسل إلى عزالدين بن البرسقي ويخبر بقتل والده قبل أن يصل إليه الخبر، وكان قد سمعه الإفرنج قبله لشدة عنايتهم بمعرفة الأحوال الإسلامية.

الخير، وأعاد أبناء منوتش (Manoutche) إلى آني بعد أن جعلهم يقسمون يمين الولاء، وأن يكونوا مخلصين تابعين له مدى الحياة . وأقطعهم تلك المدينة التي عانت الكثير من الفرس عندما مات ديفيد، وقد عمل هذا التنازل إليهم بسبب انشغاله في حروب أخرى وإدارة دويلاته التي تطلب العون . وبما أن الأمير ديمتري ولد من أم أرمنية، فقد ألزم أبناء منوتش بقسم آخر تعهدوا بموجبه منح الأرمن ملكية الكتدرائية للأبد، وأن يمنعوا المسلمين من الدخول إليها .

C / **١٠٠** في سنة ٥٧٥ (١١٢٦/٢/١٣- ١١٢٧/٢/١٧م) وصل من بلاد الإفرنج ابن بوهيمند ابن روبرت (جيسكارد)، وسمي باسم بوهيمند مثل أبيه [1] ؛ وقد وصل إلى إنطاكية مع قوات، وتزوج من ابنة ملك أورشليم

---

[1] بوهيمند بن بوهيمند الأول ولد سنة ١١٠٧م وكان عمره ٢٢ عاماً عندما وصل إلى فلسطين لخلافة والده في إمارة إنطاكية، وقد تزوج من آليس الابنة الثانية للملك بلدوين دي بورغ، دخل في خلافات شديدة مع جوسلين [الثاني] كونت الرها الذي تحالف مع السلاجقة وغزوا معاً أراضي إنطاكية . غير أن الملك بلدوين [الثاني] وبمساعدة برنارد بطريرك إنطاكية استطاعا أن يحققا الصلح بين الطرفين، وفي عام ١١٣٠م قام أهالي حلب بتدمير أراضي إمارة إنطاكية، فهرع بوهيمند [الثاني] لصدهم وتوغل حتى أراضي سليسيا، وهناك قتل في سهل مرج الديباج بالقرب من المصيصة . وليم الصوري، ج٢، ص ٦٣٨- ٦٤١، ٦٤٨ . وقد أخطأ وليم الصوري عندما أشار إلى أن خصم بوهيمند في حلب هو الأمير رضوان، وذلك لأن رضوان كان قد توفي قبل ١٦ عاماً، وذلك عام ١١١٥م، بينما كانت حلب آنذاك بيد عماد الدين زنكي [يحكمها بالنيابة عنه شخص يدعى سوار، ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ٤٤٠[، كما نرى في ص ٢٤٧- ٢٤٨، وانظر ص ٢٤٨ هامش (٢)، وقد صحح هذا الخطأ من قبل. Wilken, Geschiehte der Kreuzzuge, t. II. P.585, not.

23

الذي وعد تسليمه عرش القدس بعد موته، وأقطعة إنطاكية، وجميع سليسيا، وقد أخضع بوهيمند بن بوهيمند كل أمة الإفرنج تحت سلطته وقوته ونفوذه الذي لا يقاوم، واعترف جوسلين كونت الرها وابن سانت داجيل بسيادته . كان بوهيمند آنذاك شاباً لم يتعد العشرين من العمر، ولحيته لم تنبت بعد، إلا أنه أظهر قدراته في المعارك، وكان طويل القامة، ووجهه كالأسد، وشعره أشقر فاتح، وقد رافقه جمع غفير من النبلاء والأعيان من روما [1] .

CI/ ١٠١ في السنة ٥٧٦ (١١٢٧/٢/١٨م - ١١٢٨/٢/١٧م) مات الدكتور الأرمني سيروس(Cyrus) الذي كان يناظر القديسين في القدم، وقد تعلم الكتاب المقدس كاملاً، وكرّس حياته في البحث والتقصي في الأمور الأكثر عمقاً، وتمكن من فهم أخبار العهد القديم والعهد الجديد، وكان مرافقاً للقديس الدكتور جورج الملقب بـ " مجريج، وقد دفنا في مقبرة تعرف بمقبرة الرهبان القديسين، أو قبر مجريج السعيد في دير ترازارغ (Trazarg) وكان جورج قد جمع في هذا الدير ما يسمى بـ رهبانية المسيح، وأسس قواعد ومبادئ نظام الآباء القديسين في القرون الأولى .

---

[1] يقصد متى الرهاوي بلاد الإفرنج أو أوروبا، وروما كانت العاصمة السياسية للغرب تحت حكم الأباطرة الرومان، واعتبرت لاحقاً العاصمة الدينية والمدنية لهذا الجزء من العالم والتي كان يعرفها الأرمن أكثر شيوعاً أن اسم روما كان يعني لهم أوروبا أو الغرب ؛ حتى أن ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ١٤١- ١٤٢، يذكر في عام ١٤٣٨ من التقويم اليوناني (١٠/١/١١٢٦م- ١١٢٧م) وصل بوهيمند بن بوهيمند من رومية، ويضيف أيضاً، ثار خلاف بين الإفرنج فغزا جوسلين II ضواحي إنطاكية كلها، فسخط عليه بطريركهم وأغلق أبواب الكنائس وأبطل قرع النواقيس والصلوات ريثما رد جوسلين الغنيمة بأسرها .

CII / ۱۰۳ في عام ٥٧٧ (١١٢٨/٢/١٨- ١١٢٩/٢/١٧م) وصل قائد الفرس الأمير زنكي بن اقسنقر، سيد حلب [1] السابق مع قواته إلى أراضي الرها، وأظهر وداً وصداقة مع جوسلين، ووصل إلى حلب دون أن يجد ما يعيق طريقة [2]؛ آملاً بأن يعقد تحالفاً مع بوهيمند أمير إنطاكية، وأوكل مهمة المفاوضات كوسيط بينهما إلى جوسلين وبعد أن أقام بضعة أيام في حلب، توجه مع جميع قواته إلى دمشق، لأن أميرها طغتكين قد توفي

---

[1] كان عمر عماد الدين زنكي عشرة أعوام عندما فقد أباه قسيم الدولة اقسنقر أمير حلب، تعلم عماد الدين زنكي فنون القتال على يدْ أكبر قادة عصره كربوغا وجكرمش، ومودود والبرسقي. وقد عين شحنكية لبغداد ثم أميراً للموصل وأتابكا عام ٥٢١هـ / (١١٢٧/١/١٦- ١١٢٨/١/٥م) من قبل السلطان محمود. وسع زنكي نفوذه إلى نصيبين وسنجار وحران، والجزيرة، ولاحقاً مد نفوذه إلى حلب، حماه، حمص، بعلبك، وأماكن أخرى من سوريا، وسيطر عليها جميعها باستثناء دمشق، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٦٤٩- ٦٥٠، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٢ ،ص ٦٢- ٦٣، ٦٤، ٧٧، ٧٨، ٨١، ٨٢، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٠٣. ويعتبر عماد الدين زنكي مؤسس دولة الأتابكة في سوريا، وتسميه الحوليات اللاتينية باسم سنجينوس (Sanguinus) وقد خلفه في الحكم ابنه نور الدين محمود الذي أصبح أكثر شهرة منه.

[2] احتل عماد الدين زنكي مدينة حلب في شهر (محرم ٥٢٢هـ / كانون ثاني ١١٢٨م)، وكان السلطان محمود قد أمر بتولية عماد الدين زنكي ولاية الموصل وبلاد الرافدين وسوريا، وكان السكان في المنطقة ضحية القلاقل والفتن الداخلية التي سببتها كثرة تغيير الحكام على المنطقة، وعدم استقرار الحكم بالإضافة إلى تهديدات الإفرنج. والواقع أن جوسلين علم بوضع حلب وسوء الأحوال فيها، فتقدم لاحتلال حلب، فصونع بمال فعاد عنها، وقد استطاع عماد الدين زنكي فرض هيمنته على حلب ونشر الأمن والنظام فيها. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٦٤٩- ٦٥١، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص ٦٢.

وخلفه ابنه من بعده [1]، وتوفي في العام نفسه سلطان الفرس محمد بن دافار، وخلفه شقيقه ملك [2]، وهو نفسه الذي يقيم في كنتزاغ، وكان قد هزم من قبل أمام ديفيد ملك جورجيا، وأجبره على الفرار إلى بلاد فارس.

CIII/١٠٣ في عام ٥٨٥ / (١٦ شباط ١١٣٦- ١٤ شباط ١١٣٧م) جاء السلطان محمد [3] ابن الأمير غازي بن الدانشمند مع جيش كبير إلى مقاطعة مرعش بالقرب من كيسوم، وأحرق جميع قراها وأديرتها، وذلك

---

1 عرف ابن طغتكين أمير دمشق باسم تاج الملوك بوري، وقد خلف والده في (الثامن من صفر ٥٢٢هـ/ ١١٢٨/٢/١٢م) على ولاية دمشق حسب رواية ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٦٥٢، غير أنه توفي يوم (٢٠/رجب ٥٢٦هـ/ ١١٣٢/٥/١٧م) بعد حكم دام أربع سنين وخمسة أشهر وعدة أيام، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص ٦٣، ٦٩.

2 الملك طغرل تم استبداله على عرش فارس بدلاً من السلطان مسعود، وقد ساعده في ذلك عمه السلطان سنجر عام (٥٢٦هـ / ١١٣٢م). وقد استمر حكمه ثلاثة أعوام وشهران، وقد مات في همدان في (شهر محرم ٥٢٩هـ/ ١٠/٢١- ١١٣٤/١١/١٩م)، [ويرجع أبو الفدا، تاريخ وفاته في عام ٥٢٨هـ]. انظر أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص ٦٧- ٧٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٦٧٨.

3 يعرف باسم مُخُميت عند Nicétas ,historiæ Byzantinæ, I V، ومَخُميت عند Cinnamus , historiæ Byzantinæ I,IV هؤلاء الكتاب يذكرون أن السلطان محمد خلف مباشرة على الدانشمند مع أنه لم يصبح أميراً على كبادوس إلا بعد أبيه غازي، وكان غازي قد استولى على كستاموني Castamon Kastemouni كما هو وارد في (Thema Paphlagonum)، وهذا ما جعل الإمبراطور جون كومنين يصمم بالإضافة إلى عدة أسباب أخرى إلى عقد تحالفاً مع سلطان نقوميديا ضد السلطان محمد وذلك للمرور في آسيا الصغرى وبعد احتلال كستامون وجنجرا رجع إلى القسطنطينية، ومنها شن حملته على سوريا في السنة اللاحقة (١١٣٧م).

أيام موسم قطف العنب، وعسكر ستة أيام أمام أبواب المدينة دون أن ينصب المنجنيقات أو آلات الحصار ودون أن يرمي السهام، وإنما عمل على قطع مياه النهر، وتخريب البساتين، وشن بعض الهجمات دون أن تشكل خطورة جمع خلالها الغنائم . وكان يملأُ الخوف قلوب السكان وينتظرون يوماً بعد يوم هجوماً وأراقه الدماء وانتصار الأعداء، ووصل الأمر بهم إلى أن جيشهم دفعهم في إحدى الليالي إلى ترك الأسوار الخارجية، غير أن قادتهم والأحبار تدخلوا وشحذوا همهم ومعنوياتهم، فعزموا على المواجهة وفضلوا الموت من أجل مدينتهم على أن يقعوا في قبضة الكفار، ويصبحوا موضع سخرية وعار للوثنيين، وأمضوا النهار والليل في الصلاة، رافعين الصليب بأيديهم، وسواعدهم ممددة يتضرعون العون من الرب، وينشدون بأعلى أصواتهم مادحين الرب ؛ لم تشأ رحمة الرب أن تتخلى عنا، وحتى المذنبين منا وتسلمنا إلى أعدائنا، فكان رؤوفاً بنا لأننا تحررنا بدم ابنه الحبيب يسوع المسيح .

فلم تكن المشيئة أن يأمر سلطان الكفار بمحاصرة ومهاجمة المدينة، وسلمت مدينة كيسوم يوم الجمعة يوم آلام المسيح، وأحرق العدو الدير الأحمر (Gramir-Vank) والكنيسة وغرف الرهبان، وكسر الصلبان الخشبية والحجرية، واستولى على الصلبان الحديدية والبرونزية، ودمر المذبح الذي كان يقدم عليه خبز الأضحية المقدسة، ونشر الدمار ونزع الأبواب التي رسمت عليها الرسومات الجميلة والنقوش المطعمة بالحلي الحلزونية الرائعة، وحملها إلى بلاده ليعرضوها أمام الرعاع وخليلاته مثلما

فعل البابلي[1] في السابق، وهذا المشهد يتفق مع الكلمات " لقد تركت ابنة سيون (Sion) كالخيمة وسط كروم العنب، أو مثل كوخ حارس بساتين الفاكهة أو مثل حمامة نائحة بعد أن هجرها رفيقها، أو مثل غراب قبيح يحوم حول الجيف " ؛ انسحب محمد فجأة يوم الجمعة كما قلنا سابقاً وذلك، لأنه علم أن إمبراطور الروم [جون كومنين] جاء لنجدة كيسوم المحاصرة ومساعدة كونتينا بلدوين [2] الذي نحترمه، وفي الحقيقة أن الإمبراطور كان قد اقترب من إنطاكية مدمراً بلاد المسلمين[3]، بعد أن انتزع من أميرنا ليون حكمه، واستولى على مدنه، وقلاعه، وبعد أن تأكد من شخصه، قام بإرساله إلى بلاد اليونان في الجهة الأخرى من البحر على تخوم آسيا .

---

1 هذا الكلام إشارة إلى بيشاصرُ (Balthasar) ملك بابل الذي صنع وليمة عظيمة، واحضر آنية الذهب التي جلبت من أورشليم، وشرب بها الملك وعظماؤه وزوجاته وسراريه، وهذا ما يتكلم عنها سفردانيل ٥ / ١- ٥ .

2 بلدوين كونت كيسوم ومرعش، يعرف بعدة ألفاظ، عند Cinnamus, historiæ Byzantinæ I,VII, et v,IX فلذُونيوس صاحب مراسيو، أما عند وليم الصوري، ج٢، ص ٧٥٥، بلدوين صاحب مرعش وبلدوين دي مرعش حسب الترجمة من الفرنسية .

3 بلاد المسلمين أو الداجيج، دجيجستان، وهي بلاد تشكل جزءاً من آسيا الصغرى التي عبرها جون كومنين، ومنها وصل إلى سوريا التي تشكل دويلات الأمراء التركمان في كبادوكيا (cappadoce) من عائلة الدانشمند وسلاطين قونية (Iconium).

قائمة المصادر والمراجع

١- المصادر العربية والمعربة

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن محمد (ت١٢٣٢م/ ٦٣٠هـ)، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق عبد القادر أحمد، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣م.
- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن محمد (ت١٢٣٢م/ ٦٣٠هـ)، **الكامل في التاريخ**، ١٣ جـ، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- آناكومينا (ت ١١٤٨م/ ٥٤٣هـ)، **الألكسياد** (الحملة الصليبية الأولى، الكتاب العاشر والحادي عشر)، منشور في الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، الجزء الأول، مطبعة الملاح، دمشق، ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ.
- أودو أوف دويل، **رحلة لويس السابع إلى الشرق**، منشور في الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، الجزء الأول، مطبعة الملاح، دمشق، ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ.
- ابن الأزرق، أحمد بن يوسف بن علي الفارقي (ت ١١٨٤م/ ٥٨٠هـ)، **تاريخ الفارقي** (الدولة المروانية)، تحقيق بدوي عبداللطيف، مراجعة محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٩م/ ١٣٧٩هـ.
- أسامه بن منقذ، أسامه بن مرشد بن علي (ت ١١٨٨م/ ٥٨٤هـ)، **الاعتبار**، تحقيق فليب حتي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٨١م/ ١٤٠٢هـ.

- التطيلي، بنيامين بن يونيه النباري الأندلسي، **رحلة بنيامين التطيلي**(٥٦١هـ- ٥٦٩هـ/١١٦٥م- ١١٧٣م) ترجمة عزرا حداد، المجمع الثقافي، أبوظبي،٢٠٠٢م،
- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ١٣٣٨م/ ٧٣٩هـ)، **مراصد الاطلاع**، ٣جـ،دار الجليل، بيروت، (د. ت)،.
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت ١٠٩٤م/ ٤٨٧هـ)، **معجم ما استعجم**، ٤ جـ، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧م/ ١٣٦٦هـ.
- البنداري، الفتح بن علي بن محمد (ت ١٢٤٥م/ ٦٤٣هـ)، **تاريخ دولة آل سلجوق** لعماد الدين الكاتب محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، مطبعة الموسوعات، مصر، ١٩٠٠م/ ١٣١٨هـ.
- ابن تغري بردي، يوسف (ت ١٤٦٩م/ ٨٧٤هـ)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٦ جـ، ط١، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب، بيروت، ١٩٩٢م/ ١٤١٣هـ.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي(٥٩٧هـ - ١٢٠٠م)**المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**،١٨ج،ط١،تحقيق محمد عبدالقادر ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- الحسيني، علي بن ناصر (ت بعد ١٢٢٥م/ ٦٢٢هـ)، **أخبار الدولة السلجوقية**، ط١، تحقيق محمد اقبال، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ١٤٦٩م/ ٨٠٨هـ)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** (تاريخ ابن خلدون)، ٧م، ط،٣دار الكتاب اللبناني، بيروت، (١٩٥٦م - ١٩٥٨م/ ١٣٧٦هـ- ١٣٧٨هـ).
- ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ١٢٨٢م/ ٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان**، جـ٨، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م/ ١٣٩٨هـ.
- دانيال الراهب، **رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الأراضي المقدسة** (١١٠٦م- ١١٠٧م)، ط١، ترجمة سعيد البيشاوي، عمان، ١٩٩٢م/ ١٤١٣هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد (ت ١٣٧٤م/ ٧٤٨هـ)، **دول الاسلام**، ٢جـ، ط٢، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند، ١٩٤٤م/ ١٣٦٤هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد (ت ١٣٧٤م/ ٧٤٨هـ)، **العبر في من غبر**، ٤ج، تحقيق محمد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن رسته، أحمد بن عمر (٩٢٢م/ ٣١٠هـ)، **الأعلاق النفيسة**، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١م/ ١٣٠٩هـ.
- ريموند اجيل، (شاهد عيان)، **تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس**، ط١، ترجمة حسين محمد عطية، ١٩٨٩م/ ١٤١٠هـ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي (ت ١٢٥٦م/ ٦٥٤هـ)، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، (أحداث سنة ١١٠١م - ١١٩٣م/ ٤٩٥هـ-٥٨٩هـ)، الجزء الثامن، القسم الأول، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند، ١٩٥٠م/ ١٣٧٠هـ.
- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي (ت ١٢٥٦م/ ٦٥٤هـ)، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، الجزء المنشور في كتاب الحروب الصليبية، ٢ج، جمع وتحقيق سهيل زكار ١٩٨٤م/ ١٤٠٥هـ، دار حسان، دمشق.
- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي (ت ١٢٥٦م/ ٦٥٤هـ)، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، الجزء المنشور في

Recueil des Historiens des Croisades Historiens Orientaux، Vol. 3, 1969/1389, Publie Par Les Soins de L'academie des Inscriptions et belles - Lettres, Paris

- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت٥٦٢هـ/١١٦٧م): **الأنساب** ،تعليق عبدالله البارودي، دار الجنان، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت١٥٠٥م/٩١١هـ)، **لب اللباب في تحرير الانسان**، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز واشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية ،ط١، بيروت، ١٩٩١م.
- أبو شامة، عبدالرحمن بن اسماعيل (ت ١٢٦٦م/ ٦٦٥هـ)، **الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية**، ٢ج، تحقيق محمد حلمي محمد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٦م/ ١٣٧٦هـ.

- ابن شاهين، خليل بن شاهين الظاهري (ت ١٤٦٧م/ ٨٧٢هـ)، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، تحقيق يولس واديس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م.
- ابن شداد، محمد بن علي (ت ١٢٨٥م/ ٦٨٤هـ)، **الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، القسم الخاص بحلب من الجزء الأول، تحقيق دومينيك سورديل، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥٣م/ ١٣٧٦هـ.
- ابن شداد، محمد بن علي (ت ١٢٨٥م/ ٦٨٤هـ)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، القسم الخاص يوصف شمال سوريا من الجزء الأول، تحقيق آن ماري إدّه، منشور في مجلة
  - Bulletin d'etudes Orientales، Tomes, 32-33, Annees
  - (1980-1981/1401-1402), 1982, Damas.
- ابن شداد، محمد بن علي (ت ١٢٨٥م/ ٦٨٤هـ)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، الجزء الثالث في قسمين، الخاص في الجزيرة الفراتية، تحقيق يحيى عبادة، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨م/ ١٣٩٩هـ.
- الطباخ، محمد راغب الحلبي، **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، ٧ جـ، ط٢، تصحيح وتعليق محمد كمال، دار العلم العربي، حلب، ١٩٨٨م/ ١٤٠٨هـ.

- الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠ هـ/٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، ١٠ج، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار سويدان، بيروت، ١٩٦٧م/ ١٣٨٧ هـ.
- ابن العبري، غريغوريوس بن اهرون الطبيب الملطي (ت ١٢٨٦م/ ٦٨٥هـ)،تاريخ الزمان، ترجمة الاب اسحق ارملة، دار المشرق ،بيروت، ١٩٨٦.
- ابن العبري، غريغوريوس بن اهرون الطبيب الملطي (ت ١٢٨٦م/ ٦٨٥هـ)، **تاريخ مختصر الدول**، تصحيح وفهرسة الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م/ ١٤٠٣هـ.
- ابن العديم: كمال الدين عمر بن احمد (ت ١٢٦٢م/ ٦٦٠هـ)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، ١١ جـ، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٨م/ ١٤٠٢هـ.
- ابن العديم: كمال الدين عمر بن احمد (ت ١٢٦٢م/ ٦٦٠هـ)، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، ٣ جـ، تحقيق سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥١م- ١٩٥٤م/ ١٣٧١هـ - ١٣٧٤هـ.
- العظيمي، محمد بن علي التنوخي (ت ١١٦٠م/ ٥٥٦هـ)، **تاريخ العظيمي**، منشور في مجلة
- Journal Asiatioue, Juillet, Septemebre, 1938.
- العظيمي، محمد بن علي التنوخي (ت ١١٦٠م/ ٥٥٦هـ)، **تاريخ العظيمي**، منشور في كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ،

ط١، جمع وتحقيق احسان عباس، دار المغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٨م/ ١٤٠٨هـ.

- ابن العميد، جرجس (ت ١٢٧٤م / ٦٧٢هـ)، **تاريخ الشيخ الملين جرجس ابن العميد**، ميكروفلم رقم (١٨٤٤)، مركز المخطوطات، الجامعة الأردنية.
- أبو الفدا، إسماعيل بن علي (ت ١٣٣١م/ ٧٣٢هـ)، **تقويم البلدان**، تصحيح رينود وماك كوكين ديسلان، المطبعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م/ ١٢٥٦هـ.
- أبو الفدا، اسماعيل بن علي (ت ١٣٣١م/ ٧٣٢هـ)، **المختصر في أخبار البشر**، ٣جـ، ط١المطبعة الحسينية المصرية، مصر، (د.ت)،.
- فوشيه الشارتري (ت ١١٢٧م/ ٥٢١هـ)، **تاريخ الحملة إلى القدس**، ط١، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م/ ١٤١١هـ.
- ابن القلانسي، حمزه بن اسد (ت ١١٦٠م/ ٥٥٥هـ)، **تاريخ أبي يعلى حمزه بن القلانسي** (ذيل تاريخ دمشق)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م/ ١٣٢٦هـ.
- الكتاب المقدس؛ العهد القديم والجديد
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت ١٣٧٢م/ ٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، ١٤جـ، ط٦، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٥م/ ١٤٠٥هـ.

- المقريزي، احمد بن علي (ت ١٤٤١م/ ٨٤٥هـ)، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، ٣جـ، تحقيق محمد حلمي محمد، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٩٣م/ ١٣٩٣هـ.
- المقريزي، احمد بن علي (ت ١٤٤١م/ ٨٤٥هـ)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ٣جـ في ٨ق، تحقيق سعيد عاشور ومحمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٥٦-١٩٧٠م/ ١٣٧٦هـ- ١٣٩٠هـ.
- مؤلف سرياني رهاوي، **الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية**، منشور في كتاب الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، الجزء الأول، مطبعة الملاح، دمشق، ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ.
- مؤلف مجهول، **أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس**، ترجمة حسن حبشي، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٨.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ١٣٣٢م/ ٧٣٣هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ٢٧جـ، تحقيق سعيد عاشور، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٥م/ ١٤٠٥هـ.
- ابن واصل، محمد بن سالم (ت ١٢٩٧م/ ٦٩٧هـ)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، ٥جـ، ط١، تحقيق جمال الدين الشيال، جامعة فؤاد الأول، مصر، ١٩٥٣م/ ١٣٧٣هـ.
- ابن الوردي، زين الدين عمر (ت ١٣٤٨م/ ٧٤٩هـ)، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، (تاريخ ابن الوردي)، ٢جـ، ط١، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠م/ ١٣٨٩هـ.

- وليم الصوري (ت ١١٨٥م/ ٥٨١هـ)، **تاريخ الحروب الصليبية** (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)، ٢جـ، ط١، ترجمة سهيل زكار، ١٩٩٠م/ ١٤١٠هـ، دار الفكر، دمشق.
- اليافعي، عبدالله بن أسعد (ت ١٣٦٦م/ ٧٦٨هـ)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ٤جـ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، الهند، ١٩١٨م/ ١٣٣٧هـ.
- ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ١٢٢٨م/ ٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، ٥جـ، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م/ ١٣٩٩هـ.

٢ـ المصادر والمراجع الاجنبية

- Acogh'ig, Étienne , de Daron, auteur armenien des X et XI siècles, Abrégé d'histoire universelle, publié, mais sur un manuscrit tronqué , par L'archimandrite Garabed Schahnazarian , dans sa Galerie historique arménienne , in-12 , paris , 1859; traduit en russe par M. Nikita Ossypitch Emin , in – 8° ; Moscou,1864.
- Albreti Aquensis, Historia Hierosoloymitana, in Recueil des Historiens des Croisades - Historiens Occidentaux, Vol. 4, 1879, Paris, (P. 265-713).
- Albert d'Aix , Historia Hierosolimitane expeditionis edita ab Alberto canonico ac custode Aquensis ecclesie , super passagio Godefridi de Bullione et aliorum principum , dans la collection de Bongars , p. 184 sqq.
- Aldéguler (D') , Histoire de la ville de Toulouse,4vol. In-8°. Toulouse,1830-1835.

- Alischan (le R. P. Léonce), religieux mêkhitbariste de Venise, Géographie politique, et Topographie de la Grande Arménie (en arménien), in 4°. Venise,1853.
- Anne Comnène, Alexiade, dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ.
- Ansbert, Historia de expeditione Friderici imperatoris, éd. Jos. Dobrowsky , in-8° .Prague,1827.
- Anville (D'),géographie ancienne abrégée, gans ses Oeuvres complgtes, e'd. de Manne, t.II.in-4°.
- Ardzrouni (thomas), auteur arménien du x siécle, Histoire de la famille (satrapale puis royale) des Ardzrounis, jusqu'en 996, continue'e par un anonyme jusqu'en 1226, grand in 8°. Constanti-nople, 1852.
- Art (l') de vérifier les dates , par les Bénédictins de la congrégation de Saint-Maur, éd. de 1783-1787.
- Aucher (Le p. Pascal), Traité des monnaies, poids et mesures des anciens (en arme'nien) , in-4°. Venise, 1821.
- Aucher (le R.P. Jean-Baptiste), religieux měkhitharíste de Venise: Vies des saints (en arménien). 12 vol. in-12.Venise, 1810-1815.
- Aucher (le R.P. Jean-Baptiste), Traduetion arméninne de la relation des Tartares de Héthoum (Haythonus monachus), in-8°.Venise.1842.
- Aucher (le R.P. Jean-Baptiste), Dictionnaire manuel arménien littéral, expliqué en arménien vulgaire, in-12. Venise, 1 éd.1846; 2 éd. ibid.1865.
- Baudry Baldrici Dolcnsis archiepiscopi historia Iherosolimitana, dans la collection de Bougars, t.I.p.81 sqq.
- Bernardi Thesaurarii Liber de acquistione terre Sanctæ , dans Muratori, Rerum Italicarum scriptores,t. VIII.

- Bongars, Jaeques , Gesta Dei per Francos , sive orientalium expeditionum et regni Francorum Hierosolimitani historia, 2 vol. In-fol. Hanau , 1611.
- Brosset, Histoire de Géorqie , depuis l'antiquité jusqu' au XIX siècle , traduite du géorgien , 4 vol. In-4° . Saint-Petersbourg , 1849-1858.
- Brosset, Description géographique de la Géorgie , traduite du géorgien du Tsarévitch Wakhouscht , In-4° . Saint-Pétersbourg , 1842 .
- Cappelletti (L'abbé) , Mose Corenese , traduction italienne de Moise de Khoren , In-8° , Venise , 1841, et traduction italienne d'Elisée , In-8 , Venise, même année .
- Cedrenus , Compendium historiarum , dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ .
- Cellarius , Notitia orbis antiqui , 2 édition , par Conrad Schwartz , 2 vol . In 4° . Leipzig , 1773 .
- Cicéron ,Epistolæ ad Atticum et ad familiares , dans L'édition de J . Casp . Orelli , Zurich , 1826-1837 .
- Cinnamus , Historiarum libri sex , dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ .
- Codinus , De officiis Constantinopolitanis et de Originibus Constantinopolitanis , dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ .
- Constantini Porphyrogeniti de Thematibus libri dou ; de Administrando imperio , avec les remarques de Banduri , et de Cerimoniis aulæ Byzantinæ ; avec les commentaires de Reiske , dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ , éd . de Bonn . 3 vol . In-8° . 1840 .
- Defrémery(Ch.) Histoire des Seldjoukides , extraite du Tarikhi-Guzideh de Hamd-Allah Mustaufy . dans le Journal asiatique , année 1848.

- Defrémery(Ch.) Mélanges d'histoire orientale , 2 vol . In-8°. Paris , 1854 et 1862 .
- Ducange , Familiæ Augustae Byzantinæ et Constantinopolis christiana , publiés à la suite du Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ .
- Ducange Histoire des principautez et des royaumes de Hierusalem , de Cypre et d'Arménie , ms . de la Bibliothèque impériale , supplément francais , n° 1224 .
- Dulaurier (Ed.) , Bibliotheque historique arme'nienne, ou choix des principaux historiens arme'nienns traduits en francais , t. I , contenant la chronique complète de matthieu d'Édesse et la continuation par Grégoire le Prêtre (952-1163) . In-8°. paris , 1858 .
- Dulaurier (Ed.) Recherches sur la chronologie arménienne technique et historique , t. I ,In-4° . paris, 1859 .
- Dulaurier (Ed.)Histore, dogmes, trqditions de L'Église arménienne orientale,trad . de L'arménien et du russe, 3 éd. In-8°.paris, 1859.
- Elisseeff, Nikita, Nur-Ad-Din un grand Prince Musulman de Syrie au temps des Croisades (511-569H / 1118-1174), 3 Vol., Damas ,1967.
- Étienne de Byzance , De Urbibus . ed .Dindorf , 3 vol. In-8° . Leipzig .1821 .
- Eusèbe , Histoire ecclésiastique , éd . Fr . Adolph . Heinichen , 3 vol . In-8° . Leipzig , 1827-1828 .
- Evagre , Histoire ecclésiastique . ex recenshone Henrici Valesii , In-8° . Oxford . 1841 .
- Faustus de Byzance , auteur arménien du Iv siècle, Histoire d'Arme'nie ou Bibliothe'que historique (de 315 à 390).Constantinople ; In-4° , 1730 ; et In-8° , Venise , 1832 . Traduite par M . Emin . dans la Collection des historiens

anciens et modernes de L'Arménie , t. I , p. 209-310 , In-8° . paris , 1867.

- Fulcherii (Domni) Carnotensis Historia Iherosolimitana , gesta Francorum Iherusalem peregrinantium , ab anno domini Mxcv usque ad annum MCXXVII , dans le Recueil des historiens des croisades , publié par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres , In-fol . Paris , 1866.
- Galterii, Chancellarii Antiocheni, Bella Antiochena, in Recueil des Historiens des Croisades-Historiens Occidentaux, Vol. 5, Paris,1869, (P.77-132).
- Garabed Schahnazarian (L'archimandrite) , ancien moine du couvent patriarcal d'Édchmiadzin , éditeur de la Galerie historique arménienne ou Choix d'historiens arméniens , publiés en texte original . 8 vol . In-12 . Paris , 1859-1860 .
- Glycas(Michel) , Annales , dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ .
- Grand dictionnaire de l'Académie arménienne de Saint-Lazare (tout en armenien), 2 vol . In-4° . Venise , Imprimerie du couvent de Saint-Lazare , 1836-1837 .
- Grégoire(Le Prêtre), Chronique de Gregoire Le Pretre, in Recueil des Historiens des Croisades - Documents Armeniens, Vol. 1, Paris, 1869 (P. 151-201).
- Grégoire (Le Prêtre) , auteur arménien dn XII siècle, Continuation de la chronique de Matthieu d'Édesse , publiée dans le présent volume , p. 151-201 .
- Grégoire (Le Prêtre) , auteur du XIII siècle, traduction arménienne de la Chronique de Michel le Syrien . Extrait de cette traduction dans le présent volume , p. 311-409.
- Grégoire Kabaragy Garabed (Le R. P.), auteur d'une traduction Francaise de L'historien arme'nien Elisee. Voir Élisée .

- Guibert de Nogent, Historia quæ dicitur Gesta Dei per Francos, edita a venerabili domino Guiberto, abbate monasterii S. Mariee Novigenti,dans la collection de Bongars, t. I, p. 467 sqq .
- Guillaume De Tyr, Historia rerum in partibus transmarinis gestarum, 1 vol. In-fol.en deux tomes.paris,1840 ;dans le Recueil des historiens des croisades de L'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.
- Guiragos Cyriaque , de Kantzag, auteur arménien du XIII siécle, Histoire d'Arménie (300-1264)publiée par M.Osgan d'Erivan. In-12, Moscou, 1858, et par les PP. Mĕkhitharistes de Venise. à leur imprimerie de Saint-Lazare, in-8°,1865.
- Hadji-Khalfah. Géographie turke, intitulée : Djihân-Numâ (le Miroir du monde) . traduite en francais par Armain . et conservée aujourd,hui en manuscrit a la Bibliothèque Impériale. 2 vol. In-fol .
- Haytho ou Haythonus Monachus , nom sous lequel est connu en Occident Héthoum , comte de Gor'igos, connétable d'Arménie , auteur , de la Relation des Tartares, Liber de Tartaris,La rédaction originale, dictée en francais par Héthoum à Nicole Falcon, existe dans le magnifique ms. De la Bibliothèque impériale qui a pour titre : La fleur des hystoires de la terre de Orient , n° 2810G , fonds francais. La version latin , par le même Nicole Falcon, a eu un grand nombre d'éditions, et entre autres celle de Gynæus dans son Novus orbis regionu, ac insularu, veteribus incognitaru, , petit in fol. Bâle,1532.
- Hieroclès,Synecdemus, et Wesselingii in Synecdemum commentarius, dans le Corpus scrip torum historiæ Byzantinæ , éd. de Bonn.
- Histoire littéraire de la france, par les religieux Bénédictins de Saint-Maur , 1733-1763 ; continuée par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, In-4° . Paris, 1814-1867.

- Historiæ patriee monumenta, collection publiée par ordre du gouvernement italien, 8° vol. In-fol. Turin, 1838-1857. Le tome I du Liber jurium de la République de Gênes , qui fait partic de cette collection, contient plusieurs pièces provenant de la chancellerie des rois de la Petite Arme'nie.
- Indjidji (Le P. Luc) , Archéologie arménienne, 3 vol . In-4°. Ibid. 1835.
- Indjidji (Le P. Luc) , Description de l'Arménie ancienne, In-4°.Ibid. 1822.
- Indjidji (Le P. Luc) , Religieux mĕkhithariste de Saint-Lazare, Description de l'Arménie moderne, In-12 Venise, 1806.
- Jacques de Vitry , Jacobi de Vitriaco , episcopi Acconensis, historia Hierosolimitana, dans la collection de Bongars, t. I, p. 1047 sqq .
- Jean Otznetsi, dit le Philosophe, patriarche d'Arménie, VIII siècle, Diseours synodal, dans ses oeuvres complètes, In-8°. Venise, 1834 .
- Kiepert, Carte de l'Asie Mineure et de l'Arménie turke, en 6 feuilles , et Mémoire sur la construction de cettc carte (en allemand), In-8° Berlin, 1854.
- Koch (Karl), Karte von dem Kaukasichen Isthmus und von Armenien, en 4 feuilles. Berlin, 1850 .
- Langlois (victor), Numismatique de L'Arménie; au moyen âge , in-4°.Paris ,1855 .
- Léon le Diacre, éd. Hase, in-fol. Paris, 1819, et dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ. éd. de Bonn.
- Lusignan(Étienne de), Description de toute l'ile de Cypre , in-4°. Paris, 1680.

- Mabillon (Dom J.) et D. Michel, Germain, Museeum Italicum, sive collectio veterum scriptorum, ex bibliothecis Italicis eruta , 2 vol,in-4°. Paris, 1687-1689.
- Mamigonien (Jean), auteur arménien du VII siècle, continuateur de L'Histoire du district de Daron de Zénob Klag, imprimé avec ce dernier, au couvent de Saint-Lazare;in-8°. Venise,1832.
- Marino Sanuto, voyageur et géographe vénitien du XIV siècle, Secreta fidelium crucis, dans la collection de Bongars, Gesta Dei per Francos, t.II.
- Martène (Dom Edm.), Thesaurus novus anecdotorum, 5 vol.in-fol. Paris, 1717.
- Matthieu d'Édesse, auteur arménien du XII siècle, Histoire d'Arménie(952-1137), en extrait dans le présent volume, p. 1-150.
- Měkhithar-Abbé, fondateur de l'ordre des Měkhitharistes de Venise ,XVII siècles,auteur de plusieurs ouvrages, et entre autres d'un Dictionnaire arménien, in-8°,venise, 1749.
- Michaud, Joseph Francois(1797-1838), Histoire des croisades, 8° édition, 4 vol. In-8. Paris,1853.
- Michel le Syrien, patriarche jacobite d'Antioche. au XII siècle;Chronique universelle parvenue jusqu'à nous dans une version arménienne du commencement du XIII siècle; en extrait dans le présent volu,e , p: 311-509.Voy. un autre extrait du même ouvrage, par Éd. Dulaurier , dans le Journal asiqtique , années 1848et 1849.
- Michel le Syrien, La Chronique de Michel Le Syrien, in Recueil des Historiens des Croisades - Documents Armeniens, Vol. 1, 1869, Paris, (p. 309-409).
- Mills(CH.), History of the crusades for the recovery and possession of the Holy Land, 4 éd.2 vol .in-8°,Londres, 1828;

traduction francaise faite sur la 3 édition, par Paul Tiby, 3 vol.in-8°, Paris, 1825-1835.

- Moise de Khoren, auteur Arménien du V siècle, Histoire d'Arménie, et Géographie, réimprimées plusieurs fois et en dernier lieu dans ses OEuvres complètes, in-8°.Venise ,1842.
- Mosheim:De Lumine Sancti Sepulchri commentatio, dans ses Dissertationes,t.II.Lùbeck, in-4°, 1727.
- Msêr Krikorian, de smyrne, catéchisme intitulé: Exercice de la foi chre'tienne, suivant la profession de foi orthodoxe [de L'Église arménienne] (en arménien), in-12. Moscou, 1850.
- Muralt (Édouard de), Essai de chronographie byzantine, in-8°.Saint-Pe'tersbourg, 1855.
- Muratori (L. Ant.), Rerum italicarum scriptores, ab anno 500 ad 1500, 29 vol.in-fol. 1723- 1751.
- Nersès (saint) schnorhali (le Gracieux), patriarche d'Arménie,XII siècle, Élegie sur la prise d'Édesse par l'atabek Emâd-Eddin Zangui ;in-12, Madras, 1810;in-8°,calcutta,1832;in-8, paris 1828;Tiftis, in-8°, 1829.
- Nersès (saint) Lettre pastorale au clergé et aux fidèles d'Arménie, in-4°, Saint-Pétersbourg, 1788,et in-8° avec traduction latine par M.l'abbé Cappelletti, Venise, imprimerie de Saint-Lazare, 1829.
- Neumann(M.Ch.Fried.), traduction d'Élisée ,sous le titre de: The history of Vartan and of the battle of the Armenians, in-4°, London ,1830; et vesion abrégée de la chronique rimée de Vahram d'Édesse, dans le fivre intitulé: Translations from the Chinese and Armenian, in-8°. London , 1831.
- Nicétas Choniates, Annales,dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ.
- Nicholson, Robert Lawrence, Joscelyn I, Prince of Edessa, The University of Illinois Press, Urbana, 1954.

- Notices et Extraits des manuscrits; dans le tome IX, Extrait de la chronique de Matthieu d'Édesse, par Chahan de Girbied; et, dans le tome XI, les chartes provenant des Archives de la Banque de Saint-Georges, à Gênes, publiées par Silvestre de Sacy et Saint-Martin.
- Noveiri(schehâb-Eddin Ahmed), auteur arabe des XIII et XIV siècle,Encyclopédie hislorique, mss. de la Bibliothèque impériale, ancien fonds arabe,n 645et 683.
- Orbêlian (Étienne), de la famille des princes Orbêlians, archevêque de siounik', auteur arménien du XIII siècle, Histoire de la province de Siounik', publiée par M.Emin, in-8°,Moscou, 1861, et par l'archimandrite Garabed Schahnazarian. 2 vol. In-12, Paris, 1859.
- Osgan (l'évêque), XVII siécle, fondateur d'une imprimerie arménienne a Marseille, transportée ensuite à Amsterdam, éditeur de la Bible arménienne, in-fol. et de plusieurs autres ouvrages remarquables pour l'élégance des caractères et la beauté de l'impression.
- Osgan d'Érivan(M.), éditeur de plusieurs ouvrages arméniens et, entre autres, de l'Histoire d'Arménie de Guiragos de Kantzag. Voir ce dernier nom.
- Ordericus Vitalis, Historiae Eeclesiastica Libri Trdec Edited by Augustus le provost, paris,1845.
- Pag, Critica in annales Baronii, 4 vol. in-fol. Anvers, 1705.
- Paris,Paulin,Paris,La chanson d'Antioche, compos2e au commencement du XII siècle, par le pèlerin Richard, enouvelée sous le règne de Philippe-Auguste par Graindor de Douay, publiée pour la première fois par P.P. 2 vol. In-8°. Paris, 1848.
- Petite bibliothèque arménienne,collection de divers ouvrages d'un caractère religieux ou historique, publiée par les RR.PP.

mĕkhitharistes de saint-Lazare , 20 vol.in-18.Venise, 1853-1854.

- Peyre(J.T.A.),Histoire de la première croisade, 2 vol. In-8°. Paris et Lyon, 1859.
- Poujoulat, Voyage dans L'Asie Mineure, 2 vol.in-8°, Paris, 1840.
- Quatremère(Étienne), Mémoire sur les Ismaëliens, dans les Mines de L'Orient, t.IV.
- Radulfi Cadomensis, Gesta Tancredi, in expeditione Hierosolymitana, dans la Collection des historiens des croisades, publiée par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, in-fol. Paris,1866.
- Reinaud (Toussaint) ,Chroniques arabes, dans la Bibliothèque des croisades de Michaud. 4 partie,in-8°.Paris, Imprimerie royale, 1829.
- Roberti Monachi, Historia hierosolimitana, dans la Collection des historiens des croisades, de L'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, in fol.Paris, 1866.
- Saint-Martin.Mémoires historiques et géographiques sur l'Arménie, 2 vol. In-8°. Paris,1818 et 1819.
- Sale (George), The Koran, commonly called the Alcoran of Mohammed, translated from the original Arabic, a new edition, in-8°.London, 1838.
- Samuel D'Ani,auteur arménien du XII siècle, Chronographie, continuée par un anonyme jusqu'en 1340; en extrait, avec la continuation, dans le présent volume, p.447-468.Une traduction de l'ouvrage entire de Samuel d'Ani, moins la continuation a ete donnee a la suite de la chronique d'Eusebe, par Angelo Milan et Zohrab, 1818, in-4, p.68-69.
- Schakhathouni, en russe schakhathounoff. Évêque arménien, Description du couvent patriarcat d'Edchmiadzin et des cinq

districls de la province d'Ararad (en arménien), 2vol.in-8.L'imprimerie de ce couvent, 1842.

- Silvestre de sacy, Chrestomathie arabe, 2 édition,3 vol.in-8°. Paris, 1826-1827.
- Silvestre de sacy, Exposé de la religion des Druzes, 2 vol in-8, ibid. 1838.
- Strabon, Géographie, éd. Dübner et ch. Müller, dans la Bibliothèque des auteurs grecs de Didot.
- Tchamitch ou tchamtchian (Michel), religieux de la congregation des mĕkhitharistes de Venise, Histoire d'Arménie, 3 vol. In-4°. Venise, 1784-1786.
- Tchihatcheff (M.Pierre de), voyageur russe, Asie Mineure, géographie physique et climatologie, 2 vol. In-8°, avec cartes et atlas.Paris, 1859-1860.
- Théophane, Chronographie, dans le Corpus sciptorum historiæByzantinæ.
- Thomas de Medzoph, auteur arménien du XV siècle, Histoire de Timour at des Timourides, publiée par l'archimandrite Garabed Schahnazarian, in-12,Paris,1860;traduite en analyse et par extraits par M.Félix Nève. In-8°. Bruxelles , 1860 .
- Tudebodi(petri) seu Tudebovis, sacerdotis Sivracensis, Historia de Hierosolymitano itinere.
- Vaissète (Dom J.) et D.Claude de Vic , Histoire général de Languedoc, 5 vol. In-fol.Paris, 1730-1746, 2 édition par M.Alex. Du Mége, 10 vol.gr.in-8°,Toulouse,1840-1846.
- Vartan, auteur arménien du XIII siècle, Abrégé d'histoire universelle, depuis l'origin edu monde jusqu'en 1267, publie par M. Emin, in-8°, Moseou, 1861, et par les religieux mĕkhitharistes de Saint-Lazare, in-8° , Venise, 1862; traduit en russe par M.Emin, in-8°, Moscou, 1861.

- Vartan,Géographie, attribuée à ce même Vartan et publiée une prèmiere fois a Constantinople,1728,par Diratsou (le clerc) Mourad, et en second lieu, avec traduction francaise, par Saint-Martin, dans ses Mémoires historiques et géographiques sur l'Armenie, t.II,p.406-453.
- Wilken (Fr.), Histoire des croisades (en allemand),7 vol.in-8°.leipzig,1807-1832 .
- Wilken Geschichte der Kreuzzuge,t. II.p.703,net.1
- Zohrab (Jean),collection de notes historiques ou mémoriaux, extraits des mss. de la Bibliothèque du couvent de Saint-Lazare, à Venise; ms. de la Bibliothèque impériale, n 27 du supplément arménien.
- Zonaras, Annales, dans le Corpus scriptorum historiæ Byzantinæ.

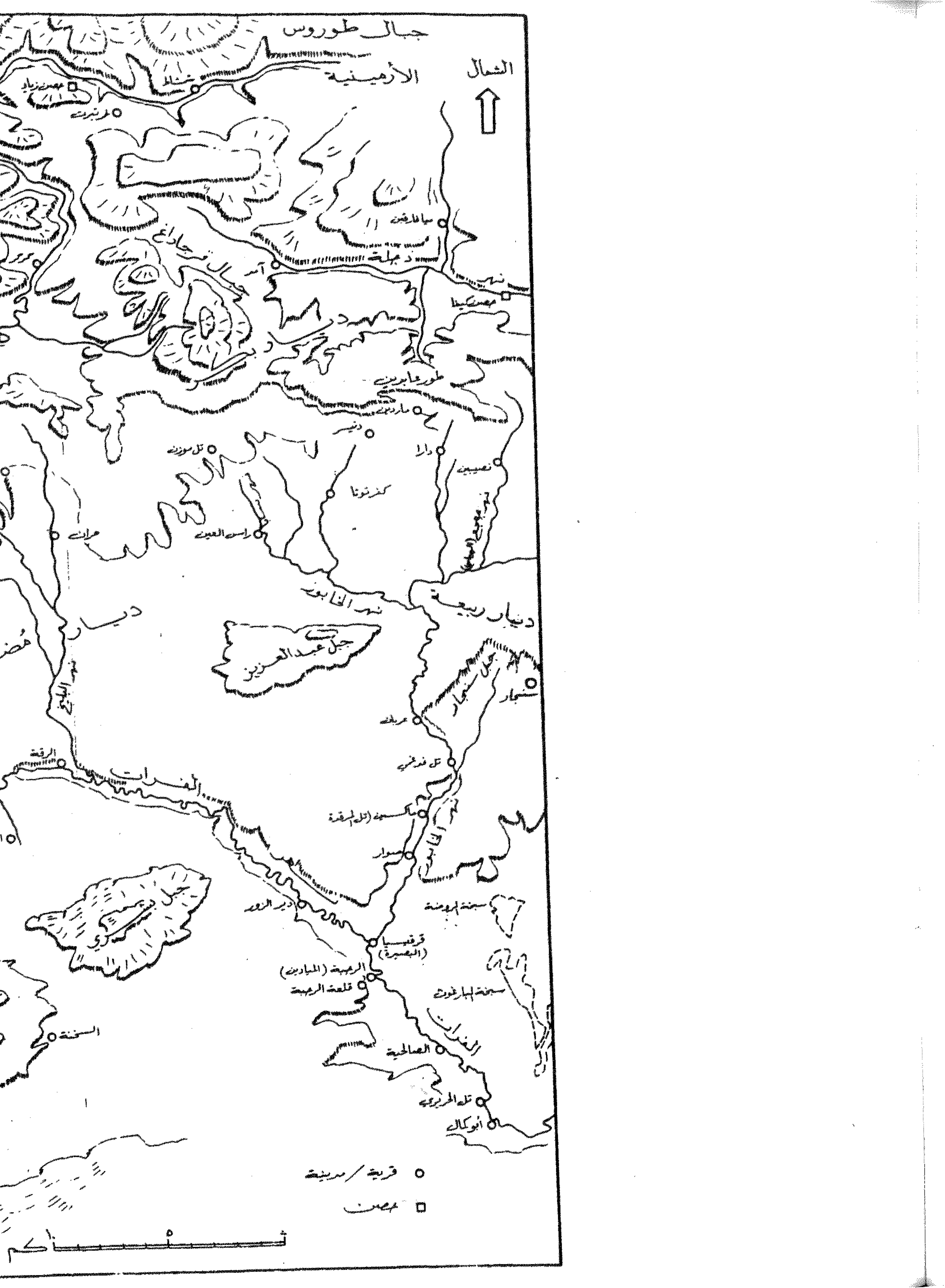
٣ـ المراجع والمقالات العربية

- الجنزوري، علية، إمارة الرّها الصليبية، القاهرة، ١٩٨٦م
- جوزيف، نسيم يوسف، ١٩٨٣م/ ١٤٠٣هـ، **العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية**، مؤسسة الشباب الجامعية، الاسكندرية.
- الرويضي، محمود محمد، إمارة الرها الصليبية، ط١،مطبعة البهجة، ٢٠٠٢.
- الرويضي، محمود محمد، بلك بن بهرام الارتقي، بحث منشور في أبحاث ودراسات في التاريخ العربي، منشورات الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م.

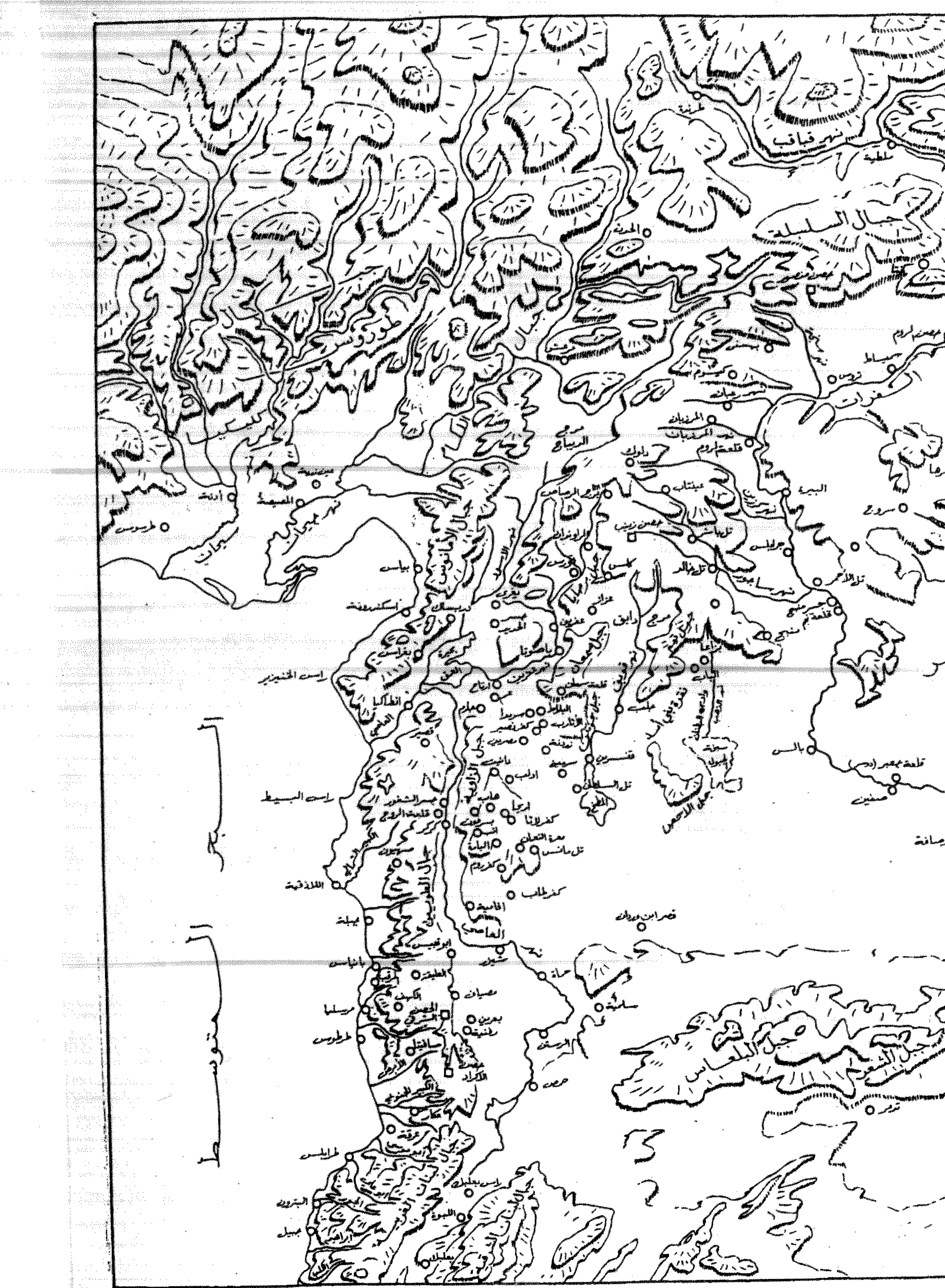
* عطية، حسين محمد، ١٩٨٩م/ ١٤١٠هـ، **إمـــارة انطاكيـــة الـــصليبية والمسلمون (١١٧١م-١٢٦٨م/ ٥٦٧هـــ - ٦٦٦هـــ)**، ط١، دار المعرفة الجامعية، مصر.
* عمـران، محمـــود سعيـــد، الإمبراطوريـــة البيزنطيـــة وحـــضارتها، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص ١٠- ١٢.
* نعمـــان جبران، المـــصادر الأرمنيـــة وأهميتهـــا لدراســـة تـــاريخ الحـــروب الصليبية "حولية متى الرهاوي أنموذجا" منشور في مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الاسلامي الفرنجي، ج١، ٢٠٠٠م،



الملاحق



جبال طوروس
الأرمينية
الشمال
ميافارقين
دجلة
آمد
حصن كيفا
طور عابدين
ماردين
دنيسر
دارا
نصيبين
تل موزن
كفرتوثا
رأس العين
حران
نهر الخابور
ديار ربيعة
ديار مضر
جبل عبد العزيز
جبل سنجار
سنجار
عربان
الرقة
الفرات
دير الزور
قرقيسيا (البصيرة)
الرحبة (الميادين)
قلعة الرحبة
الصالحية
تل الحريري
أبو كمال
السخنة
قرية / مدينة
حصن



نهر قباقب
ملطية
جبال السلسلة
الحدث
مرعش
سميساط
الفرات
البيرة
سروج
منبج
بالس
صفين
طرسوس
اذنة
المصيصة
بياس
اسكندرونة
انطاكية
حلب
قنسرين
حماة
شيزر
الرستن
حمص
مصياف
اللاذقية
جبلة
بانياس
طرطوس
عرقة
طرابلس
البترون
جبيل
بعلبك
تدمر
جبل البلعاس

المخطوط باللغتين الارمنية والفرنسية

كما قدمها المترجم الفرنسي



թեղէնս և պղնձեղէնս, յերկիր կործանեալ՝ զսեղանսն սրբութեան հացի փշրեաց, և զդուռն
գեղեցկաշէնս յօրինուածոյ և զայլս ընդ ինքն բարձեալ, տանելով յաշխարհն իւր ի տես
հարճից և ռամկաց, իբրև զԲաբելացին զայն։ Որ աս կատարեցաւ, թէ՝ Լքեալ թողի
զդուստր Սիոնի, իբրև զտաղաւար յայգւոջ, և կամ իբրև հովանի մրգապահաց, և որպէս
զտատրակ սիրալիր՝ միայն մնացեալ ի զուգակցէ, կամ որպէս զագռաւ զազրատեսակ նստեալ
ի վերայ կոտորածոյ։ Իսկ Մահմէտն գնաց փութանակի յաւուր ուրբաթու, որպէս առա-
ջաք· քանզի համբաւ եհաս ի լսելիս նորա յաղագս թագաւորին Հոռոմոց, թէ դիմեալ գայ
յօգնութիւն պաշարեալ քաղաքին Քէսնոյ, մերոյ իշխանին Պաղտուինին կոչեցելոյ մաղ-
թելով առ ոտս նորա· զի յաւուրսն յայնոսիկ մերձ էր թագաւորն Յունաց յԱնտիոք, աւե-
րելով զՏաճկաստան· և բարձեալ իշխանութիւն մերոյ իշխանին Լևոնի կոչեցելոյ, և զքա-
ղաքս և զբերդս առնոյր յինքն գրաւեալ, և զնա տարեալ տանէր յաշխարհն Յունաց,
յայնկոյս ծովուն ; առ սահմանս Ասիացւոց աշխարհին։

---

fer et en bronze; et, démolissant les autels où s'offrait le pain du saint sacrifice, il en dispersa les débris. Il enleva la porte, où se dessinaient des enroulements admirables, ainsi que d'autres objets, et les emporta dans son pays pour les montrer à ses concubines et à la populace, comme fit autrefois le Babylonien[1]. C'est ainsi qu'il donna lieu à l'accomplissement de ces paroles : « J'ai abandonné la fille de « Sion, comme une tente au milieu des vignes, ou comme la cabane de ceux qui « gardent les fruits, ou bien comme une tourterelle plaintive restée seule après « avoir été délaissée par sa compagne, ou comme le corbeau à l'aspect hideux qui « plane sur des cadavres. » Mohammed battit subitement en retraite, un vendredi, comme nous l'avons dit plus haut, en apprenant que l'empereur des Romains [Jean Comnène] accourait au secours de K'éçoun assiégée et de notre comte Baudouin[2], qui l'en suppliait à genoux. Déjà l'empereur approchait d'Antioche, ravageant les pays musulmans[3]. Après avoir dépouillé notre prince Léon de sa souveraineté, il s'empara de ses villes, de ses forteresses, et, s'étant assuré de sa personne, l'emmena dans la contrée des Grecs, de l'autre côté de la mer, sur les limites de l'Asie.

[1] Ces paroles font allusion au roi de Babylone, Balthasar, qui, dans le splendide festin qu'il donna et dont parle Daniel (V, vi-i), se fit apporter les vases sacrés du temple de Jérusalem et y but, lui, ses grands officiers, ses femmes et ses concubines.

[2] Baudouin, comte de K'éçoun et de Marasch; Βαλδουῖνος ὁ Μαρασίου de Cinnamus (I, vii et V, ix), *Balduinus de Mares* de Guillaume de Tyr (XVI, xvi et xvi), *Baudoin des Marais* de la traduction française. (Cf. ci-dessous, chap. cix.)

[3] Les pays musulmans ou des Dadjigs, Տաճ-կաստան, *Dadjgasdan*, sont la partie de l'Asie Mineure que traversa Jean Comnène en se rendant en Syrie, et qui formait les États des émirs turkomans de Cappadoce de la famille de Danischmend, et ceux des sulthans d'Iconium.

MATTHIEU D'ÉDESSE.

NOTE PRÉLIMINAIRE.

Avant de reproduire la partie de la Chronique de Matthieu d'Édesse où il raconte la première croisade, j'ai cru devoir lui emprunter les chapitres où, retraçant les expéditions des empereurs Nicéphore Phocas et Jean Zimiscès dans la Mésopotamie, la Syrie et la Palestine, il nous rappelle les premières tentatives des chrétiens pour reprendre aux musulmans les lieux sanctifiés par l'œuvre de la Rédemption, tentatives que l'on peut considérer comme le prélude de la conquête qui assura l'établissement de l'empire des Latins en Orient. Le récit de ces expéditions se rattache essentiellement à l'histoire de nos guerres saintes d'outre-mer. En effet, cette histoire ne saurait être bien comprise si elle n'est éclairée par l'étude des faits qui préparèrent la scène où nos ancêtres vinrent jouer un rôle si glorieux : la domination arabe; les invasions des Turcs seldjoukides, avec lesquels ils eurent tant de fois à se mesurer; l'origine des principautés que les enfants de Seldjouk fondèrent en Perse, dans le nord de la Syrie et dans l'Asie Mineure; les luttes des empereurs grecs contre les princes de la puissante famille arabe des Hamadanites, qui possédait le nord de la Syrie et la Mésopotamie, et contre les khalifes fathimites; enfin ces pèlerinages qui, depuis le VIe siècle, conduisirent de tous les points du monde chrétien tant de pieux visiteurs au tombeau du Christ. C'est ainsi que le plus savant annaliste de la Palestine, Guillaume de Tyr, en décrivant la marche des Franks, a toujours soin de jeter un coup d'œil rétrospectif sur les lieux où ils plantèrent leurs drapeaux victorieux, et, dans ces derniers temps, MM. Michaud[1] et Wilken[2] ont cru devoir remonter jusqu'à l'époque où Constantin releva l'étendard de la Croix dans l'église du Saint-Sépulcre, à Jérusalem.

L'un des plus précieux documents qui nous restent de cette période antérieure à l'arrivée des Franks dans la Terre Sainte, et que nous a transmis Matthieu, est la relation de la brillante campagne que Zimiscès entreprit dans la Syrie et la Palestine, et qu'il a racontée lui-même dans une lettre adressée à Aschod III, dit *le Miséricordieux*, roi de la Grande Arménie. Nous pouvons suivre maintenant d'étape en étape la marche de ce prince, décrite avec des détails qui n'ont été connus ni de Léon le Diacre ni d'aucun autre chroniqueur byzantin.

[1] *Histoire des Croisades*, 8e édition; Paris, 1853, 4 vol. in-8°.

[2] *Geschichte der Kreuzzüge*; Leipsig, 7 vol. in-8°; 1807-1832.

المحتويات

